الباب الثالث

منظور نفسى اجتماعى

obeikandl.com

obeikandl.com

يمثل الباب الحالى آخر أبواب هذا الكتاب ، ويتناول ذلك الدور الذى يضطلع به الأب فى حياة الطفل من منظور نفسى اجتماعى وذلك على امتداد أربعة فصول أيضًا من الفصل التاسع وحتى الفصل الثانى عشر . ويعرض الفصل التاسع لدور الأب كما يتضح من خلال السياق الأسرى ، ويستعرض أنماط التكيف من جانب الآباء للدور الوالدى ، وكيف تتأثر بتلك الظروف المصاحبة لولادة الطفل ، والتنظيم الأسرى للأدوار، ومدى توحد الأب مع الدور الجنسى الملائم أى الذى يتفق مع جنسه البيولوجى . كما أنه يتناول أيضًا العلاقة المتبادلة التى تنشأ بين الأنساق الأسرية الفرعية التي يكونها أولئك الأعضاء الذين تتألف منهم الأسرة والذين يشكلون في مجملهم الشبكة الاجتماعية داخل الأسرة بما تتضمنه من علاقات التأثير والتأثر موضحًا تلك الكيفية التى يتم بها مثل هذا التأثير من جانب بعض الأعضاء وذلك التأثر من جانب بعضهم الآخر ، وعلى وجه الخصوص كيف تؤثر التفاعلات الاجتماعية المختلفة التي تنشأ بين شخصين على شخص ثالث ، وتتأثر بها . ويعرض الفصل العاشر للأب كعضو فى شبكة العلاقة الاجتماعية للطفل ، ومدى تعقدها، وهى تلك الشبكة التى تمثل كل الحالات المحتملة لتبادل التأثير والتأثر بين أعضاء الأسرة والتى تزداد تعقيدًا مع زيادة عدد أعضائها . ومن هنا يعرض الفصل لنموذج الشبكة الاجتماعية ، وعلاقات التفاعل الاجتماعى التى تتضمنها ، والافتراضات التى تقوم عليها ، ثم ينتقى بعد ذلك من هذه الافتراضات تلك التى تتعلق بالأب كعضو فى الشبكة الاجتماعية للطفل ، ويتناولها بالتفصيل مع توضيح لما يمكن أن تخلفه من آثار على الطفل فضلاً عن تلك الآثار المباشرة في هذا الصدد ، والآثار غير المباشرة للأب على الطفل ، وأنماط التفاعل بين الأب والطفل . أما الفصل الحادى عشر فيتناول دور الأب في حياة الطفل خلال مرحلة المهد من خلال استعراض محددات انغماسه فى العناية بالرضيع ، وأنماط التفاعل بينهما ، وأنماط لعبه مع الرضيع قياسًا بأنماط لعب الأم معه ، ويوضح تلك التفاعلات التى تحدث بينهما فى المواقف الثنائية وذلك عندما يكون الأب بمفرده مع الرضيع ، وفى المواقف الثلاثية وذلك عندما تتواجد الأم أثناء التفاعل . ثم يعرض بعد ذلك للفروق بين الأب والأم فى القيام بأنشطة العناية بالأطفال ، وكيف يؤثر الأب على تفاعل الأم مع الرضيع ، وأهم الفروق التى تميز لعب كل من الأب والأم مع الأطفال ، وتغير الفروق التقليدية بين الوالدين فى العناية بالرضع واللعب معهم .

ويختتم هذا الفصل باستعراض بعض نظم التأييد والمساندة الثقافية للآباء كما ظهرت في المجتمعات الغربية والولايات المتحدة الأمريكية . ويعرض الفصل الثانى عشر والذى يمثل آخر فصول هذا الكتاب لتطور العلاقة بين الأب والرضيع ، ويتناول حساسية الأب تجاه الرضيع واستجاباته له ، ومدى التفاعل بينهما ، وأهم السمات التى تميز مثل هذا التفاعل قياسًا بتلك السمات التى تميز تفاعل الأم مع الرضيع . ثم يعرض بعد ذلك لتطور التعلق **attachment** والارتباط الذى ينشأ بين الأب والرضيع فضلاً عن تلك الآثار المباشرة وغير المباشرة للأب على النمو الاجتماعى للرضيع ، ونمو شخصيته .

وبذلك يعرض هذا الكتاب لصورة متكاملة من ذلك الدور الذى يمكن أن يلعبه الأب فى حياة أبنائه من مختلف الجوانب والزوايا والرؤى بما يفتح المجال أمام الباحثين لسبر غور شخصية الطفل بجوانبها المختلفة ، والقيام بتمحيص دور الأب وباقى أعضاء الأسرة فى حياة الطفل استرشادًا بما يضمه الكتاب من كم كبير من الدراسات خاصة الحديثة منها فضلاً عما يقدمه من أطر نظرية حديثة حول تلك الجوانب التى تمت دراستها بالفعل . وبالتالى يصبح هذا الكتاب لا غنى عنه للباحث ، والدارس ، والمربى ، والأب ، والأم ، بل وعامة الناس سواء كانوا متخصصين في ذلك أم لم يكونوا متخصصين .

* * *

الفصل التاسع

دور الأب فى السياق الأسرى

فرانك بيدرسين

Frank A. Pedersen

obeikandl.com

obeikandl.com

استخدمت الدراسات المبكرة التى تناولت آثار الأب على نمو الطفل نموذجًا معيوبًا فى الأساس تم من خلاله مقارنة الأطفال الذين كانوا عادة إما فى سن المدرسة الابتدائية أو أكبر والذين تمت تربيتهم فى أسر يغيب عنها الأب مع أقران لهم تربوا فى أسر لا يغيب عنها الأب . وعندما كانت تظهر فروق ثابتة بين مجموعات المقارنة التى تتسم بالتجانس كانت ترجع أسباب تلك الفروق فى الأساس إلى التخمين والاستنتاج والتصور النظرى . ولم يعط هذا النموذج سوى قدرًا ضئيلاً من المعلومات حول الكيفية التى يؤدى بها الأب دوره فى الأسرة ، فلم نلحظ فيه على سبيل المثال سوى القليل عن الملامح المميزة لتفاعل الأب مع الطفل تمامًا كما قامت الدراسة التى تناولت الأطفال الذين تربوا فى مؤسسات اجتماعية كالملاجئ بإعطاء قدر ضئيل من المعلومات بشكل مباشر عن العلاقة بين الأم والطفل .

هذا وقد تم توجيه الأبحاث فى الآونة الأخيرة إلى سلوك الآباء الذى تتم ملاحظته إما فى بيئة المنزل الطبيعية أو فى المواقف المعملية . وتمت مقارنة سلوك الأب بالإضافة إلى سلوك الطفل الموجه نحو الأب مع تلك البيانات التى تم جمعها من الملاحظات المشابهة التى أجريت على الأمهات والتى أجريت فى بعض الأحيان على راشدين غير مألوفين للطفل . وتمت من ناحية أخرى ملاحظة الفروق الكمية والكيفية بين سلوك الأب وسلوك الأم ودراستها ، ويتضمن ذلك بطبيعة الحال الفروق فى تفضيلاتهما لأساليب معينة تتعلق بسلوك اللعب ، والتفاعلات التى تتضمن نماذج لمثيرات لفظية وأخرى جسمية ، والدور الذى يؤديه كل منهما فى مثل هذه الأنشطة كالعناية بالأطفال على سبيل المثال والعاطفة المميزة التى تحدث خلال ذلك التفاعل . ونظرًا لأن مثل هذه الأبحاث كانت ترتكز فى الأساس على مقارنة النمط الذى يمثله الوالد من أحد الجنسين فى سبيل ذلك مع النمط الذى يمثله الوالد الآخر فإنه يمكن أن نطلق على الدراسات من هذا النوع اسم الدراسات الوصفية الشاملة . global descriptive .

وعلى الرغم من أن مثل هذه الدراسات التى تسمى بالدراسات الوصفية الشاملة قد تم إجراؤها هى الأخرى فى إطار ذلك النموذج المعيوب فإنها مع هذا تتميز بأن ما تتناوله

من عمليات نفسية للتفاعل والتى تتمثل فى شبكة الأنماط السلوكية التى يقوم بمقتضاها كل من الأب والطفل بمشاركة الآخر يتم فحصها وتقييمها بدقة . وعن طريق مقارنة سلوك الأب بسلوك الأم يصبح من الممكن تقييم تلك الخبرات المتميزة التى يقدمها الأب لطفله فى مراحل نموه ، بالإضافة إلى التحقق من ذلك الرأى القائل بأن هناك مجالات معينة يتشابه فيها سلوك الأب مع سلوك الأم بدرجة كبيرة . وإلى جانب هذا فإنه لا يمكننا تفسير الآثار التى يخلفها غياب الأب على الطفل والتى تثيرها التصورات النظرية والاستنتاجات إلا من خلال البيانات السلوكية التى يتم جمعها .

وعلى الرغم من أن النموذج الوصفى الشامل global descriptive paradigm يمثل مرحلة طبيعية مبكرة فى البحث العلمى فإن هناك حاجة ماسة لتناول أسئلة أكثر تعقيدًا من خلال الدراسات التى يتم إجراؤها . وتتمثل الحاجة إلى إجراء البحوث الوصفية التفاضلية أو التمييزية differential descriptive فى التغلب على وجهين أساسيين من أوجه القصور التى تتضح فى الدراسات الوصفية الشاملة هما :

١ – ميل البحث الوصفى الشامل إلى تعتيم أو إخفاء الثبات داخل فئة التصنيف حيث تعمل مقارنة الآباء بالأمهات على جذب الانتباه بعيدًا عن ذلك المدى الكلى لإمكانيات التكيف التى توجد داخل الأسر فى الوقت الراهن .

٢ – ميل البحث الوصفى الشامل إلى تجاهل التفاعل بين العديد من الأنساق الأسرية الفرعية المختلفة حيث نجد على سبيل المثال أن سلوك الأب الموجه نحو الطفل أى دور الأب قد يتأثر بالأدوار الأخرى التى يؤديها مثل دوره كزوج أو دوره كقائم على كسب العيش . كما أن هذه الأنماط السلوكية المرتبطة بالدور لا تحدث فى فراغ نفسى ولكنها تتأثر بتلك التفضيلات التى يبديها شريكه المتمثل فى الزوجة والأم ، وتوقعات ذلك الشريك وسلوكه الذى يدل على إقراره لتلك الأنماط السلوكية . وبنفس الطريقة نجد أن علاقة الأم بالطفل قد تتأثر هى الأخرى بسلوك وقيم واتجاهات زوجها ووالد طفلها . وهذا يعنى أن هناك مسارات أخرى مختلفة للتأثير داخل الأسرة لم يتم فهمها بالدرجة المطلوبة حتى الآن .

وسوف نقوم فى الفصل الحالى بتفحص سلوك الأب من منظور النموذج الوصفى التفاضلى أو التمييزى ، كما سيتم تناول مجموعتين أساسيتين من الدراسات التى تم إجراؤها فى هذا الجانب تتمثل أولاهما فى تلك الدراسات التى تتناول مظاهر الاختلاف أو الفروق الفردية فى أنماط التكيف الأبوى للدور الذى يضطلع به الآباء فى الأسرة ، أما الثانية فتتمثل فى تلك الدراسات التى تتناول العلاقات الداخلية فى الأنساق الأسرية الفرعية المختلفة . ومن المعروف أن هذه الأبحاث قد أجريت على الأطفال فى مرحلة المهد وهى المرحلة النهائية التى تتسم بندرة التصورات النظرية والمفاهيمية للسلوك الأبوى خلالها . ونظرًا لأن الدراسات الوصفية التفاضلية التى تتناول تأثير الأب فى السياق الأسرى لها أفضلية الريادة فى هذا المجال فإن معظم ما نقدمه من خلالها لا يعتبر نهائيًا بالضرورة إذ أنه لا يزال على مستوى الفرض فيما يتعلق بالنمو . ومن خلال تشجيعنا على إعمال الفكر فى مثل هذه الخطوات من المنطق والتفكير يصبح هدفنا العام والأساسى من خلال هذا الفصل هو إثارة التصورات النظرية المفاهيمية التى تتعلق بآثار الأب فى السياق الأسرى .

مظاهر الاختلاف بين الآباء فى أنماط التكيف للدور الوالدى :

تختلف الدراسات التى تناولت العلاقة بين الأب والطفل الرضيع فى المصادر التى استقت منها بياناتها إذ اعتمد بعضها على تلك التقارير الواردة من أحد الوالدين فى مقابل الملاحظات التى قام عليها البعض الآخر ، كما تختلف أيضًا فى نوعية البناء النفسى الذى تم تقييمه خلالها حيث نجد أن البعض منها قد قام على تقييم مدى انغماس الأب فى حياة الرضيع ، بينما قام البعض الآخر بعملية حصر لتلك الأنماك السلوكية النوعية التى تصدر عن الأب . كذلك فإن المكان الذى تم فيه جمع البيانات سواء كان هذا المكان هو المنزل أو المعمل يمثل مظهرًا آخر من مظاهر الاختلاف بين هذه الدراسات ، كما تختلف أيضًا فى تلك الإجراءات التى اتخذت حيال المشاركين فيها خلال جمع البيانات ، وفى الخلفيات التى تميز الأسر التى أجريت عليها كالخصائص الديموجرافية وخبرات الحياة .

وتعمل الاختلافات المنهجية والتى تعتبر هى الهدف الأساسى من القسم الحالى فى هذا الفصل على توضيح وتفسير الكيفية التى قد تؤثر بها السمات المميزة لخبرة الحياة

بالنسبة للآباء على أنماط التكيف من جانبهم للأدوار التى يضطلعون بها . وتقوم مثل هذه البيانات بطبيعة الحال بتناول الفروق الفردية فى السلوك الأبوى فى ذلك السياق الاجتماعى الأكبر الذى تحدث فيه . وسوف يتم تفحص ثلاث من السمات المميزة للخلفيات الأسرية والتى يحتمل أن تقوم بالتأثير على سلوك الأب تجاه الطفل ، وهذه السمات هى :

١ – الظروف المصاحبة لولادة الطفل .

٢ – التنظيم الأسرى للأدوار فيما يتعلق بالحصول على الدخل .

٣ – توحد الأب نفسه مع الدور الجنسى .

أولاً : الظروف المصاحبة لولادة الطفل :

من الجدير بالذكر أن هناك تغيرات جوهرية قد حدثت منذ عام ١٩٧٠ على الأقل بين تلك القطاعات التى تمثل الطبقة المتوسطة فيما يتعلق بالاستعداد لولادة الطفل وفى تلك الأحداث التى تقع عندما تتم ولادة طفل طبيعى . ومع أنه غالبًا ما يطلق على مثل هذه الولادة أنها ولادة طبيعية فإنه قد حدث تغير فى مسماها لتصبح مشاركة الأب للأم انفعاليًّا فى ولادة الطفل ووجوده معها Participative Childbirth وقد بذلت جهود كثيرة فى سبيل الإقلال من التدخل الطبى فى مثل هذه الحالة وخاصة التدخل الطبى الذى قد يعود بالضرر على الوليد الجديد . هذا وقد تم إحياء العلاقات الاجتماعية الدالة فى موقف ولادة الطفل وإعادتها من جديد ، وغالبًا ما أصبح يتم هذا الموقف فى الوقت الراهن فى وجود شخص مدرب على تقديم المساندة الانفعالية للأم هو الزوج الذى يقوم بمشاركة زوجته فى برنامج الإعداد للولادة . وقد أبدى كل من مارشال كلاوس M.Klaus وجون كينيل J. Kennell وهما من أطباء الأطفال اهتمامًا كبيرًا وعلى نطاق واسع بالإجراءات المتبعة لحجز الأم بالمستشفى فى الفترة التالية للولادة . وأدت هذه الجهود إلى تقليل فترة الانفصال بين الأم وطفلها الوليد والذى غالبًا ما يحدث عقب الولادة فى المستشفى وذلك إلى حدها الأدنى . وقد تمت هذه التغيرات فى إطار من الارتقاء بمستوى الأداء الطفلى للوليد وإقامة علاقات جيدة بين الأم وبينه .

ومن ناحية أخرى فقد حدث تغير مواز فى خبرات الأب التى تتعلق بولادة الطفل ، ويعمل هذا التغير على زيادة انغماسه مع الأم ومساندته لها أثناء الولادة ، كما يعمل أيضًا على زيادة فرصة حدوث الخبرة المباشرة من جانبه مع الوليد الجديد . فأوضحت الدراسات التى تم إجراؤها فى هذا الصدد أن وجود الأب مع الأم أثناء الولادة يرتبط بالانخفاض الدال فى احتمال تعرضها للجراحة . كما دلت التقارير الواردة من الوالدين على وجود المزيد من المشاعر الإيجابية بينهما فيما يتعلق بالخبرة الكلية للولادة (Henneborn & Cogan, 1975) . ويرى بعض الآباء والأمهات فى الواقع أن المشاركة من جانب الأب أثناء الولادة تمثل ذروة الخبرة الانفعالية التى تدعم وتعزز بشدة ذلك الإحساس بالتعهدات الأسرية (Tanzer & Block, 1972) .

ونظرًا لأن التغير باتجاه المشاركة من جانب الأب أثناء الولادة لم يحدث بشكل متسق فى المجتمع الأمريكى فإن هناك سؤالاً هامًا يمكن إثارته فى هذا الصدد يتعلق بما إذا كان السلوك الوالدى يتأثر بانتهاء تلك الممارسات التقليدية التى تتم فى المستشفى أم لا ، إذ اتضح بالنسبة للأمهات أن البرامج التى تأخذ نمط برنامج لاماز Lamaze وزيادة الإدراك الشعورى أثناء الولادة يرتبطان بتقريرهن القيام بإرضاع أطفالهن من أثدائهن واستمرار ذلك لفترة أطول . وعلاوة على هذا فقد قامت هؤلاء الأمهات بوصف ردود أفعالهن الأولية لأطفالهن الرضع بأنها أكثر إيجابية (Doering & Entwisle, 1975) .

وبنفس الطريقة يرى كلاوس وكينيل (١٩٧٦) Klaus & Kennell أن التواصل المبكر مع الرضيع يقوى من علاقة الأم به وهو ما يعمل على تسهيل حضانته ويقلل من القلق ، ويعمل من ناحية أخرى على تدعيم نمو العلاقة بين الأم والرضيع . وتعمل نتائج الدراسات الحديثة على تفنيد فعالية التواصل المبكر فى حد ذاته فى التأثير على ذلك التفاعل التالى الذى يحدث بين الأم والرضيع (Vietze & O'Connor, 1980; Svejda, *et al.* 1980) . إلا أنه يبدو مع ذلك أن هناك قبولاً على نطاق واسع بأن التحرك باتجاه المشاركة من جانب الأب أثناء الولادة ينتج عنه مشاعر أكثر إيجابية فيما يتعلق بخبرة الولادة نفسها.

وفيما يتعلق بالآباء فإن القدر القليل من الأدلة المتاحة يكشف عن أن المشاركة من جانبهم أثناء الولادة قد يكون لها أثر مدعم للتفاعل الذى يحدث بعد ذلك بين الأب والرضيع ، إلا أن الدليل على ذلك لا يعتبر دليلاً حاسمًا . ففى إحدى الدراسات التى تناولت الفترة التالية للولادة مباشرة استخدم جرينبرج وموريس (١٩٧٤) Greenberg & Morris مصطلح الاستحواذ على الفكر أو الانتباه engrossment لوصف الإحساس بالانهماك ، والانشغال ، والاهتمام الذى يستثيره الوليد الجديد لدى الآباء ، واتضح أن هناك فى الواقع تأثيرًا قويًا لدى جميع الآباء لخبرة أول تعرض لهم لطفل رضيع سواء مروا بخبرة أول اتصال لهم به عند ميلاده أى فى غرفة الولادة أو حدث ذلك بعد ولادته فقط حينما أخذته الممرضة إليهم . ووجد ونت وكروكنبرج (١٩٧٦) Wente & Crockenberg أيضًا أن هناك آثارًا قليلة قد اتضحت لدى الآباء الذين حضروا برنامج لاماز Lamaze التدريبى وكانوا مع زوجاتهم عند الولادة وذلك قياسًا بأقرانهم فى المجموعة الضابطة علمًا بأن هذه المجموعة قد ضمت عددًا كبيرًا من الآباء الذين كانوا مع زوجاتهم أثناء الولادة أيضًا . ويقدم بيترسون وميهل وليدرمان (١٩٧٩) Peterson, Mehl, & Leiderman دليلاً قويًا على أن المتغيرات التى ترتبط بالولادة تؤثر على التواصل والتفاعل الذى يحدث بعد ذلك بين الأب والرضيع وذلك إثر دراستهم لثلاث مجموعات بعد المقارنة بينها فى المتغيرات المرتبطة بالخلفيات الأسرية ؛ ضمت المجموعة الأولى الأزواج الذين قامت زوجاتهم بالولادة فى المستشفى بعد تخديرهن كليًا ، فى حين ضمت المجموعة الثانية أولئك الأزواج الذين قامت زوجاتهم بالولادة فى المستشفى أيضًا ولكن بعد إعطائهن كميات قليلة من المخدر ، أما المجموعة الثالثة فقد ضمت الأزواج الذين قامت زوجاتهم بالولادة فى المنزل بدون أى مخدر ، واتضح أن الوصف الإيجابى الذى يقدمه الأب عن خبرة الولادة والذى يرتكز على الملاحظات والتقارير الذاتية التى تم القيام بها خلال الشهور الستة الأولى التالية للولادة يرتبط ارتباطًا كبيرًا بتقديره للتواصل والتفاعل الذى يحدث فيما بعد بينه وبين الرضيع . كذلك فقد استخدم هؤلاء الباحثون دليل تواصل الأب مع الرضيع والذى يضم عددًا من العوامل المختلفة تتضمن قيام الأب بأنشطة العناية بالرضيع ، واستجابته للإشارات الدالة على الانزعاج وعدم الراحة التى يصدرها الرضيع ، والأنماط السلوكية المرتبطة باللعب مع الرضيع من جانب

الأب ، وثقة الأب بنفسه فيما يتعلق بقيامه بدوره كأب . واتضح من خلاله أن الأحداث المرتبطة بالولادة تعتبر مؤشرات قوية يمكن من خلالها التنبؤ بمعدل التواصل والتفاعل بين الأب والرضيع وذلك بشكل يفوق ما تدل عليه البيانات التى تم جمعها خلال فترة الحمل ، وبذلك يرى هؤلاء الباحثون أن العوامل التى تم اختيارها ذاتيًا لم تكن بنفس أهمية خبرة الولادة فى حد ذاتها بالنسبة لمدى الانغماس التالى من جانب الأب مع الرضيع.

وهناك فرض لقى قدرًا معتدلاً من التأييد الإمبيريقى يعتبر أن المشاركة من جانب الأب أثناء الولادة مرورًا بالإعداد للولادة إلى انغماس الأب بشكل كبير مع الأم فى عملية الولادة ، والمشاعر الأكثر إيجابية التى ترتبط بالولادة ، والفرص المتزايدة التى تتاح لإقامة التواصل والتفاعل المبكر مع الرضيع تدعم وتعزز التفاعل التالى والأكثر تكرارًا الذى يحدث بين الأب والرضيع ، وتساهم فى قيام علاقات التواصل والتفاعل التى تنشأ بينهما . وبطبيعة الحال فإن الأحداث التى تلى الولادة والتى تتمثل فى تفاعل الأب مع الأم ومع الرضيع ستكون بما لا يدع مجالاً للشك لها أهميتها فى تحديد ما إذا كانت الترتيبات المبكرة التى يتم القيام بها تبقى كفروق واضحة فى السلوك أم لا . ويرى فين (١٩٧٦) Fein أن المشاركة من جانب الأب أثناء الولادة قد يكون لها أثر ثابت على تحديد دور الفرد كأب ، إلا أنه مع ذلك توجد هناك تحديدات بديلة للدور تتاح أمام الرجال إذ أن هناك من وجهة نظره نمطين للدور ؛ يتمثل أولهما فى الدور التقليدى الذى نطلق عليه دور القائم على كسب العيش والذى يركز على قيام الأب بتزويد الأسرة بالمصادر الاقتصادية اللازمة لها وإقامة علاقة من جانبه مع الأم ترتكز على المساندة الانفعالية حيث تقع المسئولية الأساسية فى العناية بالأطفال على عاتقها . أما النمط الثانى فيعتبر نمطًا تكيفيًا ويسمى بالدور غير التقليدى ويؤكد على الانغماس المباشر بدرجة كبيرة من جانب الأب فى حياة الرضيع ، والمشاركة المتساوية للأب مع الأم فى مسئوليات العناية بالأطفال وذلك فى تلك الفترة التى يتواجد الأب فيها بالمنزل . ويشير فين Fien إلى أن هذا النمط التكيفى يحتاج إلى المبادرة من جانب الأب وذلك فى إطار من توقعات الأم لما سيقوم به . وعلى الرغم من أن العوامل التى تهيىء حدوث أى من هذين النمطين لم تتضح بعد فإن مثل هذه الصياغة

تثير الاهتمام والفضول لأنها تجذب الانتباه إلى المتغيرات الوسيطة التى قد تؤدى إلى نتائج بديلة لنفس خبرة الولادة .

ويثير هذا الخط من التفكير والذى يعتبر أن خبرة الولادة تؤثر على التفاعل الذى يحدث بعد ذلك بين الأب والرضيع تساؤلاً هامًّا يتعلق بما ستكون عليه النتيجة فى حالة تعقد الأمور أثناء الولادة كأن تكون الولادة قيصرية مثلاً . فإذا تطلب الأمر حدوث ولادة قيصرية على سبيل المثال يكون هناك إجراء طبى يحول فى الغالب دون وجود الأب أثناء الولادة ، ويقلل من احتمال أن يكون الوليد فى متناول كلا الوالدين لأنه فى الغالب يوضع تحت العناية المركزة لمدة أربع وعشرين ساعة . وهناك عوامل أخرى تتساوى فى أهميتها مع هذه الخبرة منها على سبيل المثال ذلك الفرض الذى يعتبر أن الولادة القيصرية لا تؤدى إلى نفس النتائج الإيجابية على علاقة الأب بالرضيع والتى يعتقد أنها تحدث من جراء المشاركة من جانبه أثناء الولادة .

ومن الجدير بالذكر أن هناك قدرًا كبيرًا من الدراسات تتناول تلك التفاعلات التى تحدث بين الأب والرضيع عقب الولادة القيصرية . ويرجع أحد أسباب الاهتمام بهذا النوع من الولادات على وجه الخصوص إلى أن معدلات الولادة القيصرية قد ازدادت فى الولايات المتحدة الأمريكية ثلاث مرات منذ عام ١٩٧٠ (Bottoms, *et al.* 1980) . ويبدو أن هذه الزيادة تعتبر نتيجة للتغيرات التى انتابت الاستجابة الطبية للعمل الذى يقوم به الأطباء والذى يستغرق وقتًا طويلاً وذلك بدلاً من كونها ترجع إلى الزيادة التى تطرأ على عوامل المخاطرة .ومن السخرية أن نجد أن احتمالات التدخل الطبى القيصرى قد ازدادت فى نفس الوقت الذى يبحث فيه المزيد من الآباء والأمهات عن تلك الولادات التى تتطلب قدرًا منخفضًا من التدخل الطبى ، أضف إلى ذلك أن الإعداد النفسى الذى يحدث فى حالة الولادة القيصرية يكون عند حده الأدنى .

وفى دراسة أجراها بيدرسين وآخرون (١٩٨٢) Pedersen, *et al.* على عينة من الأطفال الرضع ذوى الترتيب الميلادى الأول تبلغ أعمارهم خمسة شهور استخدموا المقابلات وقاموا بملاحظة التفاعلات التى تحدث بين الوالدين والرضع فى المنزل ، وتمت مقارنتهم بمجموعة أخرى ضمت ستة أطفال ولدوا قيصريًّا Cesarean-delivered

Children وسبعة عشر طفلاً ولدوا طبيعيًا Vaginally-delivered Children وأوضحت النتائج وجود فروق ضئيلة بين المجموعتين لا ترجع إلى نوعية الولادة فى حد ذاتها بل إلى أن الأمهات قد قررن أنهن كن تعانين مشاكل أكثر من الرضيع فى البداية حيث تم إعطاؤهن مخدرًا كليًا عند إجراء الولادة القيصرية ، كما أنهن كن فى حاجة إلى البقاء فى المستشفى لفترة أطول . كذلك فقد اتضح أيضًا وجود فروق أكثر حسمًا بالنسبة للآباء ترجع إلى نوعية الولادة إذ أوضحت المقابلات التى تم إجراؤها معهم قيامهم بالعديد من الأنماط السلوكية المرتبطة بالعناية بالطفل بدرجة أكبر كإرضاعه ، وتغيير الحفائض (البامبرز) له ، وتحميمه ، وتغيير ملابسه على سبيل المثال وذلك بالنسبة للآباء الذين تمت ولادة أطفالهم قيصريًا . ومن ناحية أخرى فقد أوضحت الملاحظات التى تم القيام بها وجود فروق تسير فى الاتجاه ذاته أيضًا ، فقد رأى الملاحظون أن آباء الأطفال الذين تمت ولادتهم قيصريًا كانوا أكثر استجابة بشكل دال لتلك الإشارات التى تصدر عن الرضيع وتدل على الألم والضيق وذلك قياسًا بأقرانهم فى المجموعة الضابطة . ومع ذلك فإن مثل هذه الفروق لا يمكن تعميمها على الأشكال الأخرى للتفاعل الذى يحدث بين الأب والرضيع إذ أوضحت مقاييس الإثارة الاجتماعية تفوقًا للآباء فى المجموعة الضابطة أى الذين تمت ولادة أطفالهم طبيعيًا وذلك على أقرانهم الذين تمت ولادة أطفالهم قيصريًا . كما اتضح أيضًا وبشكل خاص وجود عاطفة أقل إيجابيّة وذلك فى التفاعلات والتغيرات السلوكية التى تمت بين الآباء وأطفالهم الرضع الذين ولدوا قيصريًا .

وتتفق نتائج الدراسة التى أجرتها فيتز وآخرون (١٩٨٠) Vietze, *et al.* على عينة أكبر من الأطفال الرضع فى الشهر السادس من أعمارهم ضمت سبعة عشر طفلاً تمت ولادتهم قيصريًا وثمانية وخمسين طفلاً تمت ولادتهم طبيعيًا ، تتفق بدرجة كبيرة مع هذه النتائج التى نحن بصدد الحديث عنها . وعلى الرغم من الاختلافات المنهجية التى وجدت بين الدراستين فقد اتضح أن آباء الأطفال الرضع الذين تمت ولادتهم قيصريًا عند مقارنتهم بآباء الأطفال الذين تمت ولادتهم طبيعيًا كانوا أكثر انغماسًا فى القيام بأنشطة العناية بالطفل وخاصة إرضاعه ، كما كانوا يقومون أيضًا بتهدئة الطفل وإرضائه بدرجة أكبر ، إلا أنهم لم يكونوا كذلك فيما يتعلق بالتفاعل الاجتماعى مع أطفالهم الرضع حيث

أبدوا درجة أقل من هذا التفاعل قياسًا بأقرانهم الذين تمت ولادة أطفالهم طبيعيًّا . وعلاوة على ذلك فقد اتضح بالنسبة للأمهات وجود فروق أقل تتعلق بنوعية الولادة . وبمتابعة هؤلاء الأطفال اتضح أن القدر الأكبر من هذه الفروق التى أظهرتها النتائج يختفى فى حوالى الشهر الثانى عشر من حياة هؤلاء الأطفال . هذا وقد وجدت جروسمان (١٩٨٠) Grossman أيضًا فى دراستها التى قامت بإجرائها على عينة من الأطفال الرضع فى الشهر الثانى من أعمارهم ممن تمت ولادتهم قيصريًّا نمطًا مشابهًا يتسم بارتفاع معدل انغماس الأب فى حياة الرضيع .كما وجدت أن نمط الولادة لا يميز بين تفاعل كل من الوالدين مع طفلهما الرضيع فى شهره الثانى عشر .

وبذلك يتضح أن الولادة القيصريَّة أو عدم مرور الأب بخبرة المشاركة أثناء الولادة يرتبط بدرجة أكبر من انغماسه فى القيام بأنشطة العناية بالرضيع . وأنه من المحتمل أن يكون العامل الدافع للأب فى هذه الحالة لإقامة علاقة أكثر فعالية مع الرضيع تستند إلى العناية به عقب ولادته قيصريًّا ويرجع إلى أن الأم عند عودتها للمنزل فى الفترة التى تلى الولادة مباشرة لا تكون قد شفيت بعد من العملية الجراحية التى تم إجراؤها لها ، ومن ثم تكون لا تزال تعانى من تعب شديد ، ومن فتور انفعالى ، وهبوط فى قواها الحيوية ونشاطها الوظيفى (Bradley, 1977) . وعلى الرغم من أنه من المعقول أن نفترض أن حاجات الأم فى هذه الفترة المبكرة تساهم فى قيام الأب بدور فعال فى العناية بالطفل الرضيع فهناك قدر ضئيل من الدلائل على أن سلوكها تجاه طفلها الرضيع يتغير بعد الأسابيع القليلة الأولى التالية . وعلى ذلك فإن انغماس الأب بدرجة أكبر فى العناية بالرضيع قد يستمر لفترة أطول من تلك الفترة التى تحدث خلالها تلك التغيرات المحتملة فى سلوك الأم تجاه الرضيع .

وتتطلب مثل هذه النتائج القيام بتغيير تركيزنا على أهمية التواصل والتفاعل المبكرين مع الوليد الجديد إذ أن هناك عوامل أخرى ترتبط بالولادة قد يكون لها أثر دائم نسبيًّا أيضًا فى هذا الصدد . وتؤكد مثل هذه النتائج بطبيعة الحال على أن للأم تأثيرًا غير مباشر على التفاعل الذى يحدث بين الأب والرضيع .

ثانيًا : التنظيم الأسرى للأدوار :

تقوم الأم فى الأسرة التقليدية بدور أساسى فى العناية بالأطفال وبمسئولية أكبر فى الاضطلاع بشئون الأسرة ، بينما يقوم الأب على كسب العيش . وفى الواقع نجد أن الدراسات الوصفية الشاملة التى تناولت التفاعل المبكر الذى يحدث بين الأب والطفل الرضيع قد أجريت على عينات يسود بينها هذا التنظيم الأسرى للأدوار (Lamb, 1976, 1977; Clarke-Stewart, 1978;) (Belsky, 1979; Parke & Swain, 1980; Pedersen, *et al.*, 1980) . وفى مقابل هذا الأسلوب فى اختيار العينة نجد أن هناك اتجاهًا واضحًا نحو دراسة تلك الأسر التى تحصل على دخلين اثنين حيث يقوم الوالدان بالعمل خارج المنزل حتى فى ظل وجود أطفال صغار السن حيث نلاحظ فى الواقع زيادة كبيرة فى معدلات توظيف النساء فى المجموعة التى تضم أطفالاً صغار السن . ففى الفترة التى تضاعفت فيها معدلات توظيف أمهات الأطفال فى سن المدرسة الابتدائية بالولايات المتحدة الأمريكية مرة واحدة تضاعفت معدلات توظيف أمهات الأطفال فى سن ما قبل المدرسة ثلاث مرات ، وفى عام ١٩٧٩ كان أكثر من أربعين فى المائة من أمهات الأطفال الذين تقل أعمارهم عن ثلاث سنوات يعملن خارج منازلهن كما يتضح من إحصائيات مكاتب العمل بالولايات المتحدة لعام ١٩٧٩ . وهنا يثار تساؤل هام يتعلق بما إذا كانت تلك الأسر التى تحصل على دخلين اثنين من جراء عمل كلا الوالدين خارج المنزل تتسم بوجود أسلوبين للتفاعل مع الأطفال الرضع والقيام بالعناية بهم يختلفان عما تتسم به تلك الأسر التقليدية التى تتسم بحصولها على دخل واحد فقط تحصل عليه بطبيعة الحال من جراء عمل الأب فقط خارج المنزل .

وقد قام هوفمان (١٩٧٧) Hoffman باستعراض العديد من الدراسات التى توضح أن الآباء يلعبون دورًا أكثر فاعلية فى تربية أطفالهم فى سن المدرسة الابتدائية عندما تكون الأم من بين النساء العاملات . وعلى الرغم من أن صدق مثل هذا التعميم يعتبر موضع شك كما ترى كوك (١٩٧٨) Cook فإنه من المحتمل أن يكون هناك تأثير قوى لقيام الأم بالعمل خارج المنزل على سلوك الأب تجاه الأطفال عندما يكون هؤلاء الأطفال لا يزالون صغارًا فى السن . وتوضح الدراسات التى تناولت أطفالاً فى سن

المدرسة الابتدائية أن الأم تعود مرة أخرى إلى القوى العاملة بعد أن تكون الأسرة قد خبرت سنوات عديدة يكون فيها نمط تخصص الأم فى العناية بالأطفال قد أتيحت له الفرصة كي يصبح نمطًا ثابتًا . وقد يصاحب التحاق الأم بالقوى العاملة عند هذه النقطة أو المرحلة تغيرات قليلة نسبيًا فى النمط الثابت المميز للأب فيما يتعلق بالعناية بالأطفال وقيامه بالمشاركة فى الشئون المنزلية إذ عندما تقوم الأم التى لديها طفل صغير السن بالعمل خارج المنزل يصبح من المحتمل أن تقوم بعض الضغوط من خارج الأسرة بالتشجيع على مشاركة الأب فى العناية بهذا الطفل الصغير .

وتؤكد الدراسات التى أجريت على الأطفال فى مرحلة المهد والتى تستند فى الأساس على تقارير الوالدين فيما يتعلق بأساليب العناية بالأطفال أن الآباء الذين تقوم زوجاتهم بالعمل خارج المنزل ينغمسون فى الواقع بشكل أكثر فاعلية فى العناية بالأطفال فيرى فين (١٩٧٦) Fein فى دراسته التى أجراها على اثنين وثلاثين من الأزواج إضافة إلى زوجاتهم والتى غطت الفترة من أربعة أسابيع قبل الولادة حتى ستة أسابيع بعدها أن مجموعة الآباء غير التقليديين أى الذين كانوا ينغمسون بدرجة كبيرة فى العناية اليومية بأطفالهم الرضع كانوا يميلون إلى الانحدار من أسر تتسم بوجود خطط محددة جيدًا إلى حد ما من جانب الأم للجمع بين كل من الأمومة والعمل خارج المنزل للحصول على دخل معين أو العمل فى سبيل تحقيق درجة مهنية ما . ونظرًا لأن مقدار العناية بالأطفال من جانب الأب كان يمكن التنبؤ به من المقابلات التمهيدية التى تم إجراؤها مع الآباء ، يرى فين Fein أن العديد من الآباء والأمهات قد بدأوا فى التفاوض معًا حول نصيب كل منهم من مسئولية العناية بالأطفال حتى قبل أن تتم ولادة هؤلاء الأطفال . كما وجد يونج (١٩٧٥) Young فى دراسة أخرى تعتمد على التقارير التى ترد من الوالدين أن الآباء الذين تقوم زوجاتهم بالعمل خارج المنزل يقضون قدرًا أكبر من الوقت وهم شديدى القرب من أطفالهم الذين يبلغون عامًا من أعمارهم ، كما ينغمسون أيضًا فى أنشطة أكثر للعناية بهم وذلك قياسًا بالآباء فى تلك الأسر التى لا تقوم الأم فيها بالعمل خارج المنزل .

وعلى الرغم من ذلك فإن الدراسات التى تستند على بيانات تم الحصول عليها من خلال إتباع أسلوب الملاحظة لا تقدم لنا مثل هذه الصورة الثابتة التى تقدمها تلك

الدراسات التى تستند فى الأساس على التقارير التى ترد من الوالدين . وفى واحدة من تلك الدراسات التى أجريت فى هذا الإطار قام لام وآخرون (١٩٨٢) Lamb, *et al.* فى السويد بإجراء المقابلات مع الوالدين قبل الولادة ، كما قاموا أيضًا بعد ذلك بملاحظة التفاعلات التى تحدث بين الوالدين وبين طفلهما الرضيع في الشهر الثالث من عمره . وقاموا بتصنيف الأسر التى تضمنتها عينة دراستهم هذه إلى أسر تقليدية وأسر غير تقليدية وذلك استنادًا على التعهدات التى قطعها كلاً من الوالدين على نفسيهما فى الفترة السابقة للولادة على قيام كل منهما بقدر معين من العناية بالطفل بعد ولادته ، علمًا بأنه يتم فى السويد تقديم حوافز للوالدين كي يقوم كلاهما بتقسيم مسئولية العناية بالطفل فيما بينهما وذلك طوال العام الأول من عمره . ومن الملاحظ أن تصنيف الأسر هنا إلى تقليدية وغير تقليدية لا يعتبر هو نفس التصنيف الذى يقوم على أساس حصول الأسرة على دخل واحد من جراء عمل الأب فقط ، أو حصولها على دخلين اثنين نتيجة عمل كلا الوالدين خارج المنزل حيث نجد أن غالبية الأمهات السويديات لا يكن عادة من بين القوى العاملة إلا بعد انقضاء العام الأول من عمر أطفالهن . واتضح أن التعهدات التى قطعها الأب على نفسه قبل الولادة بالمشاركة فى العناية بالطفل ترتبط بمقدار العناية التى يوليها لطفله عند نهاية الشهر الثالث من عمر ذلك الطفل . ولم يكن من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء غير التقليديين بأقرانهم التقليديين أن يقوموا بمسئوليتهم المفترضة تجاه الطفل لمدة يوم كامل أو أكثر إذ أوضحت الملاحظات التى تمت فى الشهر الثالث من عمر الطفل وجود فروق ضئيلة نسبيًا فى السلوك الأبوى الذى يرجع إلى الاتجاهات التقليدية وغير التقليدية فى هذا الصدد . ومع ذلك فقد وجدت بعض الفروق عند وضع جنس الطفل فى الاعتبار ، فكانت الأسر التقليدية تحيط الأطفال البنين بمزيد من الاهتمام والإثارة ، فى حين كانت تقوم الأسر غير التقليدية بمعاملة أطفالهم البنات بشكل أفضل من البنين . ومن المعتقد أن الملاحظات التتبعية لهذه الأسر سوف تحدد مدى ثبات هذه الأنماط ، وما إذا كانت الفروق فى السلوك الأبوى سوف تظهر بعد ذلك أم لا .

ولم يتوصل بيدرسين وآخرون Pedersen, *et al.* من ملاحظاتهم للأطفال الأمريكيين الرضع الذين يبلغون الشهر الخامس من أعمارهم والذين ينحدرون من أسر ذات دخل واحد فقط أى من أسر تقليدية لا تقوم الأم فيها بالعمل خارج المنزل ، أو من

أسر ذات دخلين اثنين أى من أسر غير تقليدية تعتبر الأم فيها من النساء العاملات إلى أى فروق دالة فى أنشطة العناية بالأطفال من جانب الوالدين ترتبط بتنظيم الأدوار . وكان من الأقل احتمالاً بالنسبة للنساء العاملات أن يقمن بإرضاع أطفالهن من أثدائهن ، كما كانت النساء من كلا النمطين من الأسر تقضين وقتًا أطول من الآباء فى إرضاع أطفالهن . ومع ذلك فقد تم التوصل إلى وجود فروق دالة ترتبط بتنظيم الأدوار وذلك فى أنماط السلوك التى لا ترتبط بالعناية بالأطفال . ومن ناحية أخرى فقد أوضحت النساء العاملات قدرًا أكبر من معدلات التفاعل اللفظى مع الأطفال الرضع قياسًا بالأمهات غير العاملات ، كما كان الآباء فى الأسر التى تعتبر فيها الأم من النساء العاملات أقل انغماسًا من الأمهات فى اللعب الاجتماعى مع أطفالهم الرضع ، إلا أن هذا النمط قد اتخذ اتجاهًا عكسيًّا فى الأسر التى لا تعتبر فيها الأم من بين النساء العاملات .

وتعتبر هذه النتيجة ذات أهمية خاصة نظرًا لأن الدراسات التى أجريت على الآباء فى الأسر التى لا تقوم الأم فيها بالعمل خارج المنزل قد أكدت على أن اللعب الاجتماعى يعتبر خاصية مميزة للأب (Parke, ١٩٧٩) . ويبدو أن هذا التعميم لا يعتبر صادقًا بالنسبة للأسر التى يقوم فيها كل من الأب والأم بالعمل خارج المنزل . وهناك نتيجة أخرى جديرة بالملاحظة كشفت عنها هذه الدراسات تتمثل فى أنه بالنظر إلى كل أنماط السلوك الوالدى نجد أن التفاعل بين الأنماط الأربعة المتعلقة بجنس الوالد وبين التصنيفات المرتبطة بتنظيم الأدوار يوضح نمطًا دالاً فى الدرجات التى تم الحصول عليها، فقد حصلت الأمهات العاملات على أعلى الدرجات ، أما الآباء الذين كانوا أزواجًا لأمهات عاملات فقد حصلوا على أقل الدرجات ، فى حين حصل كل من الآباء والأمهات فى الأسر التى لا تقوم فيها الأم بالعمل خارج المنزل على درجات متوسطة . وبدلاً مما أوضحته الدراسات المختلفة التى تم إجراؤها على الأسر التى يقوم فيها كلا الوالدين بالعمل خارج المنزل من التساوى بين الأب والأم فى مسئولية العناية بالأطفال وفي قيامهما بأنشطة العناية بهم ، فإن النتائج التى تم التوصل إليها قد كشفت عن عكس ذلك .

ومن بين التفسيرات المحتملة لهذه النتائج ما نلاحظه فى السياق الثقافى الأمريكى وفى النسق الثقافى هناك من أن الأم حينما يبلغ طفلها الرضيع الشهر الخامس من عمره

تكون قد انضمت بالفعل إلى القوى العاملة وتصبح بالتالى متأرجحة نوعًا ما بين طفلها وبين العمل . ومن هنا يكون من المحتمل أن تتمثل أعلى معدلات للتفاعل بينها وبين الطفل فى تلك التفاعلات التى تتضمن الحاجة للانغماس مع الطفل بعد قضاء بعض الوقت بعيدًا عنه والحاجة إلى تعويضه ما يمكن أن يكون قد افتقده أثناء تلقيه عناية بديلة. ومن ناحية أخرى يمكن أن يثار الأب فى الأسر التى يقوم فيها كلا الزوجين بالعمل خارج المنزل من جراء الحاجة القوية للأم للتفاعل مع طفلها الرضيع . وعلى النقيض من ذلك نلاحظ أن الأم غير العاملة قد تكون راضية نسبيًا عن تفاعلها مع طفلها الرضيع فى الوقت الذى تتم فيه الملاحظات ، وقد ترحب بتأجيل تفاعلها معه وذلك فى الوقت الذى يقضيه الأب معه . ويبدو أن هذا الأثر يتشابه بالنسبة لمعدلات سلوك كل من الأب والأم تجاه الطفل .

ومن الجدير بالذكر أن الفروق فى النتائج التى تم التوصل إليها بإتباع أساليب مختلفة كالملاحظة والتقارير الوالدية مثلاً لا تعنى بالضرورة أن يكون أسلوب ما هو الصادق والمناسب ويكون أسلوب آخر غير صادق ، لكنه من الأكثر احتمالاً أن يعبر الدافع إلى المرغوبية الاجتماعية من جانب الشخص المشارك فى البحث عن نفسه بطريقة مختلفة . وعندما نتناول السلوك فإننا نلاحظ أن الأسر غير التقليدية وهي تلك التى يقوم فيها كلا الوالدين بالعمل خارج المنزل تركز على الأساليب التى تعبر عن التساوى بين الوالدين فى العناية بالطفل ، ومع ذلك فعندما نقوم بملاحظة أحد الأطفال الذين ينتمون إلى مثل هذه الأسر فإننا نلاحظ أن الأم قد تحاول أن تقدم له قدرًا أكبر من الإثارة . وإلى جانب التأثير الذى تحدثه ملاحظة الفرد أو إجراء مقابلة معه فإنه نادرًا ما كان يتم الالتفات إلى الوقت الذى تجرى فيه المقابلة أو الملاحظة كأن تكون فى الصباح أو فى عطلة نهاية الأسبوع وهو ما تم إعطاؤه وزن فى اتجاه واحد ، أما إجراء المقابلة أو الملاحظة فى المساء فقد تم إعطاؤه وزن فى الاتجاه العكسي . وعلى الرغم من أن نتائج الدراسات التى تناولت هذا الجانب ليست ثابتة فإننا نتوقع أنه قد يكون هناك أدلة إضافية للتحقق من ذلك نظرًا لتزايد فهم وإدراك أن الأسلوب أو المنهج المتبع فى البحث يؤثر على النتائج التى يتم التوصل إليها .

ثالثًا : توحد الأب مع الدور الجنسي :

من الملاحظ أن المجتمع الأمريكي قد تغير فى قيمه التى تتعلق بالأدوار الجنسية وابتعد كثيرًا عن تلك الأنماط التى تم تحديدها فى هذا الصدد بشكل قاطع (Hoffman, 1977) . وإلى جانب ذلك فإن هناك تغيرًا هامًا قد حدث أيضًا فى تصور المفاهيم الخاصة بالأدوار الجنسية فى إطار نظريات العلوم الاجتماعية . وأصبح المدخل النظرى التقليدى لسلوك الدور الذكرى والأنثوى يتم فى ضوء إطار أحادى البعد وثنائى البنية أو التكوين تتساوى فيه الذكورة – الأنوثة مع البعد الوسيلى – التعبيرى (Parsons & Bales, 1955) . وإلى جانب ذلك قدم باكان (١٩٦٦) Bakan صياغة نظرية ثنائية مشابهة ترتبط فيها الذكورة بالتوجه الوسيلى وهو ذلك الاتجاه الذى يتمثل فيه الاهتمام بالفرد فى حماية الذات ، وتوكيد الذات ، وانتشار الذات ، وترتبط فيه الأنوثة بالتوجه الكوميونى المميز للحياة الاجتماعية البسيطة والقائم على العلاقة بين الأفراد فى الأسرة والذى يتمثل فى الإحساس بكون الفرد منسجمًا مع غيره ومتحدًا معهم ، وبكونه مهتمًا بالعلاقة بينه وبين الآخرين . ومن هنا فإن مثل هذه النظريات ترى أن الفرد يكون عند أحد طرفى هذا البعد، وبذلك فهو إما أن يكون عند طرف الذكورة أو عند طرف الأنوثة .

هذا ويمكن تمييز الصياغات الحديثة فى هذا الموضوع والتى تم التطرق إليها فى العديد من الكتابات منها باكان (١٩٦٦) Bakan وبلوك (١٩٧٣) Block وبيم (١٩٧٤) Bem وهيلبرون (١٩٧٦) Heilbrun وسبينس وهيلمريتش (١٩٧٨) Spence & Helmreich بظهور مفهوم جديد هو مفهوم الخنوثة السيكلوجية Psychological Androgyny الذى يدل على تكامل عناصر هذا التقسيم الثنائى فى الفرد الواحد . ويوضح مفهوم الخنوثة السيكلوجية أنه من المحتمل بالنسبة للفرد الواحد أن يكون وسيليًا وتعبيريًا فى الوقت ذاته وذلك اعتمادًا على المتطلبات السلوكية لمواقف معينة . وعلاوة على ذلك فإن النضج الشخصى وفقًا لهذا النموذج يرتبط بقدر أكبر من التكامل بين هذه الإمكانات السلوكية(*) .

(*) لمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع يوصى المترجم بمراجعة كل من :

Cook, E. (1985). Psychological Androgyny. New York: Pergamon.

- الأدوار الجنسية والاغتراب بين الشباب الجامعى (للمترجم) . بحث منشور بمجلة كلية التربية جامعة طنطا ١٩٩١ ، ع ١٣ .

وقد أدى هذا التغير المفاهيمى إلى حدوث تغير في قياس هذا الجانب فأصبحت الذكورة المرتفعة على سبيل المثال لا تقتضي ضمنًا قدرًا منخفضًا من الأنوثة . وباستخدام أدوات القياس مثل مقياس الدور الجنسى Sex Role Inventory الذى أعدته ساندرا بيم (١٩٧٤) S. Bem يمكن تصنيف الأفراد فى ضوء وجود بعدين مستقلين للذكورة والأنوثة ، وبالتالى نلاحظ ما يلى :

١ – أن الفرد قد يكون ذكرًا من الناحية السيكلوجية إذا ما ارتفعت درجاته فى الذكورة وانخفضت درجاته فى الأنوثة .

٢ – أنه قد يكون أنثى سيكلوجيًا إذا ما ارتفعت درجاته فى الأنوثة وانخفضت فى المقابل درجاته فى الذكورة .

٣ – أن الفرد قد يكون مختثًا من الناحية السيكلوجية وذلك إذا ما ارتفعت درجاته فى كلا البعدين فى الوقت ذاته .

٤ – أنه قد يكون غير محدد الدور من الناحية السيكلوجية وذلك إذا ما كانت درجاته فى كلا البعدين منخفضة .

وعلى هذا يتضح أن العديد من الرجال والنساء (حوالى ثلاثين فى المائة من إجمالى عدد طلاب الجامعة الذين تضمنتهم عينات الدراسة المختلفة فى هذا الجانب) مختثين سيكلوجيًا إذ يسلكون بأساليب ذكرية وأنثوية فى الوقت ذاته ، وأنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهم أن يأتوا بأنماط سلوكية تميز الجنسين ، وبأنها تكون أقل تقيدًا بنماذج الدور الجنسى . هذا وقد اتضح من خلال الدراسات التى تم إجراؤها فى المعمل أن الرجال المختثين كانوا يشبهون النساء المختثات أو اللائى يتصفن بالأنوثة وذلك فى رعاية أطفالهم الرضع الذين يبلغون الشهر الخامس من أعمارهم إذ أوضحوا قدرًا من الرعاية لأطفالهم أكثر مما أوضحه الرجال الذين يتصفون بالذكورة (Bem & Lenney, 1976; Bem, *et al.*, 1976) .

ومن جانب آخر قام روسيل (١٩٧٨) Russell بدراسة احتمال ارتباط توحد الدور الجنسي بالنسبة للأب كما يقاس بمقياس بيم Bem بمقدار الوقت الذى يقضيه إما بالعناية بأطفاله الأقل سنًا أو فى اللعب الاجتماعى معهم . وافترض أن الآباء الذين يتوحدون إما

مع الدور الخنثوى أو مع الدور الأنثوى فى مقابل الآباء الذين يتوحدون مع الدور الذكرى أو غير محددى الدور ينغمسون بفاعلية مع أطفالهم على أساس من العلاقة اليومية لهؤلاء الآباء بهم . وقد تم التحقق من فرضه هذا وذلك من خلال دراسته لعينة من الأسر الاسترالية واستخدامه لمقاييس عن العناية بالأطفال واللعب معهم تعتمد أساسًا على التقارير الوالدية فكان الآباء المخنثون أكثر انغماسًا من الآباء ذوى الدور الجنسى الذكرى فى العناية بالأطفال واللعب معهم ، وكان الآباء المخنثون وذوو الدور الأنثوى معًا كمجموعة أكثر انغماسًا فى العناية بالأطفال واللعب معهم قياسًا بالآباء ذوى الدور الذكرى وغير محددى الدور معًا كمجموعة . ولم ترتبط درجات النساء على مقياس الدور الجنسى بالوقت الذى يقضينه فى العناية بالأطفال واللعب معهم ، وهو ما أرجعه روسل Russell إلى التحديد الثقافى الصارم لدور الأم .

وتعتبر هذه النتائج على درجة كبيرة من الأهمية حيث تدل على أن أبعاد الشخصية لا تترادف تمامًا مع الجنس البيولوجى ، وقد تهيىء الآباء لأنماط بديلة من التكيف للأبوة يمكن التنبؤ بها . وتتفق هذه النتائج مع تلك التى توصل إليها فين (١٩٧٦) Fein ولام وآخرون (١٩٨٢) Lamb, *et al.* على الرغم من عدم تصنيفهم للآباء باستخدام مثل هذه المحكات النفسية الدقيقة . وتعمل هذه النتائج كأساس لتشجيع إجراء المزيد من الدراسات فى مرحلة المهد ، وبذل الجهود لتوسيع نطاق النتائج التى يتم التوصل إليها باستخدام مقاييس تقوم على الملاحظة .

وتوضح المراجعات التى أجريت على الدراسات الحديثة التى تتناول الفروق الفردية فى السلوك الأبوى فروقًا أكثر مما توضحه الدراسات الوصفية الشاملة إذ قد يتم تناول العلاقة النفسية للأب مع طفله الرضيع الأصغر سنًا على أساس اختلاف أبعاد معينة كالعناية به ، واللعب الاجتماعى معه ، ومدى الاستجابة للإشارات الدالة على الضيق التى تصدر عنه . وتكشف بعض النتائج عن أن مثل هذه الأبعاد أحيانًا ما تتأثر بشكل مختلف بالظروف المصاحبة لولادة الطفل ، والتعقيدات التى تحدث أثناء الولادة وتؤثر على الأم ، والتنظيم الأسرى للأدوار فيما يتعلق بالحصول على الدخل ، وتوحد الأب مع الدور الجنسى . وعلى الرغم من التوصل إلى نتائج تتناقض مع هذه النتائج فإنها تمثل نموذجًا قد يظهر فيه التفاعل بين الموقف وسمات الشخصية . ومع أن المقاييس التى تتناول مدى

انغماس الأب مع الطفل والتى تعتمد على التقارير الوالدية تعتبر أقل إحكامًا فيما تقيسه من إشارات سلوكية فإنها تبدو مناسبة لهذا النمط الأكثر تماسكًا على الرغم من عدم الرضا التقليدى من جانب علماء النفس عن هذا المصدر من مصادر البيانات .

العلاقات المتبادلة بين الأنساق الأسرية الفرعية :

يؤكد اتساع فهمنا للخبرة المبكرة من الوحدة الثنائية التى تضم الأم والرضيع إلى الأسرة التى تضم الأم والأب والرضيع على مشكلة أساسية جديدة تتمثل فى فهم الكيفية التى يؤثر بها التفاعل بين شخصين على شخص ثالث ويتأثر به . ويستخدم برونفينبرينر (١٩٧٤) Bronfenbrenner مصطلح « آثار من الدرجة الثانية » Second order effects كمفهوم يرتبط بالجنس البيولوجى ويتعلق بمثل هذه التأثيرات ، ويرى أنه يجب أن يتم إجراء مزيد من الدراسات حول التنشئة الاجتماعية فى أنساق اجتماعية أكبر تضم أشخاصًا أكثر من الأم والطفل فقط .

وقد قام باركى وآخرون (١٩٧٩) Parke, *et al.* ولويس وفيرنج (١٩٨٢) Lewis & Feiring خططًا تصنيفية بديلة لتلك الآثار من الدرجة الثانية في سبيل فهم مصفوفة التأثيرات السيكلوجية التى تحدث فى الوحدات الاجتماعية الأكبر من الوحدة الثنائية . ومن الملاحظ أن عدد التصنيفات المفاهيمية فى كلا النسقين يزيد عن عدد التصنيفات التى تمت دراستها إمبيريقيًا ، إلا أنها مع ذلك توجه الانتباه إلى عدد من التساؤلات التى لم تتلق قدرًا كافيًا من الانتباه المنظم أو التى تكون قد تلقت تأكيدًا مختلفًا فى العمليات النفسية المختلفة التى ترتبط بها فى الأساس .

ويدفعنا وضع تلك الآثار من الدرجة الثانية فى الاعتبار إلى تناول العلاقة بين الزوج والزوجة ، تلك العلاقة التى تمثل الوحدة الأسرية التى يوليها علم نفس النمو قدرًا ضئيلاً نسبيًا من الاهتمام (Aldous. 1977) . ويعطى التراث السوسيولوجى دليلاً على أهمية هذه العلاقة بالنسبة للسلوك الوالدى ، إلا أن هذا التراث نادرًا ما يتضمن فحصًا دقيقًا للتفاعلات التى تحدث بين الوالد والطفل الرضيع . وإلى جانب ذلك فإن هناك عددًا قليلا من الدراسات تساهم فى إعطاء هذا الدليل أيضًا حاولت دراسة دور الوسائل التهذيبية التى يستخدمها الوالدان فى حدوث مثل هذه التفاعلات . ويتضح من خلالها

أنه يمكننا أن نستخدم فى سبيل ذلك مناهج للبحث تتضمن إما التقارير الوالدية أو ملاحظة السلوك . ومع هذا فنادرًا ما نجد أن إحدى هذه الدراسات تحاول القيام بتوظيف عوامل معينة مثل الرضا الزواجى على سبيل المثال لدراسة مثل هذه التفاعلات وذلك فى ظل أحداث سلوكية موضوعية على أن تتم هذه المحاولة بنفس الطريقة التى يتم بها تقييم الانغماس الوالدى فى أنشطة العناية بالطفل مثلاً سواء تم ذلك عن طريق التقارير الوالدية أو عن طريق الملاحظة .

وهكذا فإن نمط الأسئلة التى تثار فى الدراسات الأخرى والتى يتم فحصها فى ضوء تلك الآثار من الدرجة الثانية يبدو مختلفًا وذلك اعتمادًا على ما إذا كان الباحث يستخدم مقاييس للملاحظة أو يقوم باستنتاج تفسيرات معرفية للخبرة . ونتيجة لذلك فإنه قد يتم تقسيم مراجعة الدراسات التى تتناول العلاقات المتبادلة للأنساق الفرعية الأسرية إلى مجموعتين مختلفتين يمكن تناولهما على النحو التالى :

١ – الدراسات التى تتناول السلوك الوالدى فى مرحلة المهد والذى يتم توجيهه إلى الطفل Situ behavioural investigations. .

٢ – الدراسات التى تتناول التفسيرات المعرفية للخبرة .

أولاً : السلوك الوالدى الموجه نحو الطفل فى مرحلة المهد :

من بين التصميمات التى يتم استخدامها لتقييم الآثار السلوكية لأحد الوالدين كالأب مثلاً على التفاعل الذى يحدث بينه وبين شخصين آخرين كالأم والطفل الرضيع على سبيل المثال ذلك التصميم الذى يقوم على مقارنة السلوك الموجه نحو الطفل من الوالدين والسلوك الذى يصدر عن الطفل فى الجماعات التى تضم أحد الوالدين أو كليهما. إلا أن هذا التصميم يتجاهل القوى النوعية للعلاقة التى تضم الزوج والزوجة والعلاقة التى تضم أحدهما والطفل ، ولكنه فى الوقت ذاته يثير التساؤل حول ما إذا كانت هناك أى آثار بنيوية تؤثر على التفاعل فى الجماعات المختلفة التى تتم فيها تنشئة الطفل اجتماعيًا . ومن الملاحظ أن الدراسات من هذا النوع تغطى الفترة التى تمتد منذ ميلاد الطفل وحتى المرحلة التى يصبح فيها هذا الطفل متحركًا أى أنها تغطى مرحلة

المهد سواء تم إجراؤها فى المستشفى أو فى المعمل أو فى المنزل فى ظل ظروف تتعلق بتركيب الجماعة تتغير تجريبيًا أو طبيعيًا . ومن بين تلك الدراسات التى تمثل هذا النوع دراسات باركى وأوليرى (١٩٧٦) Parke & O'Leary ولام (١٩٧٦ ، ١٩٧٨) Lamb وكلارك – ستيوارت (١٩٧٨) Clarke-Stewart وبلسكى (١٩٧٩) Belsky وبيدرسين وآخرين (١٩٨٠) Pedersen, *et al.* وقد كشفت غالبية هذه الدراسات عن نتائج ثابتة فيما يتعلق بالأطفال الرضع منذ الشهر الخامس من أعمارهم وحتى نهاية مرحلة المهد . وبوجه عام كانت معدلات التفاعل بين الوالد والطفل الرضيع مرتفعة وذلك بشكل ثابت فى الجماعات الثنائية قياسًا بالجماعات الثلاثية . واتضح أيضًا أن أثر تركيب أو تكوين الجماعات كان يبدو عامًا حيث كان يتضح فى مدى كبير من أنماط السلوك التى تصدر عن كل من الوالدين والطفل ، أما وجود الأم أو الأب فى موقف التفاعل فقد كان له نفس الأثر على تفاعل الوالد الآخر مع الطفل الرضيع . إلا أن باركى وأوليرى (١٩٧٦) Parke & O'Leary قد توصلا فى دراستهما التى أجرياها على المواليد الجدد فى المستشفى إلى نتائج تختلف جزئيًا عن ذلك حيث يريان أن معدلات ابتسام كل من الأم والأب للطفل كانت تزداد فى وجود الآخر قياسًا بما كان يفعله كل منهما فى غياب الآخر ، إلا أن هناك بطبيعة الحال الكثير من الأنماط السلوكية الأخرى التى تصدر عنهما يتناقص معدلها فى المواقف الثلاثية .

وعلى الرغم من وجود العديد من النتائج الثابتة فى الدراسات النفسية التى تم إجراؤها فى هذا الصدد فإن ذلك يحمل بطبيعة الحال العديد من النقاط ذات الأهمية والتى يتمثل أولها فى التعرف على الواقع الإيكولوجى (البيئى) الذى يحدث فيه تفاعل كل من الوالدين مع الطفل الرضيع . ويتضح من خلال السجلات التى قام الوالدان بحفظها والتى تغطى فترة زمنية مدتها أسبوع وجود فروق واضحة فى السياق الاجتماعى الذى يوفره كل من الوالدين لتفاعلات الطفل (Pedersen, *et al.*, 1979) . وبالنسبة للأم كانت الجماعة الاجتماعية التى تضم الطفل فى ظل التقسيم التقليدى للعمل الذى يضطلع فيه الأب بمسئوليات كسب العيش هى جماعة ثنائية تضم شخصين فقط هما الأم والطفل دون أن يكون الأب موجودًا ، أما الجماعة الاجتماعية التى تضم الأب مع الطفل فهى جماعة ثلاثية بطبيعة الحال حيث تضم الأم إلى جانبهما . وهذا يدل على أن البيئة الطبيعية

لتفاعل الأب مع الطفل تزداد فى الضعف النسبى قياسًا بما يمكن أن نستنتجه من تلك النتائج التى كشفت عنها الدراسات المختلفة التى كان يتم فيها ملاحظة تفاعل كل والد مع الطفل ممثلاً بذلك مجموعة مستقلة للمقارنة . وربما يرجع ميل العديد من الآباء إلى الانغماس فى أقساط من اللعب الاجتماعى العنيف والمثير كما يرى لام (١٩٧٧) Lamb وكلارك - ستيوارت (١٩٧٨) Clarke - Stewart جزئيًا إلى استجابتهم لأفضلية المعدلات المنخفضة للتفاعلات التى تحدث فى الجماعات الثلاثية .

وفى الوقت الذى قامت فيه الدراسات التى عرضنا لها فى هذا القسم من الفصل الحالى بالتركيز على معدلات متغيرة للتفاعل بين الوالد والطفل فى الجماعات الثنائية والثلاثية يصبح من المهم بالنسبة لنا أن ندرك أن الجماعة الثلاثية تتضمن احتمال قيام علاقة ثنائية إضافية تتمثل فى ذلك التفاعل الذى يحدث بين الزوج والزوجة . ويتضح من خلال الملاحظات التى تمت فى هذا الإطار أن كلا النوعين من الجماعات بما يتضمنه من تفاعلات ينتشر تمامًا كالآخر بين تلك الأسر التى تضمنتها عينة هذه الدراسات (Pedersen, *et al.*, 1979) . وقد اتضح من خلال ملاحظتنا لعينة ضمت أسر الأطفال الرضع الذين يبلغون الشهر الخامس من أعمارهم والتى شملتها دراستنا التى قمنا بإجرائها فى هذا المجال أن نسبة ٥١٪ من فترات الملاحظة التى كان يتواجد فيها كل من الأم والأب والطفل معًا بالمنزل كانت تتضمن تفاعلاً بين الوالدين . وتسمح لنا هذه الملاحظات أن نقوم بفحص التداخل بين التفاعلات الوالدية والسلوك الذى يشمل الطفل وذلك فى سبيل فهم الأساليب التى تختلف بمقتضاها جماعة ثلاثية تتضمن الأم والأب والطفل فى حجمها وديناميتها عن جماعة ثنائية تضم أحد الوالدين والطفل فقط .

وللتعرف على ما إذا كان هناك تزامن بين تفاعل الزوج مع الزوجة والسلوك الذى يتضمن الرضيع تمت ملاحظة ثلاثتهم طبقًا لوجود أو غياب أحد الزوجين عن التفاعل ، كما تمت مقارنة معدلات السلوك الموجه نحو الطفل أثناء تفاعل الوالدين معًا وأثناء عدم تفاعلهما معًا . كذلك فقد تمت تحليلات أخرى لسلوك الأم والأب الموجه نحو الطفل وسلوك الطفل الموجه نحو أى منهما ، وقد أوضحت النتائج وجود تزاوج أو توليف معقد للسلوك فى الجماعة الثلاثية .

ومن ناحية أخرى توضح النتائج أن السلوك يتطلب تركيزًا كبيرًا نسبيًّا للانتباه من جانب الوالد كأن يبقى على التواصل بالعين مع الطفل مثلاً والتحدث إليه والابتسام له واللعب معه وذلك بأساليب مختلفة ، ولكن حينما يحدث تواصل أو تفاعل نشط بين الوالدين يصبح من شأنه أن يعوق التواصل بين الوالد والطفل ، وحينما لا يحدث هذا التواصل بين الوالدين تكون الأنماط السلوكية التى تحدث فى ذلك الوقت أكثر قوة . أما الأنماط السلوكية التى تتطلب قدرًا أقل من تركيز الانتباه كحمل الطفل وهزه أو أرجحته وإطعامه طعامًا جامدًا أى صلبًا فلا تتأثر بما إذا كان هناك تواصل بين الوالدين وبعضهما البعض أم لا . إلا أن هناك استثناء واحدًا لهذا النمط يتمثل فى إرضاع الطفل من ثدى الأم أو من زجاجة الرضاعة حيث كان ذلك شائعًا بدرجة كبيرة خلال الأوقات التى كان يتفاعل فيها الزوج والزوجة معًا . ويمثل هذا السلوك نقطة تقاطع بين سلوك الوالد تجاه الطفل وسلوك الزوج تجاه الزوجة ، إذ قد يقوم كلا النمطين بتعزيز النمط الآخر بالتبادل. ومن المحتمل أن يقوم إرضاع الطفل بتهدئة نشاطه الموجه نحو البيئة الخارجية وذلك بنفس الطريقة التى ينجذب بها كلا الوالدين لبعضهما البعض ويبدآن فى التحدث إلى بعضهما خلال تلك الفترات .

كذلك فقد كان هناك نمطان دالان من التفاعل يتضمنان جنس الوالد والظروف التى يتم فيها التفاعل بين الوالدين . كما أن معدلات التحدث إلى الطفل واللعب معه والذى يتضمن توجيه انتباهه إلى الألعاب قد ازدادت بشكل دال بالنسبة للأمهات قياسًا بالآباء وذلك فى الوقت الذى لم يحدث فيه تواصل بين الوالدين . وتوضح النتائج أيضًا أنه بالنسبة للسلوك المتزامن الذى يتعلق بالتواصل بين الطفل والوالدين فإن الأم والطفل ينجذبان لبعضهما البعض بعدد من الأساليب المختلفة وبشكل أقوى مما يحدث بين الأب والطفل .

ويوضح تقييم سلوك الطفل الموجه نحو كل من الوالدين وعلاقته بالتواصل الذى يحدث بينهما – الوالدين – نتائج مشابهة ، إذ أنه فى الفترات التى لم يكن يحدث فيها تواصل بين الوالدين وعندما كان يتزايد معدل التفاعل الاجتماعى مع الطفل كانت تزداد أيضًا معدلات سلوك الطفل الموجه اجتماعيًّا نحو كل من الأم والأب . كما كان هناك أيضًا أثر دال للتفاعل بين جنس الوالد وبين التواصل الذى يحدث بين الوالدين وذلك

على نظرات الطفل إلى وجه الوالد ، فقد أوضحت النتائج زيادة فى نظرات الطفل إلى الأم أكثر من نظراته إلى الأب ، وهى النتيجة التى يزداد احتمال توازيها للتفاعل الإحصائى الذى يرتبط بقيام الأم بالتحدث إلى الطفل . وتتجاوز هذه النتائج بطبيعة الحال مجرد توضيح حدوث تواؤم فى معدلات السلوك من جانب شريك اجتماعى واحد أو اثنين حيث تكشف عن شبكة معقدة للسلوك تتناظر مع سلوك الوالدين تجاه بعضهما البعض . وقد تعمل الجماعة الثلاثية التى تتشكل نتيجة لوجود الأب فى الموقف على توفير فرص فريدة للتعلم بالنسبة للطفل وتساهم فى زيادة مخزونه السلوكى .

ويتمثل أحد التساؤلات الهامة التى تقوم ملاحظات التفاعل الزواجى والوالدى على تناولها فى ما إذا كانت العلاقات التى تنشأ فى تلك الجماعات تدعم بعضها البعض أو تتصارع مع بعضها البعض . ويمكننا أن نصل إلى بعض الاستنتاجات التى تتعلق بذلك من خلال نتائج الدراسات الوصفية التى عرضنا لها من قبل . ففى الأسرة التى تعمل على التنظيم التقليدى للأدوار نجد أن الأم قد ترغب في القيام بالتفاعل مع شخص راشد بعد فترات طويلة تقضيها فى العناية بالطفل والقيام بالمهام المنزلية ، كما أن الأب هو الآخر قد يرغب فى مناقشة أموره الخاصة معها . وقد يتمثل أحد الحلول لهذه الحاجات فى التنسيق بين فترات تفاعل الزوجين وبين إرضاع الطفل ، وهو ما يعتبر دعمًا للأنشطة التى تختلط معًا بالفعل . وإذا ما رغب أحد الوالدين فى الانغماس فى أنشطة أكثر استقلالاً أو فى القيام بالمهام الأسرية التى تتطلب قدرًا معقولاً من الانتباه فإن الوالد الآخر قد يجد أن هذه الفترات تعتبر مناسبة تمامًا كى يولى الطفل الرضيع مزيدًا من الانتباه . وعلى أى حال فإن مثل هذه الفترات لا تتسق مع تفاعل الزوجين معًا ، وأن محاولة القيام بمثل هذه التغيرات من المحتمل أن تعمل على إدخال حاجات تنافسية فى مجال الانتباه . وهناك بديل آخر يتمثل فى إدراك أن تنظيم تفاعل الزوجين معًا وتفاعل كل منهما أو كليهما مع الطفل يمكنه توجيه الانتباه إلى الطفل أو إلى الزوجين ، وبذلك يتم تلبية حاجات كل عضو من أعضاء الأسرة للتفاعل الاجتماعى دون أن يتم وضع أى عضو فى موضع تنافس مع عضو آخر .

ومن ناحية أخرى فقد استخدم بلسكى (١٩٧٩) Belsky إستراتيجية تحليلية بديلة تركز على الفروق الفردية فى أنماط التفاعل وذلك فى دراسته لعينة من الأسر التى لديها أطفال رضع يبلغون الشهر الخامس عشر من أعمارهم ،واستخدم فيها خطة للملاحظة

اقتبسها من تلك الخطة التى قام بيدرسين وآخرون (١٩٨٠) .Pedersen, et al بتطويرها حتى تسمح بالتشفير التلقائى للتفاعلات التى تحدث بين الوالد وبين الطفل الرضيع والتفاعلات التى تحدث بين الزوج والزوجة . وتم تصنيف التفاعلات التى تحدث بين الزوج والزوجة إلى تلك التفاعلات التى ترتبط بالطفل الرضيع ، وتلك التى لا ترتبط به. وتم بعد ذلك حساب معاملات الارتباط بين الدرجات التى تم الحصول عليها فى كل فئة من هاتين الفئتين وبين معدلات تفاعل كل من الوالدين مع الطفل .

وقد تمثلت النتائج الرئيسية لهذه الدراسة فى أن مضمون التفاعل اللفظى بين الزوج والزوجة يؤثر على السلوك الوالدى سواء كان لهذا المضمون أثر معزز أو مسبب للصراع. كما أن المحادثات التى كانت تدور بين الوالدين حول الطفل كانت ترتبط إيجابيًا بعدد من المقاييس التى تتناول التفاعل بين الأب والرضيع . أما تكرار المحادثات الأخرى فقد ارتبط سلبًا بسلوك الأب على الرغم من أنه كان من النادر أن تكون مثل هذه الارتباطات ذات دلالة . أما بالنسبة للأمهات فلم يوجد سوى القليل من الارتباطات هى التى كانت ذات دلالة إحصائية .

وفى تفسيره لهذه النتائج يرى بلسكى Belsky أن التفاعلات التى تحدث بين الزوج والزوجة وخصوصًا ما يتعلق منها بطفلهما يكون لها أثرها الذي يعمل على تعزيز وتدعيم العلاقة بين الأب والطفل بشكل يفوق أثرها على العلاقة بين الأم والطفل . كما أن التفاعلات الأكثر تكرارًا بين الأب والطفل قد تعمل على إثارة المحادثات بين الوالدين وذلك فى أمور تتعلق بطفلهما . وقد قام بيدرسين وآخرون (١٩٨٠) .Pedersen, et al بإجراء تحليلات مشابهة على ملاحظاتهم للأطفال الرضع الذين يبلغون الشهر الخامس من أعمارهم . وكانت النتائج التى توصل إليها تتفق بوجه عام مع تلك التى توصل إليها بلسكى Belsky فيما يتعلق بكل من اتجاه العلاقة بين الزوج والزوجة والتمايز فى محتوى التفاعل بينهما . كما كان للتفاعلات التى ترتبط بالطفل والتى تحدث بين الزوج والزوجة العديد من الارتباطات الإيجابية الدالة مع معدلات تفاعل الأب مع الطفل ، فى حين كانت الارتباطات التى تمت بين هذه التفاعلات الوالدية وبين معدلات تفاعل الأم مع الطفل سالبة ونادرًا ما كانت دالة . وبوجه عام فإن نتائج هاتين الدراستين تلفت الانتباه

إلى ذلك الدور الوسيط الذى يمكن أن تلعبه العلاقة بين الزوج والزوجة على السلوك الوالدى .

ثانيًا : التفسيرات المعرفية للخبرة :

غالبًا ما تتسم المتغيرات التى تصف العلاقات الزواجية بالتجريد النسبى وإمكانية الاستدلال عليها واستنتاجها وتلخيصها عبر قنوات زمنية طويلة سواء ارتكزت هذه المتغيرات على التقديرات الإكلينيكية للملاحظين أو على التقارير الذاتية التى يتم الحصول عليها من خلال الاستبيانات والمقابلات . وعلى هذا تصبح الأبعاد التى تتصف بغناها بالتضمينات السيكلوجية هى الأكثر صعوبة فى ربطها بمحكات موضوعية إذ يجب أن نفهم ما تعنيه نظرة الملاحظ مثلما يجب أن نعى الواقع الذى تحاول أن تدركه . وفى نفس الوقت توضح الدراسات التى ترتكز على التفسيرات المعرفية للخبرة وجود تقارب فكرى كاف يسلم بأنها تحمل واقعًا سيكلوجيًا له دلالته ومغزاه .

ويصور باولبى (١٩٦٩) Bowlby والذى يعتبر بمثابة البعبع Bete noire للعديد من المنظرين الذين حاولوا دراسة الخبرة المبكرة التى تكمن خلف تلك العلاقة التى تجمع بين الأم وطفلها الرضيع ، يصور الأب بطريقة تؤكد على التأثير من الدرجة الثانية أو غير المباشر الذى يحدثه فى هذا الصدد . ويرى أن الدور الأولى والأساسى الذى يضطلع به الأب يتمثل فى توفير الدعم المالى والمساندة الانفعالية للأم ، وبالتالى يعزز من تلك العلاقة التى تنشأ بينها وبين الطفل الرضيع .

وعلى الرغم من أن بالولبى Bowlby لم يكن مهتمًا بآثار التغير والاختلاف فى قدرة الأب أو رغبته وإرادته كى يوفر للأم هذا الدعم وتلك المساندة ، فإن هذا التساؤل يعتبر امتدادًا طبيعيًا للإطار النظرى الذى قام بصياغته . وقد قام بارى (١٩٧٢) Barry بتطوير هذا الخط من التفكير وذلك فى مراجعته للدراسات التى تناولت العوامل التى تؤثر على الرضا الزواجى أو السعادة . وقام بإلقاء الضوء على تلك النتائج التى تكشف عن أنه يمكن من خلال خلفية الزوج (الأب) كنضجه الانفعالى على سبيل المثال وهوية الدور الجنسى الثابتة لديه ومستواه التعليمى والمهنى التنبؤ بالرضا الزواجى للزوجة ، إلا أنه لم يجد سوى ارتباطات قليلة مشابهة فيما يتعلق بالخصائص المميزة لخلفية الزوجات أنفسهن.

وقد أدى به ذلك إلى استنتاج أن هذه الجوانب المميزة للأب تعتبر بمثابة إشارات ودلائل على قدرته لأن يقدم المساندة الانفعالية لزوجته من خلال علاقتها الزواجية . وافترض بارى Barry أن تلك المساندة الانفعالية تعتبر من أهم العوامل خلال الفترات التى تتسم بحدوث تحول فى الدور ، وأن التحول من دور الزوجة إلى دور الزوجة والأم يعتبر أكثر شمولاً من ذلك التغير الموازى الذى يحدث بالنسبة للرجال .

وهناك دراسات عديدة تقدم تأييدًا مباشرا لذلك الرأى الذى يعتبر أن المساندة الانفعالية التى يقدمها الزوج لزوجته والعلاقات الزواجية الأكثر إشباعًا لها أثرها الذى يعمل على تدعيم وتعزيز مدى كفاءة الأم وإحساسها بالرفاهية والسعادة . وكذلك فإن المساندة الانفعالية التى يقدمها الزوج لزوجته خلال فترة الحمل تساهم فى حدوث تكيف أكثر نجاحًا من جانبها للحمل (Shereshefsky & Yarrow, 1973) . كما أن وجود الزوج مع الزوجة أثناء الولادة يرتبط بحدوث انخفاض فى حاجتها إلى الرعاية الطبية التى تعمل على التخفيف من آلامها ومرورها بخبرة أكثر إيجابية (Henneborn & Cogan, 1975) .

وتعتبر المساندة والتشجيع من جانب الزوج لزوجته عاملاً أساسيًا فى قيامها كأم بعملية إرضاع ناجحة ومشبعة للطفل وذلك من ثدييها (Switzky, *et al.*, 1979) . وتؤكد الدراسات التى تناولت مدى كفاءة الأم فى إرضاع الطفل سواء من ثديها أو من زجاجة الرضاعة وحساسيتها لحاجات طفلها الرضيع وتكيفها معها على أهمية تشجيع الزوج لها ومساندته لها انفعاليًا (Price, 1977; Pedersen, 1975) . وإلى جانب ذلك فإن الأعراض الاكتئابية التى تظهر على بعض الأمهات أثناء فترة ما بعد الولادة ترتبط بالبرود الانفعالى من جانب الأزواج وبعدهم عنهن (Kaplan & Blackman, 1969) . كما ترتبط أيضًا بالزيجات التى تتسم بوجود درجة مرتفعة من التميز فى الأدوار (Oakley, 1979) .

وتؤكد جروسمان وآخرون (١٩٨٠) Grossman, *et al.* فى الدراسة التى أجروها على عينة من الأسر خلال الشهور الثلاثة الأولى من الحمل وحتى نهاية العام الأول بعد الولادة ذلك النمط الكلى للأداء الوالدى والزواجى إذ توصلوا من خلال التحليلات

العديدة التى قاموا بإجرائها إلى أن العلاقة الزواجية التى تم تقييمها خلال الشهور الثلاثة الأولى من الحمل كانت تعتبر مؤشرا قويًا للتوافق النفسى للأم خلال الشهرين التاليين للولادة بل وخلال العام التالى للولادة . وتمثلت المقاييس التى تم استخدامها فى مقياس لوك – والاس Lock - Wallace للتوافق الزواجى ، والتقديرات التى تم الحصول عليها من المقابلات التى أجريت مع الأمهات فى سبيل تقييم مدى سعادتهن انفعاليًا ، إلى جانب مقياسين آخرين للقلق والاكتئاب . وكشفت النتائج عن وجود ارتباط بين معاملة الأم لوليدها الجديد وبعض جوانب ترتبط بأداء الزوج . فكان مستوى القلق عند الزوج ، وعمره الزمنى ، ورضاه الزواجى يرتبط بمهارة الأم فى معاملة طفلها ومقدار ما توفره له من دفء كما يقاس من خلال الملاحظات والمقابلات . واتضح بوجه عام أن الارتباط السيكلوجى لهذه المتغيرات خلال تلك المتغيرات التى تمت فيها عملية التقييم هذه كان أكثر ارتفاعًا بالنسبة للزوجين الذين أصبحا والدين للمرة الأولى قياسًا بأولئك الذين كان لهم خبرة أكبر فى الوالدية أى الذين أصبحوا آباء وأمهات للمرة الثانية أو الثالثة مثلاً . وهذا يدل على أن التحول الأولى باتجاه الوالدية يتأثر بشدة بردود الفعل السيكلوجية لكل من الأم والأب فى حين يتأثر توافقهما مع الأطفال التاليين بالظروف الخارجية وذلك بدرجة أكبر .

ويتفق بارنارد (١٩٨٠) Barnard مع ما تراه جروسمان وآخرون (١٩٨٠) Grossman, *et al.* فيما يتعلق بأهمية المساندة الانفعالية التى يقدمها الأب والأم وذلك فى دراسته الطولية التى أجراها على عينة من الأسر منذ فترة الحمل وحتى العام الرابع من عمر الطفل إذ كشفت النتائج أن تقرير الأم عن مدى مشاركة الأب لها خلال فترة الحمل كشعوره تجاه الحمل مثلاً ، وما إذا كانت ترى أنه يقدم لها المساندة الانفعالية والجسمية أم لا كانت ترتبط بشكل ثابت بمدى انغماس الأم فى حياة طفلها ومدى استجابتها له وذلك خلال الأعوام الأربعة الأولى من حياته كما تقاس من خلال الملاحظات التى تم القيام بها .

وأخيرًا توضح الدراسات التى تناولت مسألة الطلاق كدراسات هيذرنجتون وكوكس وكوكس (١٩٧٨) Hetherington, Cox, & Cox وهيس وكامارا (١٩٧٩) Hess & Camara على سبيل المثال أنه خلال الفترة التالية لحدوث الانفصال بين

الوالدين يرتبط وجود علاقة تتسم بشدة الصراع والخلاف بين الأم والأب باضطراب الأداء والتفاعل بين الوالد والطفل . إلا أن استعادة العلاقة السليمة بين الزوجين (السابقين) تؤدى إلى مزيد من التفاعل الإيجابى بين الوالد والطفل حتى وإن كان الوالدان يعتمدان فى ذلك على نظم وأساليب معينة تبقى على هذا الوضع كما هو ولا يعتمدان على العلاقة الزواجية نفسها .

وعلى الرغم من وجود هذا النمط الثابت لتلك النتائج فإننا يجب أن نسأل عن ماهية المقومات السيكلوجية للمساندة الانفعالية . وقد تبدو الإجابة عن هذا التساؤل فى جزء منها مجرد تكرار للمعنى لا يزيده قوة أو وضوحًا إذ غالبًا ما يقوم الباحثون بالبحث فقط عما إذا كانت الأم تعتبر الأب مصدرًا لهذه المساندة أم لا ، فالمساندة الانفعالية إذن هى ما تدركه الأم على أنه كذلك . أما التعريفات الأكثر موضوعية للمساندة الانفعالية emotional support فتتضمن التقييم الإيجابى من جانب الأب لسلوك الأم تجاه الطفل (Pedersen, 1975) ، والاتفاق بين الوالدين على الأساليب التى سوف يقومان باستخدامها فى تربية الطفل والأهداف الخاصة بذلك (Dickie, *et al.*, 1980) وسهولة التواصل والتفاعل بين الوالدين فى الأمور التى تتعلق بالطفل أو بمشاعرهما الخاصة (Heath, 1976; Painter, 1980) . ومن الملاحظ أن المساندة الانفعالية بالنسبة للعديد من الأسر تعتبر مستقلة تمامًا عن مقدار مشاركة الأب فى العناية بالطفل . ويتفق ديكاى وآخرون (١٩٨٠) Dickie, *et al.* مع بينتر (١٩٨٠) Painter وبارنارد (١٩٨٠) Parnard فى أن العلاقة النفسية بين الوالدين تعتبر أكثر أهمية من مقدار ما يلعبه مدى مشاركة الأب فى العناية بالطفل فى تحديد مدى استجابة الأم للطفل ، وانغماسها فى حياته، ومدى إحساسها بكفاءتها فى هذا الجانب .

ولا يوجد هناك سوى عدد قليل نسبيًا من الأبحاث التى أجريت على مدى استفادة الأب من المساندة الانفعالية التى يقدمها لزوجته فى إقامة علاقة فعالة ومؤثرة بينه وبين طفله الرضيع . ويرجع السبب فى تجاهل هذا الموضوع من جانب الباحثين إلى انتشار أو سيادة تأثير أنماط الدور الجنسى التى تحدد الحد الأدنى لأهمية علاقة الأب المباشرة بطفله الرضيع ، وإدراك أن الأم أثناء التأكيد على أولية علاقتها بالطفل الرضيع فى الأهمية تتسم نسبيًا بالاعتمادية والضعف وبحاجاتها الزائدة إلى المساندة . ونظرًا لأن انغماس الأب

بدرجة مرتفعة فى حياة الطفل الرضيع يتناقض مع القيم التقليدية تصبح القضية إذن أن الأب يحتاج مع ذلك بوجه خاص إلى المساندة الانفعالية للقيام بدوره الوالدى . وقد يكون الموقف مشابهًا لموقف عمل الأم خارج المنزل وانضمامها للقوى العاملة حيث يتطلب ترك نمط سلوكى مجاز ثقافيًا نسقًا للتأييد والمساندة داخل الأسرة وخارجها . (Hoffman & Nye, 1975)

وتوضح الدراسات التى قامت بفحص أثر علاقات المساندة التى تنشأ بين الوالد وبين شخص راشد آخر يكون فى الغالب هو الزوج الآخر وذلك على علاقته بطفله الرضيع اتفاقًا كبيرًا فى النتائج التى كشفت عنها حيث كان كل من الأب والأم يستفيد بدوره من المساندة الانفعالية التى يقدمها له شريكه . وقد وجد ديكاى وآخرون (١٩٨٠) Dickie, *et al.* آثارًا مشابهة ومتساوية بالنسبة للآباء والأمهات الذين يقومون بتقديم المساندة لبعضهم البعض فى الاستجابة المحتملة والمهارات والمعرفة والدفء العاطفى لكل والد تجاه الطفل الرضيع . ويؤكد فين (١٩٧٦) Fein على أهمية النمط التكيفى للأب سواء كان هذا النمط هو النمط التقليدى الذى يقوم على كسب العيش أو النمط غير التقليدى وذلك فيما يتعلق بقيم وتوقعات الزوجة والأم . أما الآباء الذين صادفوا صعوبات فى فترة ما بعد الولادة فكانوا غالبًا غير قادرين على تطوير دور مناسب يتفق مع توقعات شريكاتهم . وتؤكد الدراسات التى تناولت الآباء الذين خبروا اليأس والكآبة كما يرى زاسلو وآخرون (١٩٨١) Zaslow, *et al* على مدى أهمية الوقت المتاح أمام الأب ليكون مع زوجته إضافة إلى كيف أو نوعية العلاقة التى تنشأ بينهما وذلك بالنسبة له . وبذلك يتضح أن النمط الذى تكشف عنه مثل هذه النتائج يتشابه بدرجة كبيرة مع ذلك النمط الذى تكشف عنه الدراسات التى تتناول أثر المساندة الانفعالية من جانب الأب على الأم والأمومة .

وعلى الرغم من تركز المناقشة هنا على دور المساندة التى تقدم من خلال العلاقة الزواجية فى تحقيق الوالدية الفعالة فيجب أن ندرك أن سمات الطفل الرضيع وحاجاته المتغيرة فى مختلف المراحل النمائية قد تعتمد أيضًا على هذه العلاقة الزواجية إذ يرى ليدرمان وسيشور (١٩٧٥) Leiderman & Seashore على سبيل المثال أن الأسر التى مرت بتعقيدات ترتبط بولادة الطفل كالولادة المبتسرة مثلاً قد مرت بمقادير متفاوتة من

التوتر ترتبط بالعلاقة الزواجية . كما أنه قد حدثت حالات طلاق خلال الفترة التى أجريت فيها الدراسة التتبعية وذلك فى الأسر التى خبرت ولادة مبتسرة أكثر مما حدث فى المجموعة الضابطة التى تتألف من الأسر التى تمت ولادة الأطفال فيها بعد فترة حمل كاملة . وقد يرجع ذلك إلى أن الصعوبات التى تواجه الأسرة فى مسايرة الطفل ومتطلباته قد تزيد من حدة التوتر والصراع فى العلاقة الزواجية . وهناك نتائج أخرى توضح أن إدراك الطفل الرضيع من جانب الأسرة على أنه هادئ وغير مزعج أى يأكل جيدًا ويتكيف بسهولة للنظام الذى يفرض عليه من جانب الأسرة وينام جيدًا أثناء الليل، وما إلى ذلك يعتبر أقل ارتباطًا بالإحساس بالأزمة من جانب الوالدين فى المراحل الأولى للوالدية (Russell, 1974) . وقد تفرض الحاجات الخاصة التى تتطلبها رعاية طفل رضيع صغير فى السن نوعًا من التوتر على العلاقة الزواجية كإحساس الوالدين على سبيل المثال بعدم تفرغ كل منهما للآخر بالقدر الكافى ، فى حين نجد أن الطفل الأكبر سنًا الذى يعتبر أكثر استكشافًا للبيئة من حوله قد يعمل على إيجاد نوع آخر من التوتر بسبب الخلافات الوالدية الحادة على وضع الحدود له على سبيل المثال . وهكذا فإن العلاقة الزواجية التى تتلقى المساندة المحتملة قد تتأثر بشكل انتقائى بالمشكلات التى تثيرها الخصائص التى تتعلق ببنية الطفل أو مزاجه ، بالإضافة إلى تلك المطالب الوالدية المتغيرة فى مختلف المراحل النمائية .

وتفترض كوك (١٩٧٩) Cook احتمال وجود تفاعل إحصائى بين سمات الرضيع وبين الرضا الزواجى يؤثر على العلاقات المتبادلة بين الوالد والرضيع . ولذا قامت فى دراستها بتصنيف الأطفال الرضع إلى مرتفعى ومنخفضى التنظيم السلوكى وذلك اعتمادًا على مقاييس تقييم سلوك المواليد الجدد التى أعدها برازيلتون Assessment Scales Brazelton Neonatal وقياس الرضا الزواجى باستخدام مقياس لوك – والاس Locke – Wallace . أما تبادلية العلاقة بين الوالد والرضيع فتم تحديدها من خلال تسجيل الفيديو لموقف يتضمن التفاعل وجهًا لوجه بين الوالد والرضيع عندما كان ذلك الرضيع يبلغ من العمر شهرًا واحدًا .

وقد تمثلت أكثر أنماط التفاعل إيجابية بين الوالد والرضيع بغض النظر عن جنس الوالد الذى كان يشترك مع الرضيع فى ذلك التفاعل تمثلت فى تلك التفاعلات التى

اشترك فيها أولئك الآباء والأمهات الذين قرروا أنهم يتمتعون بمستويات مرتفعة من الرضا الزواجى وأن طفلهم الرضيع يعتبر ذا نظام عضوى متكامل . وقد أظهر الأزواج والزوجات مرتفعو الرضا الزواجى تباينًا ضئيلاً فى درجاتهم الدالة على تفاعلهم مع أطفالهم الرضع وهو ما يؤكد أن الرضا الزواجى يمكنه أن يخفى أثر الفروق فى النظام العضوى التكاملى للرضيع . أما الزوجات والأزواج ذوو التوافق الزواجى المنخفض فقد بدوا أكثر تأثرًا بنوعية الطفل الرضيع التى كان عليهم أن يقوموا بالتوافق معها . وعلاوة على ذلك فقد كان هناك ميل من جانب الآباء كى يصبحوا أكثر تأثرًا من الأمهات بالمستوى التنظيمى الذى كان عليه أطفالهم الرضع . وبالتالى فإن مثل هذه الدراسات تثير فروضًا شيقة تعتبر جديرة بالاهتمام وخاصة فيما يتعلق بالرؤية الشاملة للأداء الوالدى والزواجى .

ومن الجدير بالذكر أن مراجعة نماذج للتفاعل بين العديد من الأنساق الفرعية الأسرية تفتح الباب أمام عدد من التساؤلات مالت إستراتيجية الدراسات الوصفية الشاملة إلى تجاهلها ، وبالتالى يمكن الإجابة عنها من خلال إجراء دراسات جديدة . وإذا ما نظرنا إلى آثار الأب على نمو الطفل من منظور النسق الأسرى فسوف نجد أن مثل هذه الآثار تبدو أكثر تعقيدًا .

كذلك لا يجب ان ننظر إلى العلاقة بين الأم والطفل الرضيع والعلاقة بين الأب والطفل الرضيع على أنها تنشأ فى فراغ سيكلوجى مسترشدين فى ذلك بما تم من أبحاث فى الماضى إذ سيكون ذلك ضربًا من الخيال بل يجب أن نستبدل تلك النظرة بمزيد من المحاولات الطموحة فى سبيل وضع إطار نظرى مفاهيمى حول مدى متسع من الخبرات التى ترتبط بالسببية النفسية داخل الأسرة ومزيد من الأفكار الأكثر تعقيدًا حولها .

* * *

مراجع الفصل التاسع

Aldous, J. (1977). Family Interaction patterns. Annual Rcivew of Sociology. 3. 105-135.

Bakan, D. (1966). The duality of human existence. Chicago :Rand McNally.

Barry. W. A. (1970). Marriage research and conflict : An integrative review. Psychological Bulletin, 73. 41 – 54.

Belsky, J. (1979). Mother-father-infant interaction :A naturalistic observational study. Developmental Psychology, 15, 601-607.

Belsky. J. (1979). The interrelation of parental and spousal behavior during infancy in traditional nuclear families :An exploratory analysis. Journal of Marriage and the Family, 41. 749-755.

Bem. S. L. (1974). The measurement of psychological androgyny. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 42, 155-162.

Bem, S. L., & Lenny, E. (1976). Sex typing and the avoidance of corss-sex behaviour. Journal of Personality and Social Psychology, 33, 48-54.

Bem, S. L., Martyna, W., & Watson, C. (1976). Sex typing and androgyny: Further explorations of the expressive domain.. Journal of Personality and Social Psychology. 34., 1016-1023

Barnard, K. E. (1980). Maternal involvement and responsiveness: Definition and developmental course Paper presented at the Second international Conference on Infant Studies. New Haven. Conn.

Block J. H., (1973). Conceptions of sex role: Some cross-cultural and longitudinal perspectives, American Psychologist, 28, 512-526.

Bottoms. S. F., Rsoen, M. G., & Sokol, R. J. (1980). The increase in the cesarean birth rate. New England Journal of Medicine, 302, 559-563.

Bowlby, J., (1969). Attachment and loss. Vol. l. Attachment. New York: Basic Books.

Bradley, C. (1977). The effects of hospital experience on postpartum feelings and attitudes of women. Unpublished doctoral dissertation., University of British Columbia.

Bronfenbrenner, U. (1974). Developmental research, public policy and the ecology of childhood. Child Development. 45,1-5.

Clarke-Stewart, K. A. (1978). And daddy makes three: The father's impact on mother and young child. Child Development, 49, 466-478.

Cook, A. H. (1978). The working mother: A survey of problems and programs in nine countries. Ithaca, N. Y. : Cornell University Press.

Cook, N. I. (1979). Analysis of marital and infant factors in evolving family relationships. Paper presented at the meeting of the Society for Research in Child Development, San Francisco, April.

Dickie, J. R., Schuurmans, S. M., & Schang, B. J. (1980). Mothers, fathers, infants - What makes the triad work ? Paper presented at the meeting of the American Psychological Association, Montreal, September.

Doering, S. G., & Entwisle, D. R. (1975). Preparation during pregnancy and ability to cope with labor and delivery. American Journal of Orthopsychiatry, 45,825-837.

Fein, R. A. (1976). Men's entrance to parenthood. Family Coordinator, 25,341-348.

Greenberg, M., & Morris, N. (1974). Engrossment: The newborn's impact upon the father. American Journal of Orthopsychiatry, 44, 520-531.

Grossman, F. K., Eichler, L. S., & Winickoff, S. A. (1980). Pregnancy, brith and parenthood. San Francisco: Jossey Bass.

Heath, D. H. (1976). Competent fathers: Their personalities and marriages. Human Development, 19, 26-39.

Heilbrun, A. B. (1976). Measurement of masculine and feminine Sexrole identities as independent dimensions. Journal of Consulting and Clincial Psychology, 44, 183-190.

Henneborn, W. J., & Cogan, R. (1975). The effect of husband participation on reported pain and probability of medication during labor and birth. Journal of Psychosomatic Research, 19, 215-222.

Hess, R. D., & Camara, K. A. (1979). Post-divorce relationships as mediating factors in the consequences of divorce for children. Journal of Social Issues, 35, 79-96.

Hetherington, E. M., Cox, M., & Cox, R. (1978). The aftermath of divorce. In J. H. Stevens, Jr., & M. Mathews (Eds.), Mother-child, father-child, relationships, Washington, D.C: National Association for the Education of Young Children.

Hoffman, L. W. (1977). Changes in family roles, socialization, and sex differences. American Psychologist, 32, 644-657.

Hoffman, L. W., & Nye, F. I. (1975). Working mothers. San Francisco: Jossey-Bass.

Kaplan, E. H., & Blackman, L. H. (1969). The husband's role in psychiatric illness associated with childbearing. Psychiatric Quarterly, 43, 396-409.

Klaus, M. H., & Kennell, J. H. (1976). Parent-infant bonding. St. Louis : Mosby.

Lamb, M. E. (1976). Effects of stress and cohort on mother- and father - infant interaction. Developmental Psychology, 12,435-443.

Lamb, M. E. (1977). The development of mother-infant and father-infant attachment in the second year of life. Developmental Psychology, 13, 637-648.

Lamb, M. E. (1978). The effects of the social context on dyadic social interaction. In M. E. Lamb, S. J. Suomi, & G. R. Stephenson (Eds.), Social interaction analysis : Methodological issues. Madison: University of Wisconsin Press.

Lamb, M. E., Frodi, A. M., Hwang, C. P., & Frodi, M. (1982). Varying degree of paternal involvement in infant care. In M. E. Lamb (Ed.), Nontradional families. Hillsdale, N. J. : Lawrence Erlbaum Associates.

Leiderman, P. H., & Seashore, M. J. (1975). Mother-infant separation : Some delayed consequences. Ciba Foundation Symposia, 33 (New Series).

Doering, S. G., & Entwisle, D. R. (1975). Preparation during pregnancy and ability to cope with labor and delivery. American Journal of Orthopsychiatry, 45, 825-837.

Fein, R. A. (1976). Men's entrance to parenthood. Family Coordinator, 25, 341-348.

Greenberg, M., & Morris, N. (1974). Engrossment :The newborn's impact upon the father. American Journal of Orthopshychiatry, 44, 520-531.

Grossinan, F. K., Eichler, L. S., & Winickoff, S A., (1980). Pregnancy, brith and parenthood. San Francisco: Jossey - Bass.

Heath, D. H. (1976). Competent fathers Their personalities and marriages. Human Development, 19, 26-39.

Heilbrun, A. B. (1976). Measurement of masculine and feminine Sexrole identities as independent dimensions. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 44, 183-190.

Hennebon, W. 1., & Cogan, R. (1975). The effect of husband participation on reported pain and probability of medication during labor and birth. Journal of Psychosomatic Research, 19, 215-222.

Hess, R.D., & Camara, K. A. (1979). Post-divorce relationships as mediating factors in the consequences of divorce for children. Journal of Social Issues, 35, 79-96.

Hetherington, E. M., Cox, M., & Cox, R. (1978). The aftermath of divorce. In J. H. Stevens, Jr., & M. Mathews (Eds.), Mother-child, father-child relationships Washington, D.C: National Association for the Education of Young Children.

Hoffman. L. W (1977). Changes in family roles, socialization, and sex differences. American Psychologist. 32. 644-657.

Hoffman. L. W., & Nye, F. I. (1975). Working mothers. San Francisco : Jossey-Bass.

Kaplan, E. H., & Blackman, L. H. (1969). The husband's role in psychiatric illnes associated with childbearing Psychiatric Quarterly, 43, 396-409.

Klaus, M. H., & Kennell, J. H. (1976). Parent-infant bonding. St. Louis : Mosby.

Lamb, M. E. (1976). Effects of stress and cohort on mother - and father - infant interaction. Developmental Psychology, 12,435-443.

Lamb, M. E. (1977). The development of mother-infant and father-infant attachment in the second year of life Developmental Psychology. 13. 637-648.

Lamb, M. E. (1978). The effects of the social context on dyadic social interaction . In M. E. Lamb, S. J. Suomi, & G. R. Stephenson (Eds.), Social interaction analysis : Methodological issues. Madison: University of Wisconsin Press.

Lamb, M.E., Frodi, A. M., Hwang, C. P, & Frodi. M. (1982). Varying degree of paternal involvement in infant care. In M. E. Lamb (Ed.), Nontradional families. Hillsdale, N, J. : Lawrence Erlbaum Associates.

Leidermnan. P. H., & Seashore, M. J. (1975). Mother-infant separation : Some delayed consequences. Ciba Foundation Symposia, 33 (New Series).

Lewis, M., & Feiring, C. (1982). Direct and indirect interactions in social relations. In L. Lipsitt (Ed.), Advances in infancy research, Vol. 1 . Norwood, N. J. : Ablex.

Oakley, A. (1979). Becoming a mother. Oxford : Martin Robertson.

painter, S. L. (1980). Maternal adaptation to parenthood. Unpublished doctoral dissertation, University of British Columbia.

Parke, R. D., & O'Leary, S. (1976). Father - mother - infant interaction in the newborn period: Some findings, some observations, and some unresolved issues. In K. A. Riegel & J. Meacham (Eds.), The developing individual in a changing world, Vol.2. Social and environment issues . The Hague : Mouton.

Parks, R.D., Power, T. G., & Gottman, J. (1979). Conceptualizing and quantifying influence patterns in the family triad. In M. E. Lamb, S. J. Suomi, & G. R. Stephenson (Eds.), Social interactional analysis : Methodolgical issues. Madison: University of Wisconsin Press.

Parke, R. D., & Sawin, D. B. (1968). The family in early infancy: Social interactional and attitudinal analysis. In F. Pedersen (Ed.), The father-infant relationship : Observational studies in the family setting. New York: Praeger.

Parsons, T., & Bales, R. F. (1955). Family, socialization , and interaction process. Glencoe. Ill.: Free Press.

Pedersen, F. (1975). Mother, father and infant as an interactive system. Paper presented at the annual convention of the American Psychological Association, Chicago.

Pedersen, F. A., Anderson, B.J., & Cain, R. L. (1980). Parent-infant and husband-wife interactions observed at age five months. In. F. Pedersen (Ed.), The father-infant relationship : Observational studies in the family setting. New York : Praeger.

Pedersen, F. A., Cain, R. L., Zaslow, M. J., & Anderson, B. J. (1982). Variation in infant experience associated with alternative family roles. In L. Laosa & I. Sigel (Eds.) Families as learning environments for children. New York: Plenum.

Pedersen, F. A., Yarrow, L. J., Anderson, B. J., & Cain, R. L. (1979). Conceptualization of father influences in the infancy period. In M. Lewis & L. Rosenblum (Eds.), The child and its family. New York: Plenum.

Pedersen, F. A., Zaslow, M. J. , Cain, R. L., & Anderson, B. J. (1982). Cesarean childbirth: psychological implications for mothers and fathers. Infant Mental Health Journal.

Peterson, G. H. , Mehl, L.E., & Leiderman, P. H. (1979). The role of some birth-related variables in father attachment. American Journal of Orthopsychiatry, 49, 330-338.

Price. G. (1977). Factors influencing reciprocity in early mother-infant interaction . Paper presented at the meeting of the Society for Research ill Child Development, New Orleans, March.

Russell, C. (1974). Transition to parenthood : Problems and gratification. Journal of Marriage and the Family, 36,294-301.

Russell, G. (1978). The father role and its relation to masculinity, femininity, and androgyny. Child Development, 49,1174-1181.

Shereshefsky, P. M., & Yarrow, L. 1. (1973). Psychological aspects of a first pregnancy and early postnatal adaptation. New York :Raven Press.

Spence, J. T., & Helmreich, R. L. (1978). Masculinity and femininity. Austin : University of Texas Press.

Svejda, M. J.,Campos, J. J., & Emde, R. N. (1980). Mother-infant "bonding" Failure to generalize. Child Development, 51,775-779.

Switzky, L.T., Vietze, P., & Switzky, H. (1979). Attitudinal and demographic predictors of breast-feeding and bottle-feeding behavior in mothers of six-week-old infants. Psychological Reports, 45, 3-14.

Tanzer, C., & Block, 1. (1972). Why natural childbirth? New York :Doubleday.

U.S. Department of Labor. (1979). Working mothers and their children. Washington, D. C.: U.S. Government Printing Office.

Vietze, P. M., MacTurk R. H., McCarthy, M. E., Klein, R. P., & Yarrow, L. J. (1980). Impact of mode of delivery on father-and mother-infant interaction at 6 and 12 months. Paper presented at the International Conference on Infant Studies, New Haven, Conn., March.

Vietz, P. M., & O'Connor, S. (1980). Mother-to-infant bonding: A review . In N. Kretchmer & J. Brasel (Eds.), Biomedical and social bases of pediatrics. New York : Masson.

Wente, A. S., & Crockenberg, S. B. (1976). Transition to fatherhood: Lamaze preparation, adjustment difficulty and the husband - Wife relationship. The Family Coordinator, 25, 351-357.

Young, S. F. (1975). Paternal involvement as related to maternal employment and attachment behavior directed to the father by the one-year-old infant. Unpublished doctoral dissertation, Ohio State University.

Zaslow, M. J., Pedersen, F. A., Kramer, E. & Cain, R. L. (1981). "Postpartum depression" in new fathers. Paper presented at the meeting of the Society for Research in Child Development, Boston, April.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل العاشر

الأب كعضو فى شبكة العلاقات الاجتماعية للطفل

ميخائيل لويس M. Lewis

كانديس فيرنج C. Feiring

مارشا وينروب M. Weinraub

obeikandl.com

obeikandl.com

عندما بدأ لويس ووينروب (١٩٧٦) Lewis & Weinraub فى تناول دور الأب فى نمو الطفل قررا أنه من الضرورى أن نقوم فى سبيل ذلك بفهم الشبكة الاجتماعية الأكبر بالنسبة للطفل ، وهو ما افترضه وينروب وآخرون (١٩٧٧) Weinraub, *et al.* عند مراجعتهم الناقدة لنظرية التعلق ، والذى تم التوسع فيه بعد ذلك فى عدد من الأبحاث إذ تناوله وينروب (١٩٧٨) Weinraub ولويس وفيرنج (١٩٧٨ ، ١٩٧٩) Lewis & Feiring ولويس (١٩٧٩) Lewis . ويعتبر الفصل الحالى بطبيعة الحال امتدادًا وتطورًا طبيعيًّا لهذه الفكرة .

ومن الجدير بالذكر أنه كان من المقبول نسبيًّا حتى وقت قريب أن تقول كما يدعى العديد من علماء النفس أن الأم تعتبر هى الموضوع الاجتماعى الوحيد الذى يمثل أهمية بالنسبة للرضيع . إلا أنه فى الوقت الذى تغيرت فيه هذه الفكرة لا يزال التراث السيكلوجى حول هذا الموضوع يتناول دور الأم فى نمو الطفل ، فتقوم العديد من الدراسات التى تتناول النمو الاجتماعى للأطفال بتفحص تلك العلاقة التى تنشأ بين الأم والطفل أو تفاعلهما معًا . وعلى الرغم من عدم وجود اتجاه دقيق يقوم بدراسة العلاقة بين الأم والطفل فى مقابل العلاقة بين الأب والطفل فإن عدد الدراسات التى تتناول الأم لا يزال متفوقًا على عدد الدراسات التى تتناول الأب أو الأسرة .

وإلى جانب ذلك فإن اللغة التى يستخدمها العلم مع تطوره لا تزال تعكس إنحيازًا إلى جانب الأم على أنها هى القائم الوحيد على تنشئة الطفل اجتماعيًا فيشير سنو (١٩٧٢) Snow على سبيل المثال إلى تلك اللغة التى يتم توجيهها إلى هذه الكائنات الصغيرة أى الأطفال ، وهى تلك اللغة التى تتسم جزئيا بنغماتها العالية ، وبالحديث المبالغ فيه ، وبالتركيب المبسط للجمل التى تتضمنها ، يشير إليها بأنها نمط الحديث الموجه من شخص راشد إلى الطفل ويرى أنها ترتبط باللغة الأم وتتفرع عنها .

ويعكس انتشار عدد الدراسات التى تتناول العلاقة بين الأم والطفل حقائق معينة نقوم بتلخيصها فى النقاط التالية:

أولاً : على الرغم من أن العديد من الباحثين يرون أن دراسة النمو الاجتماعى (والمعرفى) تتطلب تناولها من منظور أكثر اتساعًا من مجرد التركيز على تلك الجماعة الثنائيه التى تتكون من الأم والطفل . (e,g, Lewis & Rosenblum, 1979) فإنه لا يوجد سوى عدد قليل نسبيًا من الدراسات هى التى تناولته من هذا المنظور.

ثانيًا : على الرغم من زيادة معدل توظيف الأمهات وزيادة عدد الأطفال الأصغر سنًا الذين يذهبون إلى الحضانات ومراكز الرعاية النهارية (Bronfenbrenner, 1974) فإن غالبية الأطفال صغار السن لا تزال أمهاتهم هى التى تقوم على العناية بهم . وبسبب العوامل الاجتماعية والاقتصادية فإنه حتى أولئك الأطفال الذين يتلقون عناية بديلة كتلك التى توجد فى مراكز الرعاية النهارية يتلقون عادة عناية من أم أخرى غير أمهاتهم.

ثالثًا : على الرغم مما يراه باركى وأوليرى (Parke & O'Leary ١٩٧٥) من أن الآباء لديهم قدرة تتساوى مع الأمهات فيما يتعلق بالعناية بالمواليد الجدد ورعايتهم ، فإنه تبقى حقيقة لا يمكن الهروب منها هى أن الكفاءة فى العناية بالأطفال ورعايتهم وطريقة أداء هذا الدور لا يرتبط بالضرورة بتلك القدرة ، كما أنها لا ترتبط دومًا بها فى حالة قيام الآباء بذلك الدور . وعلى الرغم من الحركة النسائية التى بدأت فى الستينيات فإن أنماط السلوك المنمطة جنسيًا من جانب الأطفال والراشدين داخل الأسرة قد بقيت نسبيًا دون أن تتغير (Zill, 1979) . وإذا ما نظرنا إلى ذلك الدور الذى يحدده المجتمع الأمريكى للأنثى فسوف نجد أنه يتضمن العناية بالأطفال ، بينما لا يتضمن الدور الذكرى القيام بذلك . ومن هنا فلن يكون من المدهش أن نجد أن الأم قد بقيت هى الموضوع الأساسى الذى نال كثيرًا من التركيز والاهتمام عند تناول نمو الطفل وذلك للعديد من الأسباب النظرية والتجريبية والعملية التى تتعلق بهذا الجانب .

ولكى نصل إلى مزيد من الفهم لذلك الوضع النظرى الذى جعل من الأم العامل الوحيد والأساسى على التنشئة الاجتماعية للطفل يصبح من الضرورى بالنسبة لنا أن نقوم فى هذا الصدد بمراجعة مختصرة للسياق التاريخى الذى يتناول هذا الوضع ، وهو ما سنعرض له فى النقطة التالية .

نظرة تاريخية لتطور الأدوار الوالدية :

يمكننا أن نلخص الاهتمام العام للبحث السيكولوجى فيما يتعلق بهذا الموضوع فى التساؤل البسيط التالى :

ما هى العوامل التى تكمن خلف سلوك الكائنات المختلفة وتدفعها إلى ذلك السلوك ؟ ومن الجدير بالذكر أن هناك العديد من المفاهيم توضع فى الاعتبار عندمحاولة الإجابة عن هذا السؤال ، وتمثل هذه المفاهيم جزءًا من الإجابة . ومن هذه المفاهيم الحاجات والدوافع والبواعث . وتحدد الاتجاهات النظرية المختلفة عددًا مختلفًا من المصطلحات التى ترتبط بتلك المفاهيم ، وسوف نقوم نحن بدورنا بالتركيز على الدوافع لأن علم النفس الأمريكى كان ولا يزال يهتم بمثل هذه المفاهيم .

ويميز المنظرون الذين تناولوا الدوافع وغيرهم من المنظرين بين نمطين أساسيين للدوافع ، يتمل أولهما فى الدوافع الأولية أى البيولوجية الفطرية ، فى حين يتمثل ثانيهما فى الدوافع الثانوية أو المكتسبة . وتقوم الدوافع الأولية بإثارة وتوجيه تلك الوظائف التى ترتبط بوجه خاصة بالأداء البيولوجى للكائن الحى كالأكل والشرب على سبيل المثال ، أما الدوافع الثانوية أو المكتسبة فتتمثل فى تلك الوظائف التى تظهر وتتكون خلال إشباع الدوافع الأولية ، ومن أمثلتها الاستقلال والحب .

ومن المعروف أن كلاً من هارلو وباولبى Harlow & Bowlby قد قاما بتوجيه كتاباتهما فى الأساس نحو مثل هذه الصياغة النظرية لبيولوجيا الإنسان ونظريات الدافعية . فيرى باولبى (١٩٥١) Bowlby أن العناية المناسبة ، والاهتمام ، والحب من جانب الشخص القائم على العناية بالطفل تعتبر أمورًا ضرورية لبقاء الكائن الإنسانى الصغير على قيد الحياة . وبدون مثل هذه العناية فسوف لن يقدر الرضيع على النمو والازدهار فحسب ، بل قد يموت أيضًا . ونتيجة لذلك يرى باولبى Bowlby عن طريق إثارة محكات البقاء أو عدم القدرة على التفتح والازدهار أى النمو أن الحب والعناية من جانب شخص راشد لصغار الكائنات لا يعتبر دافعًا ثانويًا بل يعتبر دافعًا أوليًا . فإذا كانت الحاجة إلى الطعام دافعًا أوليًا لأن الطفل لا يستطيع أن يحيا بدونه ، فإن الحاجة إلى الحب والعناية تعتبر كذلك هى الأخرى . وكما فعل هارلو وهارلو (١٩٦٥) Harlow & Harlo

وسبيتز (١٩٤٥) Spitz فإن باولبى Bowlby قد دفع بالعناية والحب من وضعهما كدوافع مكتسبة وبالتالى غير بيولوجية إلى الجانب البيولوجى لتصبح دوافع أولية من وجهة نظره. وفى ذلك الوقت كان علماء النفس الأمريكيين أمثال سيرز Sears, Sears) et al., 1957) يحاولون القيام بإعادة صياغة مفاهيم التحليل النفسى فى نظرية للتعلم، وبذلك جعلوا من الاستقلالية دافعًا ثانويًا يشتق من حاجة الطفل إلى الطعام.

ويذهب باولبى (١٩٦٩) Bowlby فى نظريته عن التعلق خطوة إلى الأمام أبعد من مجرد الإثبات والبرهان للأهمية الأولية للحب على نمو الرضيع الإنسانى. وفى إطار رغبته فى جعل الحب ضرورة بيولوجية وحاجة ملحة للنمو والنضج ينادى بالولبى Bowlby بالوحدة البيولوجية بين الأم والرضيع. ويرى أن الثنائى الذى يضم الأم والرضيع يعتبر بمثابة وجود أو كينونة بيولوجية مزودة بملامح وسمات فريدة. وتتميز مثل هذه العلاقة بين الأم والطفل عن كل العلاقات الأخرى، كما أنها تشتق من الضرورات البيولوجية والتطورية.

وباتباع خطوات باولبى Bowlby أصبح العديد من الباحثين أمثال إينسويرز (١٩٦٤) Ainsworth وشافر وإميرسون (١٩٦٤) Schaffer & Emerson مهتمين بالبحث فى الملامح الخاصة للعلاقة بين الأم والطفل. وقد قامت الأبحاث التى نتجت عن هذا الاهتمام والتى أصبحت تعرف بالتراث السيكلوجى للتعلق بوظيفة هامة فى تركيز اهتمامنا على العلاقة المبكرة التى يقيمها الطفل مع الشخص القائم على العناية به. وتقوم مثل هذه العلاقة بدور أساسى أو أولى فى التأثير على مستوى النمو العقلى والنمو الاجتماعى التالى للطفل وتحديده. ومع ذلك فقد أصبح واضحًا بدرجة كبيرة أن النمو الاجتماعى والانفعالى والعقلى للطفل الصغير لا يتحدد فقط بالعلاقة بين الأم والطفل.

وتفترض نظريات التعلق عند كل من باولبى (١٩٦٩) Bowlby وإينسويرز (١٩٦٩) Ainsworth نموذجًا متعاقبًا للنمو (Lewis, 1979). وتتمثل المقدمة الأساسية لهذا النموذج المتعاقب فى الافتراض بأن هناك علاقة مباشرة تربط بين كل مجموعة من الخبرات الاجتماعية ومجموعة الخبرات التالية لها. وطبقًا لهذا النموذج توجد علاقة خطية بين العلاقة الأولية للرضيع مع أمه وبين العلاقة التالية التى يقيمها مع الآخرين الذين

يأتون بعد ذلك ومنهم الأب بطبيعة الحال . ويعتبر هذا النموذج أن العلاقات الاجتماعية التالية وخاصة تلك التى يقيمها الطفل مع الأقران والتى يقيمها مع الأب تعتمد على علاقة التعلق الأولية التى تنشأ بينه وبين أمه . وقد قامت العديد من الدراسات التى يتضمنها التراث السيكلوجى حول هذا الموضوع بتناول النمو التالى للعلاقة مع الأقران والتى تتطور من علاقة الطفل بأمه . ومن هذه الدراسات نجد على سبيل المثال دراسات هارتوب (١٩٨١) Hartup ولويس وشافر (١٩٨٠) Lewis & Schaffer وواترز وآخرين (١٩٧٩) Waters, *et al.* وماتاس وآخرين (١٩٧٨) Matas, *et al.* .

ومن جانبنا قمنا نحن أيضًا بافتراض نموذج بديل يسمى بنموذج الشبكة الاجتماعية يصور النمو الاجتماعى للطفل الرضيع فى إطار سياق أكبر من مجرد تناول العلاقة بينه وبين أمه (Lewis & Feiring, 1978, 1979; Lewis, 1979; Edwards & Lewis, 1979) . وطبقًا لهذا النموذج تبقى العلاقة الاجتماعية الوظيفية بين مختلف السياقات أو الأنساق مستقلة نسبيًا . وفى الوقت الذى يسود فيه بين هذه الأنساق شعور أو عاطفة متبادلة نجدها مع ذلك لا تتطور خطيًا مع بعضها البعض ، وبدلاً من ذلك تتكون العلاقة الاجتماعية فيها بشكل تلقائى وليس بشكل تتابعى ، وتقوم بالوفاء بالحاجات الاجتماعية المختلفة والمتعددة . وبذلك تتمثل المهمة الأساسية عند دراسة النمو الاجتماعى للرضيع فى التعرف على ذلك الترابط المتسق لمصفوفة الحاجات والموضوعات الاجتماعية (Edwards & Lewis, 1979; Lewis & Feiring, 1979) .

ومرة أخرى نلاحظ فيما يرتبط بالعلاقات الاجتماعية أن النسقين اللذين تتم دراستهما ومناقشتهما باستمرار من جانب المؤيدين لهذا النموذج هما نسق العلاقات بين الأم والطفل ونسق العلاقات بين الطفل والأقران (e.g. Hartup, 1981; Lewis & Schaffer, 1980; Lewis, 1979) . ومع ذلك يمكننا أن نقوم بتصوير وتناول نمو تلك العلاقة التى تنشأ بين الأب والرضيع فى إطار هذا النموذج أيضًا .

وفى ضوء نموذج الشبكة الاجتماعية تتم رؤية العلاقات الاجتماعية للطفل على أنها تتركز حول حاجاته وحول تلك الطريقة المحددة ثقافيًا لإشباع مثل هذه الحاجات فتقوم بعض الثقافات على سبيل المثال بتدعيم وتعزيز استخدام تعدد مصادر العناية

بالطفل وذلك من جانب كل من الأم أو الأخوات الأكبر سنًّا أو من جانب إحدى الصديقات (Whiting & Whiting, 1975) . كما تقوم ثقافات أخرى بتأييد فكرة مراكز الرعاية النهاية حيث يوجد العديد من الراشدين ، بينما يؤيد آخرون ذلك التقليد الذى يقتضى أن تقوم الأم برعاية طفلها والعناية به . وتعمل القيم والأهداف الخاصة فى ثقافة معينة بتحديد طبيعة الشبكة الاجتماعية أى عدد وطبيعة الأفراد الذين تضمهم تلك الشبكة والمهام المناطة بكل منهم . ففى الثقافات التى تقوم فيها الأم فقط بالتفاعل مع الرضيع خلال أول عامين أو ثلاثة من عمره تقوم الأم فى الغالب بأداء كل الوظائف التى تتعلق بأمر العناية به . وبالتالى تختلف الشبكة الاجتماعية للطفل فى مثل هذه الثقافة عن الشبكة الاجتماعية لطفل آخر فى ثقافة أخرى تقوم فيها الأم أيضًا بشئون العناية به إلا أن ذلك يتم فى الوقت الذى يمكن فيه للأب والأقران أن يأخذوا دورًا فى هذا الشأن ، كما أنها لا تزال تختلف أيضًا عن تلك الشبكة الاجتماعية التى توجد فى ثقافة أخرى تقوم فيها الأخوات الأكبر سنًّا من الطفل بأمر العناية به .

وتدل العلاقة المتسقة السائدة فى المجتمع الأمريكى بين الأفراد الذين يشكلون الشبكة الاجتماعية للطفل فى سن ما قبل المدرسة والوظائف أو الأدوار التى يؤديها هؤلاء الأفراد على وجود انفصال بين هؤلاء الأفراد وبين ما يؤدونه من وظائف حيث يقوم الراشدون بدور العناية بالطفل ، بينما يقوم الأقران الأكبر سنًّا بأمر تعليمه ، ويقوم الأقران فى مثل سنّه باللعب معه (Edwards & Lewis, 1979) .

ويؤكد نموذج الشبكة الاجتماعية على أن الأطفال لديهم حاجات متعددة يتم إشباعها بواسطة مجموعة من الأفراد الآخرين وليس عن طريق الأم فقط . وعلاوة على ذلك فإنه فى الوقت الذى يمكن فيه لنسق ما أن يؤثر على نسق آخر فإن نمو العلاقة الاجتماعية لا يعتبر تتابعيًا مع ذلك . وعلى هذا نلاحظ أنه بينما يمكن للتعلق الذى ينشأ بين الأم والرضيع أن يؤثر على علاقات الطفل بأقرانه فإن مثل هذه العلاقة مع الأقران قد لا تتحدد عن طريق علاقة التعلق هذه . ويقترح لويس وشافر (١٩٨٠) Lewis & Schaffer طريقتين يمكن بهما لعلاقة التعلق التى تنشأ بين الأم والرضيع أن تتسبب فى قيام علاقة سيئة مع الأقران على الرغم من أن هاتين الطريقتين لا تحددان مثل هذه العلاقات بالمعنى التعاقبى . وتتمثل أولى هاتين الطريقتين فى نقص الخبرة من جانب

الطفل ، بينما تتمثل الثانية فى الخوف المعمم . فالأمهات اللائى لا تتصفن بالكفاءة فيما يتعلق بالأمومة واللائى تعتبرن غير قادرات على تسهيل قيام علاقة تعلق مع الطفل قد يحرمنه فى الوقت ذاته من المرور بالخبرات المختلفة مع الأقران . وإذا ما سلمنا بأن الأم فى الثقافة الأمريكية هى التى يجب عليها أن تسهل من حدوث عملية التواصل المبكر للطفل مع الأقران فإن فشلها فى القيام بذلك سوف يؤدى إلى تطور مهارات غير مناسبة للتفاعل مع الأقران . وفى هذه الحالة يرتبط التعلق السيئ بالأم بإقامة علاقة سيئة من جانب الطفل مع الأقران . إلا أن الفشل فى إقامة علاقة تعلق مع الأم فى تلك الحالة لا يعتبر هو السبب فى تلك العلاقة السيئة مع الأقران حيث يرجع السبب فى ذلك إلى نقص الخبرة التى تجمع بين الطفل وبين الأقران .

وتؤدى الأمومة غير المناسبة أو غير الجيدة إلى إقامة علاقة تعلق سيئة أو غير مناسبة وهو ما يؤدى إلى خوف عام من جانب الطفل ، وهذا يؤدى بطبيعة الحال إلى منع الطفل من الاتصال بالأقران . ويعمل نقص الاتصال بالأقران بسبب الخوف على التأثير على العلاقات التى يقيمها الطفل مع هؤلاء الأقران . وقد يعطينا ذلك تفسيرًا للسبب الذى يعتبر من أجله الأقران الأصغر سنًّا الذين يقومون بدور المعالج بالنسبة للطفل أو الذين يقدمون له المساعدة فى مثل هذه الحالة أفضل من الأقران فى نفس سنه أو الأقران الأكبر منه سنًّا فيما يتعلق بقدرتهم على مساعدة الأطفال المكتئبين أو المنبوذين إذ قد يكون الأقران الأصغر سنًّا أقل خوفًا على ذلك الطفل نظرًا لأن مهارتهم فى الاتصال لا تزال أقل تطورًا (Hartup, 1980) . وفى كلتا الحالتين لا تعتبر العلاقات بين الشخصية السيئة مع الأم فى حد ذاتها هى المسئولة عن العلاقة التالية السيئة إذ تلعب الأم دورًا غير مباشر فى إقامة اتصال بين الطفل وبين أقرانه وبينه وبين الآخرين كالأب على سبيل المثال .

ومن الأفضل بالنسبة لنا أن نفكر فى تلك العلاقات التى تنشأ بين الأب وبين الطفل فى إطار هذا السياق إذ قد يتطور نسق التعلق بين الأب والطفل من أصول شبيهة بتلك الموجودة فى نسق التعلق بين الأم والطفل ، وقد يرتبط كلا النسقين ببعضهما البعض بعدد من الطرق والأساليب . ومع ذلك فنحن نعتقد أن نسق العلاقة بين الأب والطفل قد لا يكون نتيجة ثانوية لنسق العلاقة بين الأم والطفل . وعلى الرغم من أن البيانات التى تؤيد وجود نسقين منفصلين ومع ذلك يسود بينهما تأثير متبادل ، ويتمثل أحدهما فى ذلك

النسق الذى يضم الأم والطفل ، أما الآخر فيتمثل فى ذلك النسق الذى يضم الطفل والأقران فإن البيانات عن التأثيرات التى يمكن أن تحدث بين نسقى العلاقة بين الأم والطفل وبين الأب والطفل غالبًا ما تكون غير متوفرة .

وسوف نقوم فى الجزء التالى بتناول افتراضات نموذج الشبكة الاجتماعية وذلك بشكل عام ، ثم نقوم بعد ذلك بتناول جوانب من هذا النموذج وثيقة الصلة به وذلك فى سبيل فهم دور الأب فى النمو المبكر للطفل .

نموذج الشبكة الاجتماعية :

يولد الطفل وسط مجموعة من العلاقات المتداخلة . وتضم هذه العلاقات تلك العلاقات التى تتضمن الراشدين من مختلف الأعمار الذين تربطهم علاقات مختلفة ببعضهم البعض . وقبل أن نستكشف الطبيعة الخاصة لنسق العلاقة بين الأب والطفل يجب أن ننظر إلى بعض السمات العامة للأنساق وكيف تتفاعل مع بعضها البعض(*) .

١ – مدخل الأنساق العامة :

يرى مونان (١٩٦٧) Monane وفون برتلانفى (١٩٦٧) Von Bertalanffy وتايلور (١٩٧٥) Taylor أن النسق عبارة عن مجموعة من العناصر المتداخلة التى يؤثر كل منها فى الآخر ويتأثر به . وإذا ما تناولنا ذلك بشكل مختلف يتضح لنا أن العناصر

(*) يود المترجم أن يلفت الأنظار إلى أن علاقة الأب بالطفل تمثل أحد أنماط العلاقات الأسرية المتضمنة فى الشبكة الاجتماعة للطفل حيث يرى كوبمانز (١٩٩٣) Koopmans فى دراسته عن التوافق الاجتماعى الانفعالى فى مرحلة المراهقة وإدراك العلاقات الأسرية التى ألقاها فى المؤتمر السنوى للجمعية الأمريكية للبحث التربوى والذى عقد فى أتلانتا بالولايات المتحدة الأمريكية فى الفترة من ١٢ – ١٦/ ٤/ ١٩٩٣ أن غالبية الباحثين فى مجال العلاقات الأسرية يتفقون على أن هناك ثلاثة أنماط من العلاقات تسود فى غالبية الأسر يمكن تناولها على النحو التالى :

١ – علاقات الألفة : affinity وتتمثل فى تلك العلاقات التى تنشأ بين الزوج والزوجة .

٢ – علاقة قرابة العصب : Consanguinity وتتمثل فى العلاقات التى تنشأ بين الأخوة والأخوات .

٣ – علاقات السلالة (من أعلى إلى أسفل) : descent وتتمثل فى تلك العلاقات التى تنشأ بين الوالد من الجنسين والأطفال .

المحددة فى النسق تعتبر هى المؤثر والمتأثر فى هذا الصدد . وعادة ما يتألف النسق من شبكة من الأنساق الفرعية المستقلة ، فنلاحظ على سبيل المثال فى الشبكة الاجتماعية للطفل أن علاقة الطفل مع أعضاء الأسرة يمكن تصويرها فى تلك الأنساق الفرعية التى تضم الطفل والوالد ، والطفل والأخوة ، والوالد والوالد . ويوضح التراث السيكلوجى أن تلك الأنساق الفرعية المتضمنة فى الشبكة الاجتماعية للطفل والتى يتألف كل منها من الطفل وأحد أعضاء الأسرة تتسم بطبيعتها المستقلة . وفى تناوله لتلك الطرق والأساليب التى تقوم بمقتضاها الأنساق الفرعية التى تتألف من الطفل وأحد أعضاء الأسرة بتحقيق الاستقلال ، أى تلك الطرق التى تقوم بموجبها الأنساق الفرعية التى تتألف من الطفل والوالد ومن الوالد والوالد الآخر بالتأثير المتبادل فى بعضها البعض ، وجد بيدرسين (١٩٧٥) Pedersen علاقات تبادلية مرتفعة فى أسر البنين بين لعب الأب مع الأطفال الرضع وبين تقدير الأب للأم كأم ، إضافة إلى كم التوتر والصراع الذى يسود علاقتهما الزواجية .

ومن ناحية أخرى تتصف الأنساق الاجتماعية أيضًا باللاجمعية nonadditivity أى عدم إضافة أنساقها الفرعية إلى بعضها البعض لتعطى نسقًا ذا خصائص معينة . فمعرفة كل شيء من الأنساق الفرعية التى تؤلف فى مجملها نسقًا معينًا لن تخبرنا عن كل شيء حول ذلك النسق ككل إذ أن كل نسق فرعى يتحرك بشكل مختلف تمامًا داخل النسق العام إذا ما قورن بالطريقة التى يتحرك بها عندما يكون فى معزل عنه . فنجد على سبيل المثال أن طبيعة التفاعل داخل النسق الفرعى الذى يتألف من الوالد والطفل حينما يكون ذلك النسق الفرعى فى معزل عن غيره تختلف عن ذلك التفاعل عندما يتم تضمن ذلك النسق الفرعى فى نسق أكبر . ويرى لام (١٩٧٦ – أ ، ١٩٧٧ – ب) Lamp أن تفاعل الأطفال الرضع مع أى من الوالدين يتزايد فى الثنائيات المستقلة التى تتكون من جراء ذلك عن تفاعلهم مع أحدهما حينما يتم تضمن تلك الثنائيات فى النسق الأسرى الكلى الذى يضم الوالدين والطفل . وعلاوة على ذلك فإن تفاعل أى من الوالدين مع الطفل يقل فى وجود الوالد الآخر إذ وجدت كلارك – ستيوارت (١٩٧٨، ١٩٨٠) Clarke – Stewart أن كم وكيف التفاعل بين الأم والطفل يتغير حينما يتم تضمن ذلك النسق الفرعى الذى يتألف منهما فى الثلاثية الأسرية التى تضم الأم والأب والطفل . ففيما

يتعلق بالكم لاحظت أن حديث الأم للطفل ولعبها معه يقل عندما يوجد الأب معهما ، وبالنسبة للكيف لاحظت أيضًا أن مشاركة الأم للطفل فى مختلف الأنشطة تقل ، كما يقل تعزيزها لسلوكه ، وتصبح أقل استجابة فى تفاعلها معه فى وجود الأب قياسًا بما تكون عليه الحال عندما توجد الأم بمفردها مع الطفل .

ويرى بيدرسين وآخرون (١٩٧٩ ، ١٩٨٠) Pedersen, *et al.* أنه بينما يقوم الأب (الزوج) بتقسيم سلوكه بين الطفل والزوجة فى الموقف الثلاثى تقضى الأم (الزوجة) وقتًا أطول فى التفاعل مع الطفل فى الموقف الثنائى الذى يجمعها هى فقط معه . ويرى باركى وأولىرى (١٩٧٥) Parke & O'Leary أن الشبكة الاجتماعية للطفل تتسم بالاعتمادية المتبادلة ، كما تتسم أيضًا باللاجمعية . فعندما تكون الأم مع زوجها يصبح من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهما أن يقوما باستكشاف جسم الطفل والابتسام له وذلك بشكل يفوق ما يفعلانه حال وجودهما مع وليدهما الجديد . وإضافة إلى ذلك تميل الأمهات والآباء عند وجودهم معًا إلى لمس أطفالهم الذكور أكثر من الإناث ، إلا أن مثل هذه الفروق فى لمس الوالدين للطفل والتى ترتبط بالجنس البيولوجى للطفل تصبح غير ذى أهمية عندما تتواجد الأم بمفردها مع الطفل . ويرى باحثون آخرون أن الطفل يؤثر على النسق الفرعى الذى يضم أحد الوالدين معه حيث وجد روزنبلات (١٩٧٤) Rosenblatt أن وجود طفل واحد أو أكثر مع الوالدين يقلل من لمسهما وحديثهما وابتسامهما لبعضهما البعض وذلك فى أماكن عامة مختارة كحديقة الحيوان والمتنزهات والمراكز التجارية .

وهناك جانب آخر فى الأنساق الاجتماعية على درجة من الأهمية يتمثل فى كونها تتسم بأنها عبارة عن حالات ثابتة ، والحالات الثابتة ما هى إلا عملية توازن يحتفظ النسق بمقتضاها بعلاقة حيوية بين العناصر المؤلفة له وبين البيئة التى يوجد فيها . ولا يعتبر التوازن Balance الذى نشير إليه هنا بمصطلح « حالة ثابتة » حالة إستاتيكية كتلك التى تدل عليها مصطلحات الاتزان البدنى البيولوجى Homeostasis أو الاتزان equilibrium الذى يشير إلى تلك العملية التى يحتفظ التوافق بمقتضاها بنسق ما عند مستوى معين . أما الحالة الثابتة التى نتحدث عنها هنا فتقوم بدلاً من ذلك بوصف تلك العملية التى يقوم النسق بموجبها بالحفاظ على نفسه فى الوقت الذى يتعرض فيه دومًا

للتغير وذلك إلى حد ما . وبذلك تتسم الحالات الثابتة بدرجة عالية من التعقيد والتنظيم وتدل على حدوث تفاعل بين الثبات والمرونة فى النسق الاجتماعى أو الشبكة الاجتماعية . ويقوم الطفل فى نسق الشبكة الاجتماعية بأداء دوره على امتداد حياته كعضو فى شبكة اجتماعية تتسم بالتغير الدائم فى أعضائها وبيئتها . فنلاحظ على سبيل المثال أنه عندما يصبح للطفل ذى الترتيب الميلادى الأول الذى يبلغ الثانية من عمره أخ جديد فإن تركيب شبكته الاجتماعية يتغير بناء على ذلك ، ويصبح من الواجب عليه أن يغير من طريقة أدائه مع وصول ذلك الطفل الثانى . وعلى الرغم من أن أهداف الطفل التى تتعلق بتعلم التكيف مع البيئة تظل كما هى فإن أنشطته الفعلية قد تتغير إذ يرى دون وكندريك (١٩٧٩) Dunn & Kendrick أن أداء الأطفال فى شبكاتهم الاجتماعية فى مثل هذه الحالة يتسم بوجود أنشطة جديدة تعمل على تحقيق الأهداف التى تم تحديدها سلفًا . وعلى الرغم من قيام الأم بتشجيع السلوك الاستقلالى لطفلها قبل ميلاد الطفل الثانى ، وأن هذا السلوك الاستقلالى كان هدفًا نهائيًا للطفل فإن مقدار هذا السلوك والفرص المتاحة أمام الطفل للقيام به تتغير (تزداد) مع تغير الشبكة الاجتماعية للطفل إثر تضمنها للأخ الجديد .

ومن ناحية أخرى تمثل البيئة التى يوجد فيها النسق الاجتماعى جانبًا آخر على درجة كبيرة من الأهمية لأى نسق اجتماعى ، وعلى ذلك فإن قيام الشبكة الاجتماعية للطفل يتطلب فحص أنواع البيئة الاجتماعية ، والسياسية ، والمادية التى تميز تلك الشبكة .

٢ – الافتراضات التى تقوم عليها الشبكة الاجتماعية :

يمكننا باستخدام مدخل الأنساق أن نطرح مجموعة من الافتراضات يصبح نموذج النمو الاجتماعى وفقًا لها ممكن الحدوث . ويقدم لويس ووينروب (١٩٧٦) Lewis & Weinrub فى سبيل ذلك مجموعة من الافتراضات تضم فى مجملها عشرة افتراضات على النحو التالى :

(١) الافتراض الأول :

يعتبر البشر اجتماعيين بطبيعتهم أو بالفطرة ، ويدخلون منذ ميلادهم فى شبكة اجتماعية يؤلفونها فيما بينهم .

(٢) الافتراض الثانى :

تتألف الشبكة الاجتماعية من مجموعة من الموضوعات الاجتماعية تضم الأم ، والأب ، والأخوة ، والأقارب الآخرين ، والأصدقاء ، والذات .

(٣) الافتراض الثالث :

تتألف الشبكة الاجتماعية من موضوعات ، ووظائف أو أدوار ، ومواقف اجتماعية .

(٤) الافتراض الرابع :

ترتبط الموضوعات ، والوظائف أو الأدوار ، والمواقف الاجتماعية التى تتألف منها الشبكة الاجتماعية ببعضها البعض ارتباطًا جزئيًّا فقط .

(٥) الافتراض الخامس :

تبنى الشبكة الاجتماعية من مجموعة من الشبكات تتراوح بين أسرة الطفل إلى الثقافة التى ينتمى إليها بمعناها الواسع .

(٦) الافتراض السادس :

يشترك الطفل منذ ميلاده فى الشبكة الاجتماعية ويشارك فيها بفاعلية .

(٧) الافتراض السابع :

يتغير السلوك الاجتماعى للطفل ويتغير تركيب الشبكة الاجتماعية كدالة للوضع النمائى الذى يميزه .

(٨) الافتراض الثامن :

يمتلك الطفل مخزونًا من الأنماط السلوكية تتوزع داخل الشبكة الاجتماعية بما يناسب موضوع التفاعل ووظيفته أى دوره وموقفه ويتلائم معه .

(٨ - أ) الافتراض الثامن (أ) :

تميل موضوعات (أفراد) معينة داخل الشبكة الاجتماعية للطفل إلى أداء وظائف أو أدوار معينة فى مواقف معينة .

(٨ - ب) الافتراض الثامن (ب) :

عندما يقوم أكثر من موضوع واحد في النسق بأداء نفس الوظيفة أو الدور يظهر التوتر داخل النسق .

(٩) الافتراض التاسع :

يكتسب الطفل المعرفة عن طريق تفاعله المباشر وغير المباشر مع الشبكة الاجتماعية .

(١٠) الافتراض العاشر :

تتضمن الجوانب البنائية للشبكة الاجتماعية تلك التفاعلات والعلاقات التى تنتظم فى ترتيب أو سلم هرمى . وقد لا تتطابق تلك التفاعلات والعلاقات المتضمنة فى تلك الشبكة الاجتماعية مع بعضها البعض .

الافتراضات التى تتعلق بالأب كعضو فى الشبكة الاجتماعية :

بالنظر إلى الافتراضات التى تقوم عليها الشبكة الاجتماعية نلاحظ أن ثلاثًا منها فقط هى التى ترتبط بالأب كعضو فى الشبكة الاجتماعية ، وبالتالى سوف نقوم بتناولها بالتفصيل ، وهذه الافتراضات هى :

١ - أن التفاعلات والعلاقات المتضمنة فى الشبكة الاجتماعية ليست مترادفة أو لا تتطابق مع بعضها البعض .

٢ - أن عالم الطفل يعج بالموضوعات الاجتماعية والحاجات المختلفة .

٣ - أن الطفل يكتسب المعرفة من خلال التفاعل المباشر وغير المباشر مع الشبكة الاجتماعية .

ويمكن تناول هذه الافتراضات على النحو التالى :

أولاً : التفاعلات والعلاقات المتضمنة فى الشبكة الاجتماعية ليست مترادفة أو متطابقة :

نظرًا لاختلاف التفاعلات التى تجمع بين الأم والطفل عن تلك التى تجمع بين الأب والطفل يصبح من المفترض أن تكون العلاقات بينهم مختلفة . وقد يبدو فى الواقع أن تلك هى القضية ، إلا أنه من الضرورى بالنسبة لنا أن نضع فى اعتبارنا ذلك الدور الذى يلعبه

التفاعل فى حدوث مثل هذه العلاقات . وفى محاولته لتحديد معنى «العلاقة» قام هايند (١٩٧٦) Hinde بتناول التفاعل على أنه مجرد عامل واحد فقط من تلك العوامل العديدة التى تشكل فى مجملها هذا التعريف . وهو ما ينبهنا بطبيعة الحال إلى احتمال عدم وجود تطابق كبير بين تلك العلاقات والتفاعلات المتضمنة فى الشبكة الاجتماعية .

وتعتبر «التفاعلات» بمثابة أنماط سلوكية خاصة أو مجموعة من الأنماط السلوكية التى يمكن ملاحظتها وقياسها ، أما «العلاقات» على الجانب الآخر فيمكن استنتاجها أو الاستدلال عليها من التفاعلات ، إلا أنه من الصعب تعيينها وقياسها . كما أن معرفتنا «بالعلاقة» لا تمثل بالنسبة لنا تطابقًا تامًا مع «تفاعل» معين أو مجموعة من «التفاعلات» . وعلى النقيض من ذلك فإن ملاحظة التفاعل الذى يحدث بين شخصين لا تقوم بالضرورة بتعيين علاقتهما معًا ، فبعد مشادة أم على سبيل المثال وهى تقوم بإطعام طفل ما قد نستنتج أن هذه الأم هى أم ذلك الطفل ، إلا أن مثل هذه العلاقة لا تمثل بالضرورة القضية الأساسية هنا حيث قد تكون هذه الأم هى التى تقوم بحضانة هذا الطفل مثلاً وليست أمه .

وبينما لا يتميز الأب عن غيره من الرجال الراشدين بالنسبة للطفل ، فإن الأم تتميز بيولوجيًا بالنسبة له عن غيره ، وفى الواقع نلاحظ الأنثى الناضجة فى العديد من الثدييات لا تكون أحادية التزاوج وبالتالى لا يمكن معرفة الأب على وجه التحديد . وبذلك لايستطيع صغار هذه الثدييات أو حتى الناضجون منها أن يقرروا بالتحديد من هو الأب. وحتى بالنسبة للعلاقات التى ترتبط بالتزاوج الأحادى فإن معرفة العلاقة التى توجد بين العلاقات الجنسية وميلاد الصغير تتطلب القدرة على تحديد الأب . وعلى العكس من ذلك نلاحظ أن تفاعلات الأم مع الرضيع تميزها بوضوح وجلاء عن غيرها من الإناث ، كما أن تفاعلها البيولوجى مع ذلك الصغير منذ الحمل مرورًا بالولادة وحتى الحضانة يجعل من المعروف بالنسبة لها ولجميع الأفراد الآخرين بما فيهم ذلك الصغير نفسه أنها هى الأم .

ومن الجدير بالذكر أنه لا يمكن فقط تحديد الأم عن طريق علاقتها البيولوجية الفريدة بالطفل ، ولكن يمكن أيضًا تحديد الكثير من تفاعلاتها مع الطفل . فالأم التى

تنتمى إلى الثدييات يجب أن تقوم بإطعام طفلها على وجد التحديد ، ويتبع ذلك التفاعلات الأخرى بشكل طبيعى . فتقوم الأم على سبيل المثال بإشباع حاجة الطفل إلى الدفء واللمس والإحساس بالحركة . وتنشأ أنماط التفاعلات المبكرة هذه بعد ذلك تدريجيًّا فى تفاعلات معينة يمكن التنبؤ بها فى غالبية البيئات . وبذلك لا يكون من المدهش أبدًا أن يذهب الأطفال عامة الذين يبلغون عامًا واحدًا من العمر إلى أمهاتهم فى تلك الأوقات التى يشعرون فيها بالجوع والتعب والخوف . وهكذا نجد أن العلاقة البيولوجية بالنسبة للأم يمكنها أن تلعب دورًا كبيرًا وهامًّا فى التنبؤ بتلك التفاعلات السلوكية والثقافية التى تحدث بينها وبين الطفل .

ومن ناحية أخرى يمثل الأب حالة تختلف عن ذلك حيث لا تدلنا معرفتنا فأن رجلاً ما هو الأب لطفل معين إلا عن القليل جدًّا الذى يرتبط بتفاعلات هذا الرجل مع ذلك الطفل إذ يقوم الآباء على مر العصور بدور الحماة من الغزاة المفترسين ، كما يساعدون على توفير الطعام والدفء والمأوى والإثارة لأفراد الأسرة ، إلا أن مثل هذه الوظائف أو الأدوار مع ذلك لا تتضح بهذا الشكل فى المجتمع الأمريكى المعاصر كوضوح تلك الوظائف أو الأدوار التى تقوم بها الأم . وعلاوة على ذلك نجد أنه على الرغم من أن تلك النوعية للدور الوالدى قد تكون ساعدت فى تخليد الجنس البشرى وعملت على أن تديم وجوده فإنه من الممكن بالنسبة للأطفال أن يبقوا على قيد الحياة حتى وإن لم يقم الآباء بدورهم ، إلا أن الحال يختلف عن ذلك نتيجة لعدم قيام الأمهات بدورهن . وبذلك نلاحظ أنه بينما ترتبط العلاقة بين الأم والطفل بالاستعدادات البيولوجية فإن العلاقة بين الأب والطفل تعتبر أقل ارتباطًا بالجانب البيولوجى وأكثر حرية فى التغير . ولا يعمل هذا النقص فى أنماط التفاعل البيولوجية المعدة سلفًا والتى يمكن التنبؤ بها بالنسبة للأب على تمييز علاقته بالرضيع عن علاقة الأم بهذا الرضيع فحسب ، بل يجعل أيضًا من تمييز طبيعة العلاقة بين الأب والرضيع أمرًا أكثر صعوبة .

ثانيًا : تتألف الشبكة الاجتماعية من موضوعات ووظائف ومواقف اجتماعية عديدة :

أصبحت فكرة العالم الاجتماعى المتعدد الذى يجب على الطفل أن يتكيف معه أكثر قبولاً وذلك إلى الدرجة التى اتسع عندها نطاق البحوث التى يتضمنها التراث

السيكولوجى ليشمل أفرادًا آخرين فى حياة الطفل يمثلون موضوعات اجتماعية مختلفة (e.g. Dunn & Kendrick, 1979; Lewis & Rosenblum, 1979) وأصبحت بذلك المهمة التى يجب علينا أن نقوم بها تتمثل فى تعيين مختلف الأساليب التى يسلك بها هؤلاء الأفراد فى عالم الطفل ، وما الذى يسبب مثل هذه الفروق ، وكيف تقوم مثل تلك الفروق بالتأثير على محصلات نمائية معينة .

وفى سبيل تحقيق هذا الهدف افترض لويس وفيرنج (١٩٧٩) Lewis & Feiring نموذجًا تتكون فيه مصفوفة تتألف من مجموعة من الموضوعات الاجتماعية (الأفراد) ، ومجموعة من الأنشطة المرتبطة بحاجات الطفل التى يجب إشباعها والتى نطلق عليها «الوظائف» . وتسمح هذه المصفوفة بدراسة طبيعة وعدد الأفراد الذين يتواجدون فى حياة الطفل فى وقت معين ، والوظائف أو الأدوار التى يؤدونها ، وتعيين من يقوم بأى من هذه الوظائف أو الأدوار . ومن منظور مثل هذا النموذج يصبح من الممكن إنشاء وتكوين الشبكة الاجتماعية للطفل ، أى العمليات الاجتماعية والبناء الاجتماعى لشبكة معينة ونتائج ذلك على أى عدد من المحصلات النمائية . فتصبح على سبيل المثال القيود التطورية النمائية المفروضة على الموضوعات والوظائف ، وعلى التفاعل بين الموضوعات والوظائف واضحة، ويصبح من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأم أن تلعب مع طفلها الرضيع وأن تقوم بإطعامه فى الشهر الثالث من عمره وذلك بشكل يفوق ما تفعله الأخوات الأكبر سنًّا قياسًا بما يحدث عندما يكون ذلك الرضيع فى الشهر التاسع من عمره . ومن ناحية أخرى من المحتمل أن تقوم أيضًا المتغيرات الأسرية مثل حجم الأسرة ، وعمر الأخوة ، وغياب أحد الوالدين أو وجوده بالتأثير على تلك المصفوفة حيث يرى دون وودنج (١٩٧٧) Dunn & Wooding على سبيل المثال أن الأطفال ذوى الترتيب الميلادى الأول يتلقون المزيد من انتباه واهتمام الراشدين إلى أن يولد طفل آخر . وأخيرًا فإن العوامل الثقافية تؤثر هى الأخرى على تلك المصفوفة إذ يرى وايتنج ووايتنج (١٩٧٥) Whiting & Whiting أن الأخت الأكبر سنًّا فى العديد من الثقافات تكون هى المسئولة عن إشباع الكثير من حاجات الطفل الصغير وذلك بشكل يفوق ما يقوم به الأب والأم .

وكخطوة أولى باتجاه تحديد الأفراد والوظائف التى تؤثر على الطفل يصبح من الضرورى أن نقوم بوصف بعض الفروق التى كشفت عنها الدراسات التى يتضمنها

التراث السيكولوجى فيما يتعلق بكم وكيف الأنماط السلوكية للأم والأب . ومن المعلوم أن أنماط التفاعلات التى تجمع بين الأم والطفل والتى تجمع بين الأب والطفل على الجانب الآخر توضح العديد من مظاهر الاتفاق والاختلاف . وإذا ما عرفنا أن العديد من الأمهات هن اللائى يقمن بدور القائم الأساسى على العناية بالطفل فلن يكون مدهشًا أن نجد هناك فروقًا فى كم السلوك الوالدى الموجه نحو الطفل ، أو فى مدى تواجد كلا الوالدين أمام الطفل مما يساعده على أن يقوم بالاستفادة منها .

(أ) كم السلوك الوالدى :

من المتفق عليه بوجه عام أن الأب يقضى وقتًا فى التفاعل مع طفله الرضيع يقل بكثير فى الواقع عن الوقت الذى تقضيه الأم فى تفاعل مع ذلك الرضيع . وتتراوح تقديرات كم الوقت الذى يقضيه الأب فى تفاعل مباشر مع طفله الرضيع فى العام الأول من عمره بين أقل من دقيقه واحدة فى اليوم كما يرى ريبلسكى وهانكس (١٩٧١) Rebelsky & Hanks إلى أكثر من ساعة واحدة بقليل يوميًا كما يرى بيدرسين وروبسون (١٩٦٩) Pedersen & Robson وعلى الرغم من أن كم الوقت الذى يقضيه الأب مع أطفاله يتزايد مع نمو هؤلاء الأطفال كما يرى لويس ووينروب (١٩٧٦) Lewis & Weinraub فإن المقدار الكلى للوقت الذى يقضيه الأب معهم يتحدد بحقيقة أن معظم الآباء يقومون بالعمل فى وظائف تستغرق يومهم بأكمله . ونظرًا لأن نسبة أكبر من النساء قياسًا بالرجال يعملن فى وظائف تستغرق جزءًا من وقتهن فقط كما يتضح من إحصاءات وزارة التجارة بالولايات المتحدة لعام ١٩٧٦م فإنه لا يزال من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأمهات العاملات أن يكون الوقت الذى يعملن فيه خلال الأسبوع أقصر ، وأن تكون ساعات عملهن أكثر مرونة بحيث تسمح لهن بالخروج من العمل أثناء وقت العمل وذلك قياسًا بالآباء وما يقومون به من وظائف (Weinraub, 1978) .

وعلى الرغم من ذلك فإن الفروق فى كم الوقت الذى يقضيه كل من الآباء والأمهات مع أطفالهم لا تدل بالضرورة على أن لكل منهما تأثيرًا مختلفًا على الأطفال . ومن ناحية أخرى فقد ازداد إدراك أن كم الوقت - أكثر من الحد الأدنى - الذى يتفاعل فيه الوالدان مع أطفالهم أو يتواجدان فيه أمامهم له تأثير ضئيل على كم علاقتهما معهم (Lamb, 1976 c) . ويبدو

على وجه الخصوص أن كم الوقت الذى يقضيه غالبية الآباء فى تفاعل مع أطفالهم لا يساعد فى التنبؤ بسلوك هؤلاء الأطفال تجاه آبائهم كما يرى كوتيلشوك (١٩٧٢) Kotelchuck وبان ولويس (١٩٧٤) Ban & Lewis على سبيل المثال .

وفى ضوء كم الوقت المحدد الذى يقضيه الآباء مع أطفالهم لا يتم إدراك آثار الأب على نمو الطفل على أنها نتيجة لكم التفاعل بينهما ولكنها تعتبر نتيجة لكيف معين من إسهامه فى الشبكة الاجتماعية للطفل . وقد يتم إدراك مثل هذه الآثار على أنها آثار مباشرة تنتج عن أنماط سلوكية وأنشطة معينة يشارك فيها الأب عندما يكون مع طفله . كما يتم إدراكها أيضًا على أنها آثار غير مباشرة تنتج عن عضوية الأب فى الشبكة الاجتماعية للطفل وارتباطه مع الأعضاء الآخرين فى تلك الشبكة الاجتماعية .

(ب) كيف السلوك الوالدى :

عندما نضع فى اعتبارنا ذلك الكم المحدد من الوقت الذى يشترك فيه الأب فى تفاعل مع أطفاله الأصغر سنًّا فإنه قد تتم دراسة دور الأب فى التنشئة الاجتماعية بشكل أكثر إثمارًا فى إطار نوع التفاعل مع الطفل وليس كم ذلك التفاعل .

وفى مناقشتهما الكلاسيكية للفروق النوعية فى دور كل من الأم والأب فى نمو الطفل يؤكد بارسونز وبيلز (١٩٥٥) Parsons & Bales أن أدوار الآباء والأمهات أو الوظائف الاجتماعية لكل منهما تنقسم إلى وظائف وسيلية وأخرى تعبيرية . فتتم رؤية وظيفة الأم على أنها وظيفة تعبيرية تتسم بالاهتمام بالعلاقات المتبادلة أو بين الشخصية وبالمساندة الانفعالية ورعاية الأطفال والعناية بهم . أما وظيفة الأب فتوصف بأنها وسيلية وتتسم بالاهتمام بالإجادة والكفاءة . وتدل الملاحظات والمقابلات التى أجريت مع الأطفال على أنهم قد أدركوا الأمهات على أنهن أكثر عاطفة وأكثر رعاية لهم ، كما رأوا الآباء على الجانب الآخر بأنهم أكثر عقابًا وأكثر تقييدًا لهم (e.g. Armentrout & Burger, 1972, Fitzgerald, 1966) .

ويرى توماس (١٩٦٨) Thomas أن تلاميذ المرحلة الابتدائية قد صوروا آباءهم على أنهم يقومون بحمايتهم ، وتهذيبهم ، وأنهم يقومون بدور المعلم بالنسبة لهم فى البيئة المنزلية . أما أمهاتهم فقد كن فى الغالب أكثر مساندة وأكثر تشجيعًا لهم .

(جـ) اختلاف وظائف وأدوار الوالدين فى الأسرة :

وقد تكون طبيعة الأنشطة التى تميز تفاعل الأب مع طفله أكثر اختلافًا فى الوظائف الاجتماعية الخاصة بتعليم الدور الجنسى ، والأنشطة التى ترتبط بالشئون المنزلية ، والعناية بالطفل ، واللعب معه إذ توضح البيانات التى تم جمعها منذ عام ١٩٥٥ أن الآباء يعتبرون أكثر اهتمامًا باكتساب أطفالهم للدور الجنسى الملائم وذلك بدرجة تفوق الأمهات (e.g. Block, 1973) ، فالآباء مثلاً يعارضون السلوك الأنثوى إذا ما صدر عن أبنائهم البنين . ووجدت جود إنف (١٩٥٧) Goodenough أن الآباء كانوا أكثر اهتمامًا بسلوك الدور الجنسى المناسب من جانب أبنائهم البنين . كما توضح الدراسات الأكثر حداثة أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء قياسًا بالأمهات أن يستجيبوا لأطفالهم بشكل مختلف على أساس جنسهم البيولوجى (e.g. Aldous, 1975; Margolin & Patterson, 1975) .

وتوضح المعلومات التى تم جمعها عن السلوك الوالدى تجاه الأطفال الأصغر سنًّا وسلوك الأطفال تجاه والديهم أنه يبدو أن الوالدين يقومان داخل البيئة المنزلية بأنشطة مختلفة . وحتى فى الوقت الراهن لا يزال تقسيم الوظائف بين الوالدين تقليديًّا على الرغم من وجود العديد من الأمهات العاملات ممن لهن أطفال صغار السن ، بمعنى أن النساء قد بقين هن القائمات الأساسيات على العناية بالأطفال الصغار حتى عندما يزيد الرجال من معدل قيامهم بالواجبات التى تتعلق بالشئون المنزلية . وقد نشرت ترينتون تايمز Trenton Times فى عددها الصادر بتاريخ ٣١ يوليو ١٩٨٠ أنه على الرغم من أن الرجال قد أصبحوا يقومون الآن بالعديد من الأنشطة التى تتعلق بالشئون المنزلية وذلك بشكل يفوق ما كانوا يقومون به من قبل ، فنجدهم مثلاً يقومون بإخراج أكياس القمامة من المنزل ، ويطهون الطعام ، ويذهبون إلى السوق ليشترون احتياجاتهم المنزلية ، ويغسلون الأطباق فإنه لا تزال هناك بعض الأنشطة لا يؤديها الرجال بأى درجة كتنظيف الحمام مثلاً أو تصنيف الغسيل بعد أن يجف أو تنظيف الثلاجة أو الفرن . وهكذا لا يزال الآباء أقل من الأمهات تفاعلاً مع أطفالهم صغار السن ، ولا تزال الأمهات هن القائمات أساسًا على العناية بالأطفال على الرغم من أن الآباء قد أصبحوا يلعبون دورًا فعالاً فى ذلك الشأن بشكل متزايد . وقد يخفى هذا التقسيم غير المتعادل لكم الوقت المستغرق فى

التفاعل مع الأطفال تلك الفروق فى أنماط السلوك الوالدية تجاه الأطفال ، وقد يكون من الضرورى أن نأخذ معدل الوقت المستغرق فى التفاعل مع الأطفال فى الاعتبار عن طريق ملاحظة معدل الوقت المستغرق فى الأنشطة المختلفة كدالة للوقت الكلى المستغرق فى التفاعل معهم . وعلى الرغم من أن الأمهات قد تشاركن بشكل كلى فى الوظائف والأدوار أكثر من الآباء فإن توزيع أو نسبة مثل هذه الأنشطة قد تكون هى المتغير الهام فى هذا الصدد .

وتوضح البيانات المتاحة فى مجال التفاعلات بين الأب والطفل والتى تتعلق بأنشطة الرعاية أن الأب يتفاعل قليلاً وبشكل غير مستمر مع طفله الرضيع ، كما يضطلع بقدر قليل جدًا من مسئولية العناية به حيث وجد كوتيلشوك (١٩٧٢) Kotelchuck أنه من بين مائة وأربعة وأربعين أبًا قام بإجراء المقابلات معهم إضافة إلى ملاحظته لأطفالهم الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين تسعة أشهر إلى اثنى عشر شهرًا قرر ٢٥٪ منهم فقط أنهم يقومون بأنشطة العناية بالأطفال بشكل منتظم . ويرى لويس وبان (١٩٧٧) Lewis & Ban أن آباء الأطفال الذين يبلغون عامًا واحدًا من أعمارهم يقضون خمس عشرة دقيقة فقط يوميًّا فى اللعب معهم ، وأن المدة التى يقضيها هؤلاء الآباء فى اللعب مع أطفالهم تتراوح بين صفر إلى ساعتين . وفى مقابلاتهم التى أجرياها مع أمهات الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين سنة واحدة وأربع سنوات من العمر وجد نيوسون ونيوسون (١٩٦٨) Newson & Newson أنه بالرغم من أن أكثر من ٥٢٪ من الآباء كانوا يأخذون دورًا فعالاً فى الحياة اليومية لأطفالهم فإن الأنشطة التى كانوا يقومون بأدائها لم تكن تتضمن بالضرورة العناية بهؤلاء الأطفال . وعندما يقرر آباء الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين عام واحد وأربعة أعوام أنهم يشاركون فى الواقع بنصيب متوسط فى أنشطة الطفل فإن هذا يعنى أنهم لا يقومون بذلك إذا لم يطلب منهم القيام به أو إذا كانوا يمرون بظروف خاصة . إلا أن نصف هؤلاء الآباء تقريبًا كانوا يساهمون بقدر قليل جدًّا فى العناية اليومية بأطفالهم قياسًا بما كانت تقوم به الأمهات .

ويرى وينروب (١٩٨٠) Weinraub فى دراسته لآباء وأمهات الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين عامين وثلاثة أعوام ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة ويقطنون فى مناطق حضرية أن الآباء قد قرروا أنهم يقضون ١٥٪ فقط من وقتهم الكلى فى العناية

بالأطفال ، بينما قررت الأمهات أنهن تقضين ٢٥٪ من وقتهن الكلى فى العناية بهم . وبمقارنة متوسط الوقت الذى قرر كل من الآباء والأمهات أنهم يقضونه فى العناية بالأطفال نلاحظ أن الآباء يقضون ما متوسطه ٠,٨ ساعة يوميًا فى العناية بالأطفال بينما تقضى الأمهات ٢,١ ساعة يوميًا فى العناية بهم . وهكذا فإن الآباء يقضون فقط حوالى ثلث الوقت الذى تقضيه الأمهات فى العناية بالأطفال . وتكشف تلك الدراسة أيضًا عن وجود تفاعل دال بين جنس الطفل وجنس الوالد إذ كان الآباء يقضون وقتًا أطول من الأمهات فى أنشطة لا تتعلق برعاية الأطفال كمشاهدة التليفزيون أو القراءة مثلاً إذا كان الطفل أنثى ، بينما كانت تقضى الأمهات وقتًا أطول من الآباء فى مشاهدة التليفزيون أو القراءة إذا كان الطفل ذكرًا .

وفى مجال العناية بالأطفال نلاحظ أن الفروق بين الآباء والأمهات يبدو أنها تتعلق فى الأساس بالأداء أكثر مما تتعلق بالكفاءة إذ يرى باركى وأولىرى (١٩٧٥) Parke & O'Lrary من خلال ملاحظتهما للوالدين في غرفة بالمستشفى أن الآباء يتساوون مع الأمهات فيما يتعلق بكفاءتهم فى التفاعل الاجتماعى مع المواليد الجدد . وعلى الرغم من أن الأمهات تقضين وقتًا أطول فى أنشطة العناية بالطفل فى المنزل فإن الآباء كالأمهات يمكنهم الاستجابة للمواليد الجدد فى المستشفى بحساسية وبشكل ملائم .

وتبدو الفروق بين الأب والأم أكثر وضوحًا فى قيامهم بإحداث التوازن بين اللعب مع الطفل وقيامهم بأنشطة العناية به (Parke & Sawin, 1975, 1980) . ويرى لام (١٩٨٠) Lamb أن أمهات الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين خمسة عشر شهرًا وأربعة وعشرين شهرًا تقمن بحمل أطفالهن أثناء قيامهن بالعناية بهم ، كما يعتبرون أيضًا أكثر تقييدًا لهم قياسًا بالآباء ، بينما يعتبر الأب أكثر حملاً لهم بغرض اللعب معهم . وتتمثل أكثر النتائج ثباتًا فيما يتعلق بجنس الوالد والوظيفة الاجتماعية للعب فى أن الآباء يقضون قدرًا أكبر من وقتهم فى اللعب مع أطفالهم الرضع قياسًا بالأمهات (Field, 1978; Lamb, 1977a; Trevarthen, 1974; Yogman, *et al.*, 1977) .

وبالإضافة إلى ذلك يميل الآباء إلى المشاركة فى قدر أكبر من اللعب الجسدي مع أطفالهم أكثر مما تفعل الأمهات . ففى دراسته التى أجراها على الآباء والأمهات فى منازلهم وجد لام (١٩٧٧ - أ) Lamb أن الآباء يلعبون مع أطفالهم قدرًا أكبر من

الألعاب الجسدية ويشاركون فى قدر أكبر من الأنشطة التى تتضمن اللعب التقليدى ، والقراءة والألعاب التى يرتكز فيها المثير على اللعبة وذلك قياسًا بالأمهات . كما لم تجد كلارك - ستيوارت (١٩٧٨ ، ١٩٨٠) Clarke-Stewart أى فروق بين الآباء والأمهات فى كم ونوع اللعب الاجتماعى مع أطفالهم الأصغر سنًا فى المنزل . ومع ذلك فقد اتضح من خلال جلسات اللعب التى كانت تتم فى المعمل والتى كان يطلب فيها من الوالدين اختيار نشاط يقومون به مع طفلهم الذى بلغ خمسة عشر شهرًا من العمر أنه كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء أن يختاروا أنشطة اللعب الجسدى والاجتماعى مع طفلهم ، بينما كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأمهات أن يخترن أنشطة اللعب العقلية وغير الاجتماعية . وترى كلارك - ستيوارت Clarke-Stewart أيضًا أن لعب الآباء يميل إلى أن يكون إثاريًا وجسديًا فى طبيعته عند مقارنته بلعب الأمهات الذى يبدو أنه يزداد نسبيًا فى الجانب العقلى والتعليمى . وقد توصل باور وباركى (١٩٨٢) Power & Parke إلى نتائج مشابهة إذ وجدا أنه عند تنظيم التفاعل القائم بين الوالد والطفل أن الأمهات يستخدمن اتجاهًا أو مدخلاً يقوم على الاهتمام والانتباه الموجه بعيدًا عن محور جسد الطفل فى حين يستخدم الآباء نمطًا يقوم على توجيه الاهتمام والانتباه إلى أقرب نقطة من محور الجسد بالنسبة للطفل . كما كان الآباء يقضون وقتًا أطول من الأمهات فى اللعب بالدمى مع الأطفال وفى حمل الأطفال ، بينما كانت تميل الأمهات إلى مشاهدة نشاط الطفل بدلاً من المشاركة الجسدية معه فى اللعب . ويرى بيدرسين وآخرون (١٩٨٠) Pedersen, et al. أنه عندما يكون أعضاء الأسرة الثلاثة الأم والأب والطفل معًا تزداد معدلات الإثارة الحركية اللمسية القوية من جانب الآباء قياسًا بالأمهات وذلك على الرغم من أن هذه النتيجة لم تتحقق حينما كان الأب والطفل يشكلان معًا بمعزل عن الأم ثنائية مستقلة . وتوضح البيانات المتضمنة فى الجدول التالى المشتق من دراسة لويس وفيرنج (١٩٨٢) Lewis & Feiring متوسطات تكرار التفاعل لمدة تزيد على خمس عشرة دقيقة بين أعضاء الثلاثية الأسرية وذلك فى مجالات ثلاثة هى العناية بالطفل ، ورعايته ، والبحث عن المعلومات . وتم تعريف العناية بالطفل Caregiving بأنها الاهتمام بالحاجات الجسدية المادية للطفل من جانب شخص آخر كإرضاعه أو إطعامه طعامًا صلبًا أو القيام بتنظيف جسده أو مساعدته على قضاء حاجته بدورة المياه . أما رعاية الطفل Nurturance

فقد تم تعريفها على أنها أى تعبير عن الدفء العاطفى سواء كان لفظيًا كالثناء والمديح مثلاً ، أو غير لفظى كالابتسام له وتقبيله وعناقه . فى حين تم تعريف البحث عن المعلومات information seeking على أنها أى نمط للسؤال يتضمن طلبًا للمعلومات غير المتاحة ، أو الأسئلة المتضمنة فى اختبار ما ، أو الأسئلة الموجهة التى يتم من خلالها طلب القيام بسلوك معين .

جدول (١) التفاعلات الأسرية بحسب الوظيفة

التى تؤدى فى الثنائيات الموجهة المتضمنة فى الأسرة (ن = ١٥)

الثنائيات	البحث عن المعلومات	الرعاية	العناية بالطفل
الأم والطفل	٩,٦	٤,١	٤,٣
الأب والطفل	٩,٥	٣,٣	٣,٣
الطفل والأم	٣,٥	٢,٠	٠,٤٠
الطفل والأب	١,٩	٢,٠	٠,٣٣
الأم والأب	٣,٢	٣,٩	١,٦
الأب والأم	٤,٧	٢,٧	٠,٥٣

ومن ناحية أخرى فإننا لا نعرف سوى القليل جدًا عن اختلاف أداء الوالدين فيما يتعلق بالوظائف العديدة غير اللعب والتى يؤديانها مع الطفل . ففى الدراسة الاستطلاعية التى أجراها لويس وفيرنج (١٩٨٢) Lewis & Feiring على خمسة عشر طفلاً فى العام الثالث من أعمارهم بالإضافة إلى والديهم وذلك أثناء تناول طعام الغداء قاما بدراسة الفروق فى الوظائف والأدوار التى يؤديها كل من الأب والأم والطفل .

ويوضح الجدول السابق متوسط تكرارات التفاعل من جانب أعضاء الثلاثية الأسرية التى تضم الأم والأب والطفل وذلك بحسب الوظيفة المؤداة . وعند فحص سلوك والدى الطفل الذى يبلغ الثالثة من عمره لاحظنا أن كلاً من الأب والأم يقومان بقدر مشابه من البحث عن المعلومات ورعاية الطفل والعناية به . وبذلك يتضح من خلال دراستنا لهذه العينة الصغيرة لمدة تزيد على خمس عشرة دقيقة أن كلا الوالدين عندما يتعاملان مع الطفل يؤديان الوظيفة التعبيرية (رعاية الأطفال والعناية بهم)

والوسيلية (البحث عن المعلومات) . ففيما يتعلق بالوظيفة التعبيرية نلاحظ أن الأمهات تؤدين هذا الدور بدرجة تزيد قليلاً عن الآباء ، إلا أن مثل هذا الفرق فى السلوك الوالدى يعتبر ضئيلاً جدًّا وغير دال . ومن المدهش أيضًا أن نلاحظ فيما يتعلق بالأنماط السلوكية المسجلة فى موقف وقت تناول الغداء أن النشاط الوالدى الأكثر تكرارًا لم يكن هو رعاية الأطفال أو العناية بهم بل كان هو البحث عن المعلومات . أما فيما يتعلق بالوظائف التي تم تسجيلها هنا فقد لاحظنا أن الأمهات يقمن بتوجيه قدر من السلوك تجاه الطفل أكبر بعض الشيء مما يقوم به الآباء فى هذا الصدد .

ويوضح فحص سلوك الآباء تجاه والديهم أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهم أن يبحثوا عن معلومات من الأم أكثر مما يفعلون مع الأب حتى وإن لم تكن هناك فروق دالة بين الآباء والأمهات في سلوك البحث عن المعلومات التى تتعلق بالطفل . وتؤكد النتائج بذلك أن الفروق فى سلوك الأطفال تجاه والديهم قد لا يعكس بالضرورة فروقًا بين الوالدين في نفس المجال .

وفيما يتعلق بسلوك الوالدين تجاه بعضهما البعض لاحظنا أن الآباء يبحثون عن قدر أكبر من المعلومات عند الأمهات ، بينما تقوم الأمهات برعاية الأطفال والعناية بهم أكثر من الآباء . وفى حالة سلوك الوالدين تجاه بعضهما البعض يبدو أن تقسيم بارسونز وبيلز (١٩٥٥) Parsons & Bales للأدوار ينطبق على الوالدين فى هذه الحالة إلى حد ما على الأقل ، فتقوم الأمهات بقدر أكبر من أنماط السلوك التعبيرية تجاه الآباء ، بينما يقوم الآباء بقدر أكبر من أنماط السلوك الوسيلية تجاه الأمهات . وبذلك يبدو أنه على الرغم من عدم ظهور تمييز بين الوالدين فى الأدوار عند أداء وظائفهما تجاه الطفل فإن هذا التمييز بينهما فى الدور يظهر بجلاء إذا ما كان سلوك كل منهما موجهًا نحو الآخر . وتؤكد هذه النتائج أن الطفل قد يتعلم أيضًا بعض الأشياء عن التوقعات التى ترتبط بالدور التقليدى بالنسبة لسلوك الرجال والنساء وذلك من خلال ملاحظته - وليس المشاركة فى التفاعل القائم - شكلاً من أشكال التأثير غير المباشر للتفاعل القائم بين والديه . ويعتبر تعلم السلوك الاجتماعى من خلال الملاحظة فى الواقع أمرًا جوهريًّا وبديلاً جاهزًا فى عملية التنشئة الاجتماعية .

وتؤكد هذه النتائج بوجه عام أنه حتى بالنسبة لمثل هذه العينة الصغيرة توجد فروق فى توزيع الوظائف والأدوار الاجتماعية التى تؤديها موضوعات اجتماعية مختلفة (أفراد) كما تدل أيضًا على أن الأطفال يخبرون بشكل ما تلك الفروق التى توجد بين كل من الأم والأب بطريقتين كالتالى :

١ - كما يعبر عنها الوالدان تجاه الأطفال حيث يكون الأطفال هنا هم موضوع هذه الفروق .

٢ - كما يشاهدها الأطفال عند تعبير الوالدين عنها لبعضهما البعض حيث لا يشترك الطفل فى التفاعل فى هذه الحالة .

وقد يكون لمثل تلك الأنماط المختلفة من الخبرة دلالتها الهامة بالنسبة للطرق التى يتعلم بها الطفل الأساليب المناسبة للسلوك فى العالم الاجتماعى .

(د) اختلاف وظائف وأدوار الأم والأب وعلاقتهما بجنس الطفل والطبقة الاجتماعية :

يلعب جنس الطفل دورًا هامًا فى اختلاف سلوك كل من الأم والأب تجاه ذلك الطفل إذ يسلك الآباء بشكل مختلف اعتمادًا على ما إذا كانوا يتفاعلون مع ولد أو بنت (e.g. Weinraub, 1980, Weinraub & Frankel, 1977) . فوجد باركى وأوليرى Parke & O'Leary (١٩٧٥) أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء أن يقوموا بلمس ابنهم الذكر ذى الترتيب الميلادى الأول والتحدث إليه أكثر مما يفعلونه مع ابنتهم ذات الترتيب الميلادى نفسه . ولاحظ جيويرتز وجيويرتز Gewirtz & Gewirtz (١٩٦٨) أن الآباء يميلون إلى البقاء مع أطفالهم البنين الرضع بالمنزل لمدة أطول من البنات . ووجد ريبلسكى وهانكس Rebelsky & Hanks (١٩٧١) أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء أن يقللوا من حديثهم إلى بناتهم الرضيعات ، وأن يزيدوا من حديثهم إلى أطفالهم البنين الرضع وذلك فى الشهور القليلة الأولى من حياتهم . كما لاحظ سبيلك وآخرون (١٩٧٣) Spelke, *et al.* أن الأطفال الذين يبلغون عامًا واحدًا من أعمارهم يميلون إلى التحدث للوالد من نفس الجنس أكثر من الوالد من الجنس الآخر . ووجد وينروب وفرانكل Weinraub & Frnakel (١٩٧٧) أن الآباء يقضون مع أطفالهم البنين وقتًا أطول فى

اللعب ، والتحدث إليهم قياسًا بالأمهات ، فى حين تقضى الأمهات وقتًا أطول من الآباء فى أداء نفس الأنشطة مع الأطفال البنات .

وتمثل الطبقة الاجتماعية عاملاً هامًا آخر يؤثر على السلوك الوالدى تجاه الأطفال إذ يرى لين (١٩٧٤) Lynn أن الآباء الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة يميلون إلى أن يكونوا أكثر انغماسًا فى تربية الطفل وتنشئته قياسًا بالآباء الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا . ويرى فريبرج وباين (١٩٦٧) Freeberg & Payne أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا أن يفرضوا الامتثال والطاعة أكثر مما يفعل الآباء الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة . وإضافة إلى ذلك فإنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة لأولئك الآباء الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة أن يقوموا بالقراءة لأطفالهم ، وأن يضعوا لهم معايير تعليمية معينة ، وأن يضعوا لهم أيضًا خططًا للدراسة بالجامعة ، وأن يأخذونهم فى رحلات مختلفة ، وأن يأخذونهم أيضًا إلى المكتبة وذلك قياسًا بأقرانهم الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا . كذلك فمن الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة أن يقوموا بدور تعليمى لأطفالهم فيقوموا بالتدريس لهم (Hess & Torney, 1967) وأن يقوموا بتشجيعهم على حب الاستطلاع ، وأن يكونوا أكثر اهتمامًا بالتعليم الرسمى المستقبلى لأطفالهم (Kohn & Carroll, 1960) .

ومن الجدير بالملاحظة أيضًا أن الفروق التى تظهر فى سلوك الأب تجاه أطفاله والتى ترجع فى أساسها إلى الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها الأب تدل على أن الآباء الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة يعكسون الدور الوسيلى كما حدده بارسونز وبيلز (١٩٥٥) Parsons & Bales بشكل أكثر وضوحًا مما يعكسه أولئك الآباء الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا إذ يبدو فى الواقع أن الآباء الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا لهم تأثير ضئيل جدًا على حياة أسرهم (Bebson, 1968) وأن العديد من الأطفال الذين ينحدرون من الطبقة المتوسطة قياسًا بأقرانهم الذين ينحدرون من الطبقة الدنيا يرون آباءهم على أنهم أرباب الأسر الحقيقيين والقائمين أساسًا على أمر تهذيبهم وتربيتهم (Fitzgerald, 1966) .

ويكشف بيدرسين وآخرون (١٩٨٠) Pedersen, *et al.* عن الكيفية التى يمكن بها للموقف الاجتماعى ، والأنشطة المختلفة والدور الاجتماعى المناط بالأب أن ترتبط معًا فى

سبيل تعيين علاقة الأب بالطفل إذ وجدوا أن القدر الأكبر من تفاعل الأب مع الطفل فى الأسر التى يتمثل فيها الدور الأساسى للأب فى كسب العيش يحدث فى مواقف ثلاثية تضم الأم والأب والطفل . وعلى النقيض من ذلك كان تفاعل الأم مع الطفل يحدث بشكل أكثر تكرارًا عندما لا يكون الأب موجودًا فى المنزل . ونظرًا لأن تعيين أو تخصيص وقت معين لتفاعل الوالد مع الطفل يختلف باختلاف حجم الجماعة فإن تلك الفروق التى تظهر فى الجماعات الاجتماعية التى يتزايد فيها تفاعل الأم والأب مع الطفل تعتبر خصائص مميزة للسلوك والدور الوالدى . وعلى العكس من المواقف الثنائية التى تضم الوالد والطفل فإن السلوك الموجه من الوالد إلى الطفل فى المواقف الثلاثية يتناقص مع حدوث تفاعل بين أحد الوالدين والوالد الآخر . ومع أن الطفل لا يزال يخبر نفس مقدار الانتباه والاهتمام الوالدى فإن هذا الانتباه والاهتمام يصبح فى ذلك الوقت موزعًا بين الوالدين وليس صادرًا عن والد واحد فقط كما كان فى الموقف الثنائى . وبالإضافة إلى ذلك فإن التفاعل الذى يحدث فى الجماعة الثنائية التى تضم الزوج والزوجة يعوق كيف التفاعل المحتمل بين الوالد والطفل ويقيده إذ وجد بيدرسين وآخرون (١٩٨٠) Pedersen, *et al.* أن الاستجابات التى تصدر عن الشخص الراشد والتى تتطلب تركيزًا أكبر للاهتمام والانتباه على الطفل كالابتسام له والتحدث إليه ، واللعب معه يقل احتمال حدوثها أثناء تفاعل الزوجين معًا ، بينما لا تعاق استجابات أخرى مثل حمل الرضيع وهزه أو أرجحته بالأيدى من جراء هذا التفاعل . وبذلك يتضح أن مقدار الوقت المتاح أمام الأب للسلوك المتمركز حول الطفل فى المواقف الثنائية وليس الثلاثية قد يمثل عاملاً هامًا فى تعيين دور الأب فى هذا الصدد .

ويمكننا تلخيص ذلك فنقول أن الآباء على النقيض من الأمهات يقضون وقتًا أقل فى التفاعل الثنائى مع أطفالهم ، وأنهم أكثر اهتمامًا بنمو الدور الجنسى لأطفالهم ، كما يقضون وقتًا أقل مما تقضيه الأمهات فى أنشطة العناية الفعلية بأطفالهم على الرغم من قضائهم لوقت أطول نسبيًا فى اللعب مع الأطفال قياسًا بالأمهات . وبينما يدرك الأطفال آباءهم على أنهم وسيليون ويتسمون بالتحفظ والسيطرة فإنهم يرون أمهاتهم على أنهن تعبيريات وتتسمن بالدفء والرعاية .

ومن المثير حقًّا أن تكشف الدراسات التى تقوم على الملاحظة عن وجود قدر قليل من الفروق الحاسمة فى أنماط سلوكية معينة يقوم بها الآباء والأمهات تجاه أطفالهم ، بينما تبدو أوجه التشابه بينهما أكثر إثارة من أوجه الاختلاف . كذلك فإن الفروق التى تظهر طبقًا لجنس الوالد أثناء تفاعل الوالدين مع أطفالهما قد تعتمد على جنس الطفل وطبيعة سلوكه وذلك خلال سنوات ما قبل المدرسة وما بعدها . ومع ذلك فليس هناك دليل يكشف عن أن الأب يعتبر والدًا من الدرجة الثانية أى يقل عن الأم فى أهميته ودوره بالنسبة للطفل . وعلى الرغم من أن الآباء قد يعبرون عن انغماسهم مع بعض الأطفال فى بعض المواقف بأساليب تختلف قليلاً فإنهم يتساوون مع الأمهات فى حساسيتهم للأطفال واهتمامهم بعملية تربيتهم وتنشئتهم .

(هـ) أوجه الشبه والاختلاف فى سلوك الطفل تجاه الأب والأم :

تركز اهتمامنا حتى هذه النقطة على الفروق فى سلوك الأم والأب تجاه الأطفال ، ولم نتطرق بعد إلى كيفية سلوك الأطفال بشكل مختلف تجاه والديهم . إلا أن هناك موضوعًا يحتاج إلى الدراسة يتمثل فى ما إذا كانت الفروق فى السلوك الوالدى تؤدى إلى فروق فى سلوك الطفل وسماته أم لا حيث كشفت الدراسات التى تناولت السلوك التمييزى من جانب الطفل تجاه الوالد إلى نتائج مختلطة ، فوجد لويس وورينروب (١٩٧٦) Lewis & Weinraub أن كلاً من الأولاد والبنات قد قاموا بلمس أمهاتهم ، والبقاء بالقرب منهن ، والتحدث إليهن أكثر مما فعلوه مع آبائهم وذلك فى موقف معملى للعب الحر . كما كان البنون يميلون إلى النظر إلى آبائهم أكثر من أمهاتهم . ويرى لام (١٩٧٦ - أ) Lamb أن الأطفال الرضع قد فضلوا أمهاتهم على آبائهم فى موقف معملى يتخلله التوتر . ومع ذلك فقد أظهر نفس الأطفال الرضع فى المواقف العادية الخالية من التوتر أو التي تتضمن قدرًا ضئيلاً من التوتر أنماطًا سلوكية أكثر تدل على التواد وأخرى تدل على التعلق بآبائهم أكثر من أمهاتهم . وعلى النقيض من ذلك لاحظ فاندل (١٩٧٦) Vandell عند دراسته للفروق فى التفاعل بين الأم والطفل وفى التفاعل بين الأب والطفل وذلك في الشهور السادس عشر والتاسع عشر والثانى والعشرين من عمر الطفل أن كلا النوعين من التفاعل يتشابهان بدرجة كبيرة ، فلم تختلف الأمهات عن الآباء فى عدد التفاعلات التى

قام بها كل منهما مع الأطفال على سبيل المثال ، كما لم يختلفا أيضًا فى عدد الأنماط السلوكية اللفظية الصادرة عن كل منهما ، تجاه الطفل ، ولا فى النسبة المئوية للتفاعلات سواء تلك التفاعلات التى أخذ هما المبادرة فيها أو تلك التفاعلات التى انتهت عندهما إثر قيام الطفل بالمبادرة فى التفاعل .

كذلك فلم يجد وينروب وفرانكل (١٩٧٧) Weinraub & Frankel أى فروق دالة فى السلوك الصادر عن أطفال يبلغون الشهر الثامن عشر من أعمارهم تجاه أمهاتهم وآبائهم فى موقف للعب الحر كانت فيه لكلا الوالدين الحرية فى الاستجابة بشكل طبيعى لأطفالهم . كما لم يجد لويس ووينروب (١٩٧٦) Lewus & Weinraub أيضًا أى فروق بين الجنسين فى الأنماط السلوكية الدالة على التعلق والصادرة عن أطفال فى الثانية من أعمارهم تجاه أمهاتهم وآبائهم وذلك فى ظل ظروف تتضمن قدرًا ضئيلاً من التوتر .

وترى كلارك – ستيوارت (١٩٧٨ ، ١٩٨٠) Clarke – Stewart أنه عندما توجد هناك فرق فى كم السلوك الدال على التواد من جانب الأطفال والموجه نحو الوالدين قد تكون تلك الفروق دالة للسلوك الوالدى أى ترجع إليه وليس للتفضيلات الحقيقية للطفل إذ وجدت خلال تقييمها للتعلق أن الأطفال الذين يبلغون الشهر العشرين من أعمارهم كانوا أكثر استجابة للعب الذى يبادر به الآباء قياسًا بالأمهات على الرغم من عدم وجود أى تفضيل عند تثبيت كم اللعب الوالدى مع الطفل . كما اتضح أيضًا أثناء ملاحظة جلسات اللعب التى كانت تتم فى المنزل والتى كان يتواجد فيها كل من الأب والأم أنه قد تم تقييم الأطفال على أنهم أكثر تعاونًا واهتمامًا وانغماسًا فى اللعب مع الأب . ويرى يوجمان وآخرون (١٩٧٧) Yogman, *et al.* أنه من الممكن بالنسبة للأطفال الرضع الذين يبلغون الشهر السادس من العمر والتى تمت ملاحظتهم يميلون إلى إظهار نمط تبادلى للتفاعل مع أمهاتهم يقوم على المص ، بينما أظهروا فى تفاعلهم مع آبائهم نمطًا تفاعليًا يتسم بأنه أكثر قوة أو حدة ونشاطًا ويقوم على اللعب .

(و) مظاهر الاختلاف فى السلوك الوالدى وأثرها على نمو الطفل :

يتأثر توزيع الوظائف والأدوار المتضمنة فى مصفوفة الشبكة الاجتماعية للطفل طبقًا للموضوعات (الأفراد) فيها بالعديد من المتغيرات ، منها :

١ - المواقف الاجتماعية ، وتتمثل فى الفروق الثقافية كما تعكسها الطبقة الاجتماعية والفروق بين الجنسين .

٢ - الفروق الديموجرافية التى تتعلق بالأسرة كالترتيب الميلادى للطفل وحجم الأسرة.

٣ - سمات الطفل كالعوامل التى ترتبط بوجوده ونموه .

وعلى الرغم من أن معلوماتنا عن الفروق التى ترتبط بالعلاقة والتفاعل بين الموضوع الاجتماعى (الفرد) وبين الوظيفة أو الدور تعتبر فى تزايد مستمر فليس لدينا أى معلومات عن النتائج النهائية المحتملة لمثل هذه الفروق . وقد وجدت كلارك – ستيوارت (١٩٧٨) Clarke – Stewart فى دراستها للعلاقة بين أنواع الوظائف أو الأدوار التى يؤديها الوالدان وبين نمو الطفل أن الكفاءة العقلية للطفل ترتبط بتعبير الأم عن الدفء والعاطفة الإيجابية (دور الرعاية) ، بالإضافة إلى الإثارة العقلية التى تقدمها للطفل (دور تعليمى) . كما ترتبط نسبة ذكاء الأطفال بدرجة كبيرة بانغماس الأب مع الطفل فى اللعب، بالإضافة إلى مدى توقعه للاستقلالية من جانب الطفل .

ومن ناحية أخرى لم يجد بلسكى (١٩٨٠) Belsky أى فروق دالة فى الأنماط السلوكية للأب والأم ومدى كفاءة الطفل فى القيام بالاستكشاف ، فالأمهات اللائى يقمن بإثارة أطفالهن وينغمسن فى حياتهم بشكل مستمر ، ويقمن بمشاركتهم فى اللعب الاجتماعى كان أداء أطفالهم الرضع يتسم بالكفاءة . ومع ذلك كان الآباء الذين يستجيبون لأطفالهم الرضع لفظيًا ، ويعتنون بهم جسديًا ويعبرون لهم عن عاطفتهم تجاههم ، ويشاركونهم باستمرار فى اللعب النشط القائم على الحركة يتسم أطفالهم الرضع بالكفاءة فى الأداء . كما كان السلوك المميز للأم كاللعب غير المباشر يرتبط بكفاءة الرضيع بالنسبة للأمهات فقط وليس الآباء ، بينما كان السلوك المميز للأب كاللعب الحركى النشط أو العنيف يرتبط بكفاءة الرضيع بالنسبة للآباء فقط وليس الأمهات . كذلك فقد كانت هناك أوجه تشابه متداخلة فى الجانب النهائى أيضًا إذ كان الأطفال الذين يظهر والداهم مستويات مرتفعة من الأنماط السلوكية كالاستجابة اللفظية والآثار الجسدية المادية والعناية بهم يتسمون بالكفاءة فى الأداء .

وتؤكد هذه النتائج أن الأساليب التى يختلف الوالدان بمقتضاها فى سلوكهم تجاه طفلهما قد ترتبط جزئيًا بنمو الطفل . فبينما تعتبر الأمهات أكثر اهتمامًا برعاية الأطفال وتقديم الإثارة العقلية اللفظية لهم ، يعتبر الآباء أكثر اهتمامًا باللعب مع الطفل ، وتحقيقه للاستقلال . كما تؤكد أيضًا على أن مثل هذه الاهتمامات الخاصة بكلا الوالدين لها إسهاماتها الفريدة والدالة على نمو الطفل .

ثالثًا : يكتسب الطفل المعرفة عن طريق التفاعل المباشر وغير المباشر مع الشبكة الاجتماعية :

يدل هذا الافتراض على أنه من وجهة النظر التى تتعلق بالأنساق تعتبر المعلومات التى يكتسبها الطفل عن الأنساق الفرعية التى يعتبر الطفل عضوًا فيها بالإضافة إلى الأنساق الفرعية التى لا يعتبر عضوًا فيها لها أهميتها فى فهم نمو الطفل إذ عندما تمت دراسة التفاعل الأسرى فى وقت تناول الغداء من جانب لويس وفيرنج Lewis & Feiring وهو ما أشرنا إليه سابقًا ، وتم خلاله دراسة ثلاثة أنساق فرعية إضافة إلى آثارها المحتملة على الطفل ، وكانت تلك الأنساق الفرعية هى :

(أ) الأم والطفل .

(ب) الأب والطفل .

(جـ) الأم والأب .

اتضح أن الأطفال لا يكتسبون المعلومات عن الكيفية التى يسلك بها الأب تجاههم أى عندما يكون سلوكه موجهًا إليهم فحسب (أثر مباشر) ، بل إنهم يستطيعون أيضًا أن يكتسبوا المعلومات عن تلك الكيفية التى يسلك بها الأب من خلال مشاهدة سلوكه تجاه الأم (أثر غير مباشر) .

ونظرًا لأنه قد تمت دراسة السلوك والتفاعل الاجتماعى فى إطار وجهة النظر السلوكية فإن العديد من النتائج الإمبيريقية وتلك التى ترتبط بنظرية معينة تتركز حول الأثر المباشر لموضوع (فرد) معين على موضوع (فرد) آخر . وبذلك فإن القدر الذى يتحدث به الأب أو الأم للطفل أو كم حصولهما على المعلومات يرتبط بكم المعلومات التى يبحث الطفل عنها . وفيما يتعلق بدراسة اكتساب اللغة نلاحظ فى الواقع أنه من غير الشائع أن نجد الباحثين يقومون بدراسة مقدار تحدث الأم للطفل كما يرتبط بمقدار

تحدث الطفل فى وقت ما فى المستقبل (e.g. Freedle & Lewis, 1977) . ومع ذلك فقد يتمثل موضوعنا الأساسى هنا أيضًا فى أن السلوك الذى لا يتضمن الطفل بشكل مباشر له نتائجه النهائية الهامة . وتظهر مثل هذه الآثار غير المباشرة فى التراث السيكلوجى تحت عدد من المصطلحات تتضمن النمذجة أو المحاكاة أو التعلم بالملاحظة . وإذا ما أخذنا مائدة الغداء المقدمة هنا كمثال يصبح من الممكن من وجهة النظر التى تتلعق بالأنساق أن نتساءل عما إذا كانت ملاحظة الطفل للوالدين فى بحثهما عن المعلومات من بعضهما البعض لها أثر معين على ذلك الطفل أم لا .

١ - الآثار المباشرة للوالدين على الطفل :

تعرف الآثار المباشرة بأنها تلك التفاعلات التى تتضمن دومًا الشخص المستهدف - وهذا الشخص بالنسبة لنا يتمثل فى الطفل فى هذه الحالة - كأحد المشاركين فيها . وبذلك فإن هذه الآثار المباشرة تمثل أثر شخص معين على سلوك شخص آخر عندما يشترك كلاهما فى تفاعل متبادل . ونظرًا لأنه عادة ما تتم ملاحظة الآثار المباشرة فى تفاعلات ثنائية فإن دراسة مثل هذه الآثار المباشرة تتقيد بنسق يضم شخصين فقط . ومع ذلك فمن الممكن أن نضع فى اعتبارنا جماعة ثلاثية يتفاعل الأب والأم من خلالها مع الطفل فى الوقت ذاته . وفى مثل هذه الحالة يمكن ملاحظة الأثر المباشر للطفل على كلا الوالدين . ولسوء الحظ فإن الأنساق القياسية measurement systems لم تتطور جيدًا بالنسبة لتلك الجماعات الاجتماعية التى تزيد عن شخصين . ونظرًا لأنه قد تمت مسبقًا مناقشة الآثار المباشرة لسلوك الوالدين الموجهة نحو الأطفال وسلوك الأطفال الموجه نحو الوالدين تحت الافتراض الذى يتناول الموضوعات الاجتماعية والوظائف أو الأدوار الاجتماعية فسوف نقوم هنا بالتركيز فقط على تلك الآثار غير المباشرة للوالدين على الطفل .

٢ - الآثار غير المباشرة للوالدين على الطفل :

تشير الآثار غير المباشرة إلى فئتين عامتين من الأحداث ، تتمثل أولاهما فى مجموعة التأثيرات على الشخص المستهدف والتى تحدث فى غياب أحد أعضاء النسق . ومن الأمثلة على ذلك ما نلاحظه من أثر العلاقة بين الأب والأم على سلوك الأم تجاه الطفل عندما تتواجد الأم فقط والطفل بمفردهما .

وتحدث الفئة الأخرى من الآثار غير المباشرة أثرها عندما يتم التفاعل بين أعضاء الشبكة الاجتماعية فى وجود الشخص المستهدف حتى وإن لم يكن التفاعل موجهًا إليه . وقد تناولنا بالفعل مثالاً حول ذلك فى الموقف الذى يلاحظ الطفل فيه كلا الوالدين وهما يبحثان عن المعلومات من بعضهما البعض .

وقد تأخذ الآثار غير المباشرة بين أعضاء الشبكة الاجتماعية العديد من الأشكال المختلفة . وسوف نتناول فى هذا الجزء من الفصل الحالى أربعًا من الأساليب المختلفة التى تظهر من خلالها تلك الآثار غير المباشرة ، هى : المساندة ، والأنماط أو الصيغ التمثيلية ، والانتقال الفكرى والاجتماعى أو ما يعرف بالسند referencing أو الإشارة ، وأخيرًا النمذجة .

(أ) المساندة :

يتمثل الموضوع الأساسي عادة فى حالة الأسرة الذرية للطفل فى وجود علاقة لذلك الطفل بكل والد من والديه ، ووجود علاقة للوالدين ببعضهما البعض على أنهما منفصلين عن الطفل ولكنهما ليسا مستقلين عنه . وتعتبر الطبيعة التى تقوم على الاعتمادية المتبادلة لتلك الأنساق الفرعية التى تضم الطفل والوالد ، والوالد والوالد الآخر سمة تميز الشبكة الاجتماعية للطفل تعمل على حدوث الآثار غير المباشرة . ويمكن النظر فى طبيعة النسق الفرعى الذى يضم الوالد والوالد الآخر فى الشبكة الاجتماعية للطفل على أن لها أثرًا غير مباشر على النسق الفرعى الذى يضم الوالد والطفل . وتعتبر المساندة التى يقدمها الأب للأم والتى تؤثر بدورها على سلوك الأم تجاه الطفل مثالاً هامًا لهذه الظاهرة .

ومن الجدير بالذكر أن الشبكة الاجتماعية للطفل تضم عددًا من الأنساق الفرعية تؤلف فى مجملها أسرة ذلك الطفل ، وتضم هذه الأنساق الفرعية الطفل والوالد ، والوالد الآخر ، بالإضافة إلى الوالد والأخوة ، والطفل والأخوة . هذا ويمكن تصور النسق الفرعى الذى يضم شخصًا راشدًا وشخصًا راشدًا آخر داخل الأسرة الذرية للطفل الصغير فى ضوء علاقتين مختلفتين للدور هما العلاقة بين الأب والأم ، والعلاقة بين الزوج والزوجة وفيما يرتبط بالعلاقة بين هذين الشخصين الراشدين كزوج وزوجة نلاحظ أن هويتي الدور والأنماط السلوكية قد تؤثر على أدائهما لدوريهما كأم وأب والتى

يتم تعيينها بشكل مباشر فيما يتعلق بالطفل . ويرى بارى (١٩٧٠) Barry أن الزيجات الناجحة هى تلك التى يقوم فيها الزوج بتقديم المساندة للزوجة فى جهودها لأداء دورها كأم . ووجد هيث (١٩٧٦) Heath علاقة إيجابية بين إدراك الأم للرضا الزواجى وبين مدى كفاءة الأب كزوج ، كما وجد أيضًا علاقة إيجابية بين إدراك الأم لكفاءة قرينها كزوج وبين كفاءته كأب . ومن الملاحظ أن السيدات اللائى شملتهن الدراسة قد قررن أن القرين الجيد هو ذلك الشخص الذى لديه القدرة على :

١ - إقامة علاقات مساندة وتعاون بين أعضاء الأسرة (دور الأب) .

٢ - إقامة علاقات راشدة مشبعة فى ميادين كالقدرة الجنسية ومهارات التواصل التى تساعده فى التعبير عن مشاعره الداخلية (دور الزوج) .

٣ - جعل الزوجة تشعر بكفاءتها كأم (دور الأب / الزوج) .

كذلك فإن المساندة الانفعالية والاقتصادية التى يقدمها الأب للأم لها أثر غير مباشر على سلوكها تجاه الطفل . فعن طريق تهدئة قلق الأم ، وشكوكها ، وإحباطاتها ، وجعلها تشعر بالكفاءة ، والاطمئنان ، والثقة بالنفس يمكن للأب / الزوج أن يسهل من صدور السلوك الاستجابى للأم تجاه الطفل والإبقاء على هذا السلوك . هذا وقد أوضحت دراسات عديدة أن مساندة الزوج للزوجة حتى خلال الفترة السابقة لميلاد الطفل تؤثر على علاقتها المستقبلية كأم بطفلها ، وأن التكيف الناجح من جانب الزوجة للحمل يرتبط أيضًا بالمساندة التى يقدمها لها زوجها خلال تلك الفترة (Shereshefsky & Yarrow, 1973) . كما أن هذه المساندة التى يقدمها الأب تعمل على خفض حدة التوتر الذى قد تتعرض له الأم أثناء الحمل أو الولادة (Anderpsn & Standley, 1976) .

ومن ناحية أخرى فإن الأمهات اللائي يتعرضن للكآبة بعد الولادة يصفن أزواجهن بأنهن بعيدين عنهن ويتصفون بالبرود العاطفى ، أى أن الأمهات اللائى تعانين من الكآبة وتتسمن بأنهن أقل استجابية لأطفالهن الرضع يخبرون نقصًا فى المساندة من جانب أزواجهن (Kaplan & Blackman, 1969) . وعند دراسته للعلاقة بين مدى انغماس الأم في حياة طفلها ومدى استجابيتها له ومدى إدراكها لكم المساندة التى تتلقاها من الأب وجد فيرنج (١٩٧٥) Feiring ارتباطًا إيجابيًّا قويًا بين تقديرات الأم للمساندة

التى تتلقاها من الأب وبين تقديرها لمدى انغماسها فى حياة الطفل ومدى استجابيتها لـه . وتدل نتائج المقابلات التى أجريت فى هذه الدراسة على أن الزوجات اللائى كن تنغمسن فى حياة أطفالهن كن تملن إلى التعبير عن شعورهن بالمساندة من جانب قرنائهن على الرغم من أنهن كن لا تبدين التركيز على كـم المسـاندة التـى كـن تقـدمنها لأزواجهـن . ويـرى بيدرسين (١٩٧٦) Pedersen أن النسق الفرعى الذى يضم الزوج والزوجـة يـؤثر عـلى النسق الفرعى الذى يضم الوالد والطفل . كما أن كم التـوتر والصـراع الـذى يوجـد فى النسق الفرعى الذى يضم الزوج والزوجة يرتبط سلبًا بلعب الأب مـع الطفـل الرضـيع بالإضافة إلى قيام الأم بأنشطة العناية الخاصة بطفلها الرضيع . ووجد بيدرسين (١٩٧٦) Pedersen فيما يتعلق بموضوع المساندة والآثار غير المباشـرة للوالـدين عـلى الطفـل أن عاطفة الأب تجاه الأم ومقدار ما يوفره لها من الدفء العاطفى قد يعمل على مساندة الأم وتسهيل أدائها الفعال لأنشطة العناية بالطفل .

ويمكن تفسير العديد من الآثار التى يخلفها غياب الأب على الطفل من خلال تلك الفروق التى توجد فى سلوك الأم تجاه أطفالها نتيجة لـنقص المسـاندة ولـيس بالضـرورة لغياب الأب فى حد ذاته إذ تقوم الأم التى يغيب عنهـا زوجهـا فى العديـد مـن الحـالات بتوفير الدعم الاقتصادى للأسـرة سواء أرادت أن تعمل أم لا حيث يجب عليها أن تعمل فى سبيل توفير ذلك الدعم . كما أن عليها أيضًا أن تقوم بكل المهام الأسـرية بنفسـها مـع قليل من المساندة يقدمها لها أفراد من خارج نطاق الأسـرة .

ويتناول لين (١٩٧٤) Lynn العديد من الدراسات التى تقوم فيها الأمهات اللائـى يغيب عنهن أزواجهن غيابًا دائمًا أو مؤقتًا بوصـف تلـك المشـكلات والصـعوبات التـى تخبرنها، ومن هذه الدراسات نجد مثلاً دراسات كريزبرج (١٩٦٧) Kriesberg وبـاركر وكلينـر (١٩٦٦) Parker & Kleiner وتيلـر (١٩٥٨) Tiller . وقـد قـررت هـؤلاء الأمهات أنهن يشعرن بأنهن أسوأ من الناحية النفسية من قريناتهن اللائى لا يغيب عـنهن أزواجهن . كما أنهن كن يشـعرن أيضًـا بـأنهن لا تتكـيفن وفـق الأهـداف أو الأغـراض المختلفة مثل قريناتهن اللائى لا يغيب عنهن أزواجهن . ومن ناحية أخرى كانـت هـؤلاء الأمهات أكثر اهتمامًا بالتحصيل الأكاديمى لأطفالهن قياسًـا بقرينـاتهن اللائـى لا يغيـب

عنهن أزواجهن حيث قمن بقدر أكبر من الجهود غير الملائمة لمساعدة أطفالهن . وكان من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهن أن تكن غير راضيات عن مستوى أداء أطفالهن ، كما كان من الأقل احتمالاً بالنسبة لهن أيضًا أن يشغلن أنفسهن بدراسة أطفالهن أو أن تطمحن فى تعليم أطفالهن فى كلية معينة فيما بعد . وأخيرًا فقد كانت الحياة الاجتماعية للأمهات اللائى يغيب عنهن أزواجهن بصفة دائمة أقل فاعلية ، وكان يقل معدل عملهن خارج المنزل ، وكن يوفرن الحماية الزائدة لأطفالهن ، وكان من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهن أن يكن أكثر اهتمامًا بأخلاقيات أطفالهن وقيامهم بالطاعة بدلاً من اهتمامهن بالسعادة وتحقيق الذات . ويرى هوفمان (١٩٧١) Hoffman أن عدم وجود الزوج مع زوجته يجعلها تشعر بأنها أكثر انشغالاً ، وأكثر إرهاقًا وإنهاكًا ، ومن ثم تشعر بعدم الصبر على الطفل ، كما تشعر بالتوجه نحو الإذعان أو المسايرة المباشرة بدلاً من توجهها نحو الأهداف بعيدة المدى التى تتعلق بشخصية الطفل .

وربما يكون علينا أن نستبدل متغير غياب الأب بمتغيرات تصف افتقار الأم إلى المساندة وذلك بغرض تفسير أثر ذلك الغياب على نمو الطفل . وعلى الرغم من أن تحليل الأنساق الفرعية يوضح أن المساندة التى تقدمها الأم للأب تسهل من حدوث علاقة بينه وبين الطفل فإن هذا الموضوع لم يشهد سوى إجراء قدر ضئيل من الدراسات فقط . وإذا ما سلمنا بأن الأب / الزوج الذى يغمر زوجته بالحب يسهل من حدوث علاقة بينهما وبين الطفل فإن موضوعنا الأساسى هنا لا بد أن يتمثل من أن الزوجة / الأم التى تغمر زوجها بالحب تعمل أيضًا على تسهيل حدوث علاقة بينه وبين الطفل . وقد ينتج عن أى لا تماثل أو تناسق فى توزيع جهود المساندة نتائج هامة بالنسبة لتلك النظريات التى تتناول التفاعل الأسرى .

ويبدو أن إدراك الآباء لتلك الأنماط السلوكية التى تشكل المساندة يختلف عن إدراك الأمهات لذلك . فأنماط السلوك التعبيرية تجعل الأمهات يشعرن بالمساندة ، بينما تجعل أنماط السلوك الوسيلية الآباء هم الذين يشعرون بالمساندة (Wills, *et al.*, 1974) . وتوضح هذه البيانات أنه قد يكون هناك تجانس بين نوع الدور الذى يؤديه الوالد ونوع المساندة التى يتطلبها هذا الوالد من قرينه حتى يتمكن من أداء ذلك الدور .

(ب) الأنماط أو الصيغ التمثيلية :

يمكن أن يحدث تمثيل الموضوعات الاجتماعية الغائبة كالتالى :

١ - عندما يتحدث أحد أعضاء الشبكة الاجتماعية إلى عضو آخر عن عضو ثالث .

٢ - عندما يفكر أحد أعضاء الشبكة الاجتماعية حال غياب عضو آخر فيما يتعلق بهذا العضو الآخر .

وتتكون معرفة الطفل فى الحالة الأولى عن الأب ، وعن علاقته (الطفل) بالأب من خلال موضوع اجتماعى ثالث . ويكون هذا الموضوع الاجتماعى الثالث فى الغالب هو الأم ، إلا أنه قد يتمثل فى الأجداد ، أو الأقارب الآخرين كالعم أو الخال أو العمة أو الخالة ، أو الأخوة ، أو أصدقاء الوالدين . فقد تقول الأم على سبيل المثال « إن هذه هى حقيبة والدى »، أو « إن والدى قد خرج فى رحلة ولكنه إفتقدك » . وقد يقول الجد أو أحد أصدقاء الوالدين للطفل « إنك تشبه والدك تمامًا » . ويرى لويس وفيرنج (١٩٧٨) Lewis & Feiring أن اختلاف قدرة الطفل على التذكر أو التفكير فيما يتعلق بوالديهم حتى عند غيابهما قد يتسبب فى عدم الحصول على نتائج ثابتة فى الدراسات التى تتناول غياب الأب .

وفيما يتعلق بغياب الأب وحدوث التمثيل فى ذلك الوقت فإن هناك حالتين لمثل هذا التمثيل تحدث على النحو التالى :

١ - تقوم الأم بتمثيل الأب كأن تقول للطفل مثلاً « إننى أعمل من أجل الحصول على المال اللازم لتعليمك » .

٢ - تقول الأم للطفل إن الأب قد خرج مع أصدقاء له لأداء شىء ما .

أما فى حالة الغياب الذى يستمر لفترة طويلة من الزمن كما هو الحال بالنسبة للموت أو الطلاق فقد تختلف مثل هذه التمثيليات تمامًا (Hetherington, 1979) . وتوضح العديد من الدراسات أن الأطفال يقومون فى الواقع بالتفكير فى آبائهم عندما يغيب عنهم هؤلاء الآباء (e.g. Baker, *et al.*, 1976) .

ومن ناحية أخرى فإن النشاط التمثيلى الثانى يتضمن تمثيلاً لموضوع غائب . وتؤيد معظم أفكارنا السلوكية وجهة النظر التى تعتبر أن العلاقات وما يرتبط بها من تمثيلات تتكون وتستمر من خلال التواصل ، أى من خلال الآثار المباشرة . وقد يكون من الأفضل تكوين مثل هذه التمثيلات بواسطة الطفل وهو يخبر فترات من كل من الآثار المباشرة وغياب مثل هذه الآثار بمعدل ما غير محدد .

ويطلق سيجل (١٩٧٠) Sigel على انفصال الموضوع عن الطفل والذى يسمح بنمو مثل هذه التمثيلات اسم «التباعد» distancing ويتطلب هذا التباعد من الطفل أن يرسم شكلاً معينًا للموضوع الغائب ويمحصه ويطلق عليه اسمًا معينًا ، وبذلك يدعم التعبير المجرد عنه . ونظرًا لأن الأب فى الأسرة التقليدية هو الذى يقوم بالعمل خارج المنزل فإن التباعد فى مثل هذه الأسرة يلعب دورًا فى قيام العلاقة بين الأب والطفل أكبر منه بالنسبة للعلاقة بين الأم والطفل . إلا أن مثل هذا الفرق لم يعد موجودًا فى الأسرة الأمريكية نظرًا لطبيعتها المتغيرة . وإذا كان الغياب عن المنزل هو المسئول فى الواقع عن مثل هذه الفروق فى التمثيل الوالدى فإننا نتوقع حدوث مزيد من التغيير يكون بإمكاننا أن نلاحظ طبيعته فى تلك الدراسات التى تتناول الأدوار الوالدية التقليدية .

ومن الجدير بالذكر أنه لا يوجد هناك سوى قدر قليل من الدراسات هى التى تناولت الأنماط أو الصيغ التمثيلية خاصة فى مرحلة الطفولة المبكرة . وعند دراستهما للأسماء الأولى التى يستخدمها الأطفال الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين تسعة أشهر وست وثلاثين شهرًا وجد بروكس - جون ولويس (١٩٧٩) Brooks - Gunn & Lewis أنه من سن خمسة عشر شهرًا وهو السن الذى يستخدم فيه الطفل أول أسماء يطلقها على الأشياء قام ٢٥٪ منهم بإطلاق أسماء صحيحة على صور آبائهم ، ولم يقم أى طفل منهم بإطلاق أى أسماء على صور الأمهات . وفى سن ثمانية عشر شهرًا قام جميع الأطفال الرضع الذين شملتهم عينة هذه الدراسة بإطلاق أسماء صحيحة على صور آبائهم ، إلا أن بعض الأطفال قد استخدم الاسم «دادى» الذى يطلق على الأب استخدامًا غير صحيح حيث قاموا بتعميمه تعميمًا زائدًا . وعلى العكس من ذلك قام البعض فقط من هؤلاء الأطفال الذين يبلغون الشهر الثامن عشر من أعمارهم بإطلاق الاسم «مامى» على أمهاتهم مع وجود قدر قليل من التعميم الزائد . وقد أكدت أمهات

الأطفال الذين يبلغون الشهر الخامس عشر من أعمارهم وجود فروق فى تسمية الوالدين من جانب الأطفال حيث قررن أن استخدام أطفالهن لكلمة «دادى» قد سبق استخدامهم لكلمة «مامى» وهو الأمر الذى أكده باحثون آخرون من بينهم جاكوبسون (١٩٦٢) Jakobson على سبيل المثال .

ومن الملاحظ أن تفسير مثل هذه النتيجة التى تتسم بالحدس يرتبط بموضوع مناقشتنا . فإذا ما تساءلنا عن السبب الذى يجعل الطفل يستخدم كلمة «بابى» قبل كلمة «مامى» فسوف نجد أن هناك تفسيرين محتملين لذلك في إطار الأنماط أو الصيغ التمثيلية هما النمطان اللذان تم تناولهما من قبل . فقد يسمع الأطفال الأم وهى تنادى الأب بذلك أكثر مما يسمعون الأب وهو ينادى الأم بهذا الاسم ، وقد تكون مثل هذه الخبرة - معرفة ما يتعلق بموضوع اجتماعى ثان من موضوع اجتماعى ثالث - هى المسئولة عن حدوث مثل هذه الظاهرة .

ولاختبار مدى صحة هذا الاحتمال قام دون Dunn بمراجعة قائمة بالألفاظ التى استخدمها ثمانية وثلاثون زوجًا من الأمهات الإنجليزيات وأطفالهن الرضع فى الشهر الرابع عشر من أعمارهم وذلك عند ملاحظتهم فى المنزل لمدة لا تقل عن ساعتين وتسجيل تلك الألفاظ . ووجد أنه قد تم استخدام كلمة «مامى» مائة وثلاث مرات فى مقابل ثلاث وأربعين مرة لكلمة «بابى» وذلك من بين ما يزيد على خمسة آلاف لفظًا استخدمها هؤلاء الأطفال . وبذلك فإن تكرار استخدام الأطفال للفظين «مامى» و «بابى» لم يؤكد تفسيرنا لوجود فروق فى استخدامه لهذين اللفظين .

وفيما يتعلق بالاحتمال الثانى فقد تم استنباطه من فرض التباعد ، وهو الفرض الذى يعتبر أنه يتم اكتساب التمثيل بشكل أفضل عندما توجد هناك مسافة فاصلة بين الموضوعات الاجتماعية . ويدل عدم القدرة على تفسير ظاهرة وجود فروق بين الأطفال الرضع فى إطلاق الأسماء على الوالدين من خلال الأعداد المجردة للإشارات أو العلاقات أن مثل هذا الفرض قد يكون له مغزاه ودلالته . إلا أن هناك مع ذلك مصدرين آخرين يؤيدان هذا الفرض هما :

١ - أن استخدام كلمة «مامى» قد حدثت من جانب الأطفال الذين شملتهم دراسة دون Dunn هذه خلال النشاط المستمر الذى كانت تؤديه الأمهات . فقد تعلق الأم على سبيل المثال على ما يقوله الطفل قائلة «إن مامى تربط لك حذاءك» ولا يكون الأمر كذلك بالنسبة للأسماء التى تدل على كلمة «دادى» والتى غالبًا ما تحدث فى المناقشات التى تدور حول الأنشطة التى لا تحدث فى وقت الكلام ، كأن تقول الأم مثلاً لطفلها « إن دادى سوف يعود للمنزل غدًا مبكرًا» وبذلك يتعلم الطفل كلمة «دادى» فى غياب الموضوع الاجتماعى الذى تدل عليه وهو الأب ، بينما يتعلم كلمة «مامى» فى وجود الموضوع الاجتماعى الذى تدل عليه وهو الأم .

٢ - يتمثل المصدر الثاني الذى يؤيد فرض التباعد فى تلك الملاحظة التى قام بها روزنبلوم Rosenblum لقردة المكاك التى يتم تربيتها مع أمهاتهم فقط ولا ترى أى قرد آخر فى ذلك الوقت حيث وجد أن هذه القردة تجد صعوبة فى التعرف على أمها حينما تكون تلك الأم مع غيرها من القردة الإناث .

ومرة أخرى نلاحظ أننا إذا ما نظرنا إلى التمثيل على أنه يبنى على أساس من الخبرة المكررة مع الموضوع الاجتماعى فإن النتيجة ستكون هى الحدس المضاد إذ كلما مر الفرد بمزيد من الخبرة حدث مزيد من التمثيل . ويتكون التمثيل بدرجة أفضل عندما يخبر الطفل وجود موضوع اجتماعى معين من خلال التفاعل معه وغياب الموضوع الاجتماعى الآخر بمعدلات غير معروفة إلى حد ما .

وعلى الرغم من أن هذا الجانب من المعرفة الذى يتعلق بالأب والذي يتمثل فى ذلك الاسم الذى يطلق عليه يعتبر أحد الملامح المميزة لها فقط ، فإن هذا المثال يدل على أن الخبرة غير المباشرة يمكن أن تؤثر على معرفة الطفل بما يتعلق بالموضوعات الاجتماعية . وهذا بطبيعة الحال لا يتقيد بالأب فقط إذ كشفت دراسة بروكس - جون ولويس (١٩٧٩) Brooks - Gunn & Lewis عن الفروق بين الأطفال فى إطلاق التسميات المختلفة على الوالدين والتى تضمنت أربعًا من النساء العاملات اللائى كن يتركن منازلهن لمدة أطول من الآباء أن أطفال هؤلاء الأمهات قد استخدموا كلمة «مامى» فى وقت مبكر جدًا قياسًا بأقرانهم . وهذا بدوره يدعم وجهة النظر التى ترى أن تغير تركيب القوى العاملة قد يؤثر على التمثيلات المختلفة التى تصدر عن الأطفال .

وفى دراسة أخرى أجراها بروكس - جون ولويس (١٩٨٢) Brooks - Gunn & Lewis قاما بملاحظة تعلق الطفل بأحد الوالدين وابتسامه وذلك لدى مجموعة أخرى من الأطفال تتراوح أعمارهم بين تسعة أشهر وستة وثلاثين شهرًا بعد أن رأوا صورًا لأمهاتهم وآبائهم ولرجل غريب عنهم ولسيدة غريبة عنهم ، واتضح وجود فروق دالة بين هؤلاء الأطفال فى سن تسعة شهور واثنى عشر شهرًا وذلك فى تكرار نظرهم إلى الأب وابتسامهم له فى مقابل الرجل الغريب قياسًا بتكرار نظرهم إلى الأم وابتسامهم لها فى مقابل السيدة الغريبة . ويمكن النظر إلى مثل هذه النتيجة على أنها ذات مغزى هام حيث قد تدل مع ذلك على أن الأطفال الأصغر سنًا يمكنهم أن يقوموا بشكل جيد بالتمييز بين آبائهم والأشخاص الغرباء فى مقابل أمهاتهم والسيدات الغريبات ، وإن كان الأطفال لم يظهروا ذلك التمييز بشكل واضح فإنهم يظهرون تفضيلاً لآبائهم على الرجال الغرباء فى مقابل تفضيلهم لأمهاتهم على السيدات الغريبات . ويمكن تفسير ذلك بأنه إذا كانت الأمهات بوجه عام يرتبطن بالرعاية فإنهن قد يكن أقل من الرجال تخويفًا للأطفال . وإذا كانت هذه تمثل حقيقة يصبح من الأكثر أهمية بالنسبة للأطفال صغار السن أن يقوموا بالتمييز بين الذكور (الأب فى مقابل شخص آخر) أكثر مما يقومون به بين الإناث (الأم فى مقابل سيدة أخرى) .

وهناك مجال آخر يدعم ذلك الفرض الذى يعتبر أن التمثيلات الوالدية قد تختلف كدالة للانفصال أو التباعد يظهر فى دراسة سيكولوجيا الأنا وتصور فرويد (١٩٥٣) Freud لعمليات التفكير الأولية والثانوية حيث يتكون الأنا جزئيًا نتيجة لعدم قدرة الشخص القائم على العناية بالطفل على أن يقوك بإرضاء ذلك الطفل باستمرار وإشباع حاجاته . وتعتبر تمثيلات الأشخاص الغائبين وتمثيلات الذاكرة إحدى العمليات الأولى First والتى تنتج عن غياب الموضوع . كما يحدث التوحد هو الآخر جزئيًا بسبب غياب الموضوع أيضًا . ويتمثل أحد الأساليب الذى يمكن بمقتضاه استعادة شخص غائب فى التصرف بأسلوب شبيه بأسلوب ذلك الشخص . وتدل الملاحظات الإكلينيكية على أنه عند موت أحد الزوجين يقوم الزوج الآخر فى الغالب بتبنى أخلاقيات الزوج المتوفى ومخزونه السلوكى . كما لوحظ أيضًا أن الأطفال يقومون هم الآخرون بتقليد سلوك الأخوة الذين توفوا (Bowlby. 1980; Weinraub & Frankel, 1977) . وقد تفسر

هذه الظاهرة التمثيلية فى الواقع نتيجة محيرة تتعلق بسلوك الأطفال فى سن عام واحد وفى سن عامين حينما كان يطلب الباحثون من أمهاتهم مغادرة الغرفة المخصصة للعب فى المعمل . فقد وجدنا نحن على سبيل المثال أن أكثر من ٢٣٪ من الأطفال الذين قمنا بملاحظتهم كانوا يتحركون إلى الكرسى الذى كانت تجلس عليه الأم ويجلسون عليه بالرغم من أن ذلك الكرسى لم يكن قريبًا من باب الغرفة .

ومن الجدير بالذكر أن هذا النمط للآثار غير المباشرة له أهمية كبيرة بالنسبة للأعضاء الذين يشكلون الشبكة الاجتماعية حيث نجد :

١ - أن العديد من الموضوعات الاجتماعية تكون تقريبًا بعيدة عن الطفل أو غائبة عنه .

٢ - أن العديد من الوظائف أو الأدوار الاجتماعية تتطلب وجود درجات مختلفة من التباعد .

٣ - أن تباعد الموضوعات الاجتماعية يثير القدرات المعرفية للطفل كالذاكرة والتمثيل ، كما يشكل سطحًا بينيًّا أى له حدود مشتركة وذلك بين النمو الاجتماعى والنمو المعرفى للطفل .

(جـ) الانتقال الفكرى الاجتماعى :

يوضح تحليل الآثار غير المباشرة أن الأحداث التى تتعلق بأعضاء بعينهم فى الشبكة الاجتماعية أو بأنساق فرعية معينة يكون لها تأثيرها على أعضاء آخرين أو أنساق فرعية أخرى . وهنا يأخذ مبدأ الانتقال الفكرى الشكل التالى :

الشخص (أ) له علاقة بالشخص (ب) .

الشخص (ب) له علاقة بالشخص (ج) .

∴ الشخص (أ) له علاقة بالشخص (جـ) .

إلا أن العلاقة بين العناصر فى حالة الانتقال الفكرى الاجتماعى لا تتحدد بالتقييدات المنطقية التى تحكم مسائل الانتقال الفكرى الشكلى الأخرى . ومع ذلك فهناك بعض الأدلة التى تؤكد أنها تسير بنفس الطريقة (Lewis & Feiring, 1982a) . فقد تكون العلاقة بين العناصر أ ، ب ، ج علاقة إيجابية أو سلبية ، كما قد تختلف فى

شدتها أيضًا . وعلى أى حال فإن علاقة العنصر (أ) بالعنصر (ب) تستند جزئيًا على علاقة العنصر (أ) بالعنصر (ب) ، بالإضافة إلى علاقة العنصر (ب) بالعنصر (ج) . وهكذا نجد أنه حتى فى حالة عدم وجود علاقة مباشرة بين أ ، ج يكون من المحتمل بالنسبة لهما أن يكونا علاقة معًا من خلال علاقتهما المتبادلة مع (ب) . وعلاوة على ذلك فإنه فى حالة وجود علاقة مباشرة بين أ ، ج تقوم العلاقة غير المباشرة التى تتكون بين أ، ب وبين ب ، ج بالتأثير على العلاقة بين أ ، ج وتغييرها .

وتتحدد علاقات الانتقال الفكرى بمدى قوة العلاقات المباشرة وشكلها ، فتكون العلاقة الإيجابية المباشرة أكثر قوة من العلاقة السلبية غير المباشرة . كما أن العلاقة المباشرة بين أ ، ج تعتبر أكبر وأقوى من العلاقة غير المباشرة بينهما والتى تستند فى تكونها على العلاقة بين أ ، ب والعلاقة بين ب ، ج . وكما يدل تحليل الأنساق فإن علاقة العنصر (أ) بالعنصر (ج) يجب أن تتأثر بالعلاقة المباشرة للعنصر (أ) بالعنصر (ج)، إضافة إلى علاقة العنصر (أ) بالعنصر (ب) وعلاقة العنصر (ب) بالعنصر (ج).

ومن هذا المنطلق فإن علاقة الطفل بالأم وعلاقة الأم بالأب تؤثر على علاقة الطفل بالأب ، بالإضافة إلى تأثيرها على كم التفاعل المباشر بين الطفل والأب . وكذلك فإن الانتقال الفكرى يظهر أثره فى كل الشبكات الاجتماعية المتسعة extended وطبقًا لهذا المبدأ فإن العلاقات المختلفة يمكن أن تنشأ وأن يتم تعزيزها عن طريق العلاقات غير المباشرة إضافة إلى العلاقات المباشرة أيضًا إذ نجد على سبيل المثال أنه إذا كان الطفل يحب أمه وأمه تحبه ، وكانت أمه تحب أبيه وأبوه يحبها ، فإن ذلك يدل على أن هذا الطفل يحب أبيه وأبوه يحبه حتى عندما لا يوجد تفاعل بينه وبين أبيه كما هو الحال عندما يكون الأب غائبًا عن المنزل .

ويعتبر الانتقال الفكرى الاجتماعى عملية عقلية معقدة تتطلب معرفة الفرد لذاته ولقدرته على إدراك العلاقات المعقدة غير المباشرة ، كما أنها تسهل من حدوث مثل هذه المعرفة . هذا ويمكن تطبيق ذلك المبدأ على العلاقات التى تنشأ بين الطفل وأحد أجداده والتى تتوسطها علاقة هذا الطفل بوالديه وعلاقة الوالدين بوالديهما . وبذلك يعتبر الانتقال الفكرى الاجتماعى أمرًا على درجة كبيرة من الأهمية فى التأثير على علاقات

الطفل بأجداده وخاصة فى الحالات التى لا ينشأ فيها سوى قدر ضئيل من التفاعل المباشر بين الأطفال وأجدادهم بسبب التباعد . وقد لاحظنا أن العديد من الأطفال يعبرون عن مشاعرهم العميقة نحو أجدادهم الذين لا يرونهم إلا نادرًا وذلك بشكل يفوق تعبيرهم عن مشاعرهم نحو صديق للأسرة يرونه باستمرار . ومن الملاحظ أن تفسير الانتقال الفكرى يأخذ الشكل التالى :

(أ) يحب (ب) (أنا أحب أبى) .

(ب) يحب (ج) (أبى يحب أبيه) .

∴ (أ) يحب (جـ) (أنا أحب جدى) .

وقد قام باركى وآخرون (١٩٧٩) Parke, *et al.* بتمحيص فكرة الانتقال الفكرى الاجتماعى كما قدمناها نحن (Lewis & Weinraub. 1976) وذلك فيما يتعلق بتأثير الأب على الطفل . وبالإضافة إلى مناقشتهم للميكانيزم العام للانتقال الفكرى الاجتماعى عندما يتوسط شخص معين أثر شخص آخر على شخص ثالث كالأب والأم والطفل مثلاً قام باركى وآخرون بتعيين وضع الدور السلبى بالنسبة لكل فرد تتضمنه علاقة الانتقال الفكرى الاجتماعى الثلاثية . وبهذا الشكل يتضح أن السمة الأساسية للتأثيرات الانتقالية الفكرية تتمثل فى ذلك الدور المحورى لأحد الأشخاص على أنه متلق أولى للتأثير ومصدر ثانوى له وذلك فى مواجهة الطفل أو بالمقارنة معه . فنجد على سبيل المثال أن تأثير الانتقال الفكرى الاجتماعى يظهر عندما يكون الأب مصدرًا أوليًا للمساندة ومؤثرًا بالنسبة للأم التى تعتبر بمثابة المتلقى الأولى للتأثير هنا ، وتكون الأم هى المصدر الثانوى للتأثير بالنسبة للطفل الذى يعتبر فى هذه الحالة هو المتلقى الثانوى للمساندة التى يقدمها الأب للأم .

وهناك بعض النتائج التى يتضمنها التراث السيكولوجى حول هذا الموضوع والتى تتعلق بالأطفال الأكبر سنًا إذ يصف روم Romm (نقلاً عن لين Lynn ١٩٧٤) ذلك الدور الذى تلعبه الأم فى حالة العلاقة بين الأب وابنته بأنه دور على درجة كبيرة جدًا من الأهمية ، فإذا كانت البنت تعتقد أن أمها تولى أبيها فى الواقع مزيدًا من الاهتمام وتحبه وتحترمه فإنها تشعر أيضًا أن لديها هى الأخرى الحرية فى أن تقوم بتطوير علاقة حميمة مع

أبيها دون أن تشعر بالذنب فى حق أمها أو الاستياء من جراء هذه العلاقة . وبمجرد أن تخبر البنت علاقة حميمة ودافئة مع أبيها يصبح بإمكانها أن تنقل نفس هذه المشاعر عندما تكبر مستقبلاً إلى رجل فى مثل سنها . ومن ناحية أخرى قام باحثون آخرون بالتأكيد على أهمية الأب فى اكتساب البنت للأنوثة ، فطبقًا لما تراه هيذرنجتون (١٩٧٩) Hetherington ترتبط الأنوثة لدى البنات بمدى موافقة الأب على الأم كنموذج أنثوى، إضافة إلى ذكورة الأب ذاته ، وتعزيزه لمشاركة البنت فى الأنشطة الأنثوية . وعلى الرغم من ذلك فإن أنوثة الأم لا ترتبط بأنوثة البنت كما يتوقع البعض ، بل كما يتوقع الكثيرون .

وبالرغم من عدم تناول الانتقال الفكرى الاجتماعى بين الأم والأب والطفل بالدرسة فإن فيرنج وآخرين Feiring, *et al.* قد تناولوا مدى تطور أثر الانتقال الفكرى الاجتماعى ، وما إذا كانت الخبرات غير المباشرة للطفل تؤثر على سلوكه تجاه الغرباء ، وما إذا كانت العلاقة بين الطفل والوالد ضرورية لحدوث ظاهرة الانتقال الفكرى الاجتماعى أم لا . وقاموا فى سبيل ذلك بتعريض خمسة وأربعين طفلاً فى الشهر الخامس عشر من أعمارهم لواحد من مواقف ثلاثة كالتالى :

١ - فى الموقف الأول يشاهد الطفل الأم وهى تتفاعل مع شخص غريب بطريقة إيجابية تتضمن لعب دور الصديق الجيد أو الفاضل .

٢ - فى الموقف الثانى يشاهد الطفل الشخص الغريب وهو يتفاعل مع شخص غريب آخر بطريقة إيجابية تشمل أو تتضمن لعب دور الصديق الجيد أو الفاضل .

٣ - فى الموقف الثالث يدخل الشخص الغريب الحجرة ولا يتفاعل مع الأم أو مع الشخص الغريب الآخر ولكنه بدلاً من ذلك يجلس ويشرع فى قراءة مجلة .

وعقب تعريض الطفل لأحد هذه المواقف الثلاثة يتوجه الشخص الغريب إلى الطفل للعب معه . وكان من المتوقع أنه إذا كانت علاقة الطفل بالأم تعتبر عاملاً جوهريًا لحدوث الانتقال الفكرى الاجتماعى فسوف نلاحظ مزيدًا من السلوك الإيجابى من جانب الطفل تجاه ذلك الشخص الغريب بعد ملاحظة الطفل لأمه وهى تتفاعل معه بطريقة إيجابية (الموقف الأول) وذلك مقارنة بالتفاعل الإيجابى الذى يحدث بين ذلك الشخص الغريب والشخص الغريب الآخر (الموقف الثانى) ، أو بعدم مشاركة ذلك الشخص الغريب فى أى تفاعل (الموقف الثالث) . وقد كشفت النتائج عن أن الأطفال

الذين لاحظوا الموقف الأول قد أظهروا مزيدًا من اللعب بالدمى مع الشخص الغريب إضافة إلى حدوث زيادة فى مقدار لعبهم بالدمى أثناء فترة اللعب قياسًا بالأطفال الذين تعرضوا لأحد الموقفين الثانى أو الثالث . وبذلك تدل نتائج هذه الدراسة على أن الانتقال الفكرى الاجتماعى يعتبر من الميكانيزمات التى يمكن حدوثها لدى الأطفال صغار السن حتى فى الشهر الخامس عشر من أعمارهم .

(د) النمذجة :

تمثل النمذجة وما ينتج عنها من سلوك شكلاً هامًّا من أشكال التأثير غير المباشر على الطفل . ويتسم سلوك النمذجة البسيطة بقيام الطفل بما يقوم به شخص آخر حتى وإن لم يكن هذا الشخص الآخر يتفاعل مع الطفل بشكل مباشر . ومن الملاحظ أنه لا ينسب المزيد من السلوك المتعلم إلى النمذجة نظرًا لوجود صعوبة فى إثبات هذه الظاهرة تجريبيًّا .

كما أن العديد من الاختبارات التى تتناول النمذجة تحدد وقتًا معينًا للطفل وحدود معينة للسلوك ، ويصبح على الطفل إذا أراد أن يتخذ شخصًا آخر نموذجًا له أن يسلك بطريقة مشابهة لذلك الشخص خلال وقت محدد . وقد تكون هذه الفترة الزمنية المحددة قصيرة جدًّا كى تترك آثارًا بعيدة المدى على الطفل ، كما قد يصعب أيضًا تحديد أوجه الشبه فى السلوك .

خاتمة :

لقد أوضحنا فى نهاية تحليلنا الذى أجريناه عام ١٩٧٦ أننا نحتاج إلى إجراء المزيد من الدراسات التى تعيننا على فهم دور الأب فى نمو الطفل . وقد أكدنا على وجه الخصوص أننا نحتاج إلى القيام بتصور للأب كعضو فى الشبكة الاجتماعية للطفل . إلا أنه لم تجر مع ذلك فى هذا الجانب سوى دراسات قليلة نسبيًّا ، وبذلك يصبح من غير المناسب أن نكرر هنا ما سبق وأكدناه من قبل .

ومن الملاحظ أن الفشل أو عدم القدرة على تصور الشبكة الاجتماعية للطفل بشكل دقيق يؤدى إلى الإضرار بالبنية المعقدة للعلاقات الاجتماعية التى يصبح الطفل بمقتضاها قادرًا على التعلم . كما أن نقص النماذج التى تتضمنها الشبكة الاجتماعية يعوق الجهود البحثية ليس فى مجال علاقة الطفل بالأب فحسب ، بل أيضًا فيما يتصل بعلاقته بالأقران والأجداد والأعمام أو الأخوال والعمات أو الخالات والأصدقاء ، وما إلى ذلك .

وقد قمنا بتقديم بعض الافتراضات التى تسهل من دراسة الشبكة الاجتماعية ، وقمنا بالتركيز على تلك الأساليب المختلفة التى ينتهجها الطفل فى اكتسابه للمعرفة من الآخرين . وعلى الرغم من أن غالبية الدراسات قد أكدت على الآثار المباشرة للموضوعات الاجتماعية فقد وضعنا فى اعتبارنا وجود أنماط أو صيغ إضافية للتأثير ، فقد يؤثر أعضاء الشبكة الاجتماعية على الطفل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . ومن الجدير بالذكر أن أنماط أو صيغ التأثير هذه تؤثر فى النمو المعرفى للطفل وفى نموه الاجتماعى الانفعالى وتتأثر بهما . وقد كان لذلك الدور الذى يلعبه الأب فى نمو الطفل الفضل فى تحويل اهتمامنا إلى أهمية الآثار غير المباشرة وتلك الآثار التى تتعدى نطاق التفاعل الثنائى . وتدل ملاحظة الأم والأب والطفل فى المواقف الثنائية التى تضم أحد الوالدين والطفل ، والثلاثية التى تضم الأم والأب والطفل أن الأب يؤثر على كم وكيف السلوك الذى يصدر عن الأم (Clarke - Stewart, 1978, 1980) . وكما يرى بيدرسين وآخرون (١٩٨٠) Pedersen. *et al.* فإن الأب يقضى نتيجة لعمله خارج المنزل وقتًا للتفاعل مع طفله فى المواقف الثلاثية أطول من الوقت الذى يقضيه معه فى المواقف الثنائية . وتعتبر المواقف التى تضم ثلاثة أشخاص (الثلاثية) أو أكثر سمة محددة للموقف الذى تحدث فيه الآثار غير المباشرة على الطفل (Bronfenbrenner, 1977) .

ونظرًا لأن الأم قد تتفاعل أكثر مع الطفل فى المواقف الثنائية أى التى تتطابق مع الآثار المباشرة ، وأن الأب قد يتفاعل أكثر مع الطفل فى الجماعات التى يزداد عدد أعضائها عن اثنين ، فقد يكون تأثير الأب على الطفل أكثر ارتباطًا بالعمليات غير المباشرة . إلا أنه على الرغم من تلك الجهود التى بذلها القليل من الباحثين أمثال كلارك - ستيوارت (١٩٧٨) Clarke - Stewart ولام (١٩٧٦ - ب ، ١٩٧٦ - د، ١٩٧٩) Lamb ولويس وفيرنج (١٩٧٩) Lewis & Feiring وبيدرسين وآخرون (١٩٧٩ ، ١٩٨٠) Pedersen, *et al.* فإن المشكلات التى تواجهنا فى قياس آثار التفاعل الذى يتضمن أكثر من فردين لا تزال تقف عائقًا أمام دراسة الآثار غير المباشرة (Lamb, *et al.*, 1979) . وتكشف الدراسات الأكثر حداثة للأنساق المتضمنة فى الشبكة الاجتماعية أنه لا يمكننا أن نفهم دور الأب فى حياة الطفل بشكل أفضل إلا إذا قمنا بتطوير نماذج وأساليب أفضل لقياس الشبكة الاجتماعية .

* * *

مراجع الفصل العاشر

Aberle, D. F., & Naegele, K. D. (1952). Middle-class father's occupational roles and attitudes toward children. American Journal of Orthopsychiatry, 22, 366-378.

Ainsworth, M. D. S. (1964). Patterns of attachment behavior shown by the infant in interaction with his mothers. Merrill-Palmer Quarterly, 10,51-58.

Ainsworth, M. D. S. (1969). Object relation, dependency and attachment : A theoretical review of the infant-mother relationship. Child Development, 40, 969-1026.

Aldous, J. (1975). The search for alternatives : Parental behaviors and children's original problem solutions. Journal of Marriage and the Family, 37,711-722.

Anderson, B. J., & Standley, K. (1976). A methodology for ubsel vation of the childbrith environment. Paper presented at the meetings of the American Psychological Association, Washington, D. C., September.

Armentrout, J. A., & Burger, G. K. (1972). Children's reports of parental childrearing behavior at five grade levels. Developmental Psychology, 7, 44-48.

Bach, G. (1946). Father fantasies and father typing in father-separated children. Child Development, 17, 63-80.

Baker, S. L., Fagan, S. A. , Fischer, E. G., Janda, E. 1., & Cove, L. A. (1967). Impact of father absence on personality factors of boys. 1. An evaluation of the military family's adjustment. Paper presented at the meeting of the American Orthopsychiatric Association, Washington, D. C., March.

Ban, P., & Lewis, M. (1974). Mothers and fathers, girls and boys : Attachment behavior in the one-year-old. Merrill - Palmer Quarterly, 20, 195-204.

Bandura, A. (1969). Principles of behavior modification. New York: Holt, Rinehart, & Winston,.

Barry, W. A. (1970). Marriage research and conflict: An integrative review. Psychological Bulletin, 73, 41-54.

Belsky, J. A. (1980). Family analysis of parental influence on infant exploratory competence . In F. A. Pedersen (Ed.), The father-infant relationship: Observational studies in the family setting.New York: Praeger.

Benson, L. (1968). Fatherhood: A sociological perspective. New York: Random Hosue.

Block, J. H. (1973). Conceptions of sex role: Some cross-cultural and longitudinal perspectives. American psychologist, 28, 512-526.

Bowlby, J. (1951). Maternal care and mental health. Geneva. : WHO.

Bowlby, 1. (1969). Attachment and loss, Vol. 1. Attachment. New York: Basic Books.

Bowlby, J. (1980). Attachment and loss , Vol. 3. Loss: Sadness and depression. New York: Basic Books.

Bronfenbrenner, U. (1961). Some familial antecedents of responsibility and leadership in adolescents. In L. Petrolia & B. M. Bass (Eds.), Leadership and interpersonal behavior. New York : Holt, Rinehart, & Winston.

Bronfenbrenner, U. (1974). Denelopmental research, public policy and the ecology of childhood. Child Development, 45, 1-5 .

Bronfenbrenner, U. (1977). Toward an experimental ecology of human development. American psychgologist 32, 513-532.

Brooks-Gunn J., & Lewis, M. (1979). "Why Mama and Papa?" The development of stoical labels. Child Development, 50, 1203-1206.

Brooks-Gunn, J., & Lewis, M. (1982). Infant social perception : Responses to pictures of parents and strangers. Developmental Psychology.

Clarke -Stewart, K . A. (1978). And daddy makes three: The father's impact on mother and young child. Child Development, 49,466-478.

Clarke-Stewart, K. A. (1980). The father's contribution to children's cognitive and social development in early childhood. In F. A. Pedersen (Ed.), The father-infant relationship : Observational studies in the family setting. New York: Praeger.

Crain, A. 1., & Stamm, C. S. (1965). Intermittent absence of fathers and children's. perception of parents. Journal of Marriage and the Family, 27, 344-347.

Dunn, J. (1975). Personal communication. October.

Dunn, J., & Kendrick, C. (1979). Interaction between young siblings in the context of family relationships. In M. Lewis & L. Rosenblum (Eds.). The child and its family. New York: Plenum.

Dunn, J. , & Wooding , C. (1977). Play in the home and its implications for learning . In B. Tigard & D. Harvey (Eds.), The biology of play. London: Heinemann.

Edwards, C. P., &: Lewis, M. (1979). Young children's concepts of social relations :Social functions 2.Ilcl social objects. In M. Lewis & L. Rosenblum (Eds.), The child and its family. New York: Pleunum.

Emmerich, W. (1959). Young children's discrimination of parent and child roles. Child Development, 30, 403-419.

Fagot, B. I. (1974). Sex differences in toddler's behaviors and parental reactions. Developmental Psychology, 10, 554-558.

Feiring, C. (1975). The influence of the child and secondary parent on maternal behavior :Toward a social systems view of early infant-mother attachment. Unpublished doctoral sissertation, University of Pittsburg.

Feiring, C., Lewis, M., & Starr, M. (1981). Indirect and direct effects of children's reactions to unfamiliar adults. Manuscript in preparation.

Feldman, S. S. (1974). The impact of day care an one aspect of children's scoial emotional behavior. Paper presented at the meetings of the American Association for Advancement of Science, San Francisco, February.

Field, T. (1978). Interaction patterns of primary versus secondary caretaker fathers. Developmental Psychology, 14,183-185.

Fitzgerald, M. P. (1966). Sex differences in the perception of the parental role for middle and working class adolescents. Journal of Clinical Psychology, 22,15-16.

Freeberg, N. E., & Payne, D. T. (1967). Dimensions of parental practice concerned with cognitive development in the preschool child. Journal of Genetic Psychology, 111,245-261.

Freedle, R., & Lewis, M. (1977). Paralinguistic conversations . In M. Lewis & L. Rosenblum (Eds.), Interaction, conversation, and the development of language. New York : Wiley.

Freud, S. (1953). Three essays on the theory of sexuality (1905). Standard Edition, Vol. 7. London : Hogarth.

Gewirtz, H. B., & Gewirtz, J. L. (1968). Visiting and caretaking patterns for kibbutz infants : Age and sex trends. American Journal of Orthopsychiatry, 38, 427-443.

Goodenough, E. W. (1957). Interest in persons as an aspect of sex difference in the early years. Genetic Psychology Monographs, 55, 287-323.

Harlow, H. F., & Harlow, M. K. (1965). The affect ional systems. In A. M. Schrier, H. F. Harlow, & F. Stollnitz (eds.), Behavior of nonhuman Primates. Vol. 2 . New York: Academic press.

Harlow, H. F., & Harlow, M. K. (1966). Learning to love. American Scientist, 54, 244-272.

Hartup, W. (1980). Peer play and pathology : Considerations in the growth of social competence. In T. Field (Ed.), High risk infants and children: Adult and peer interactions. New York: Academic Press.

Hartup, W. W. (1981). Two social worlds :Family relations and peer relations. In M. Rutter (Ed.), Scientific foundations of developmental psychiatry. London: Heinemann.

Heath, D. H. (1976). Competent fathers: Their personality and marriages. Human Development, 19, 26-39.

Hess, R. D., & Torney, 1. (1967). The development of political attitudes in children. Chicago : Aldine.

Hetherington, E. M. (1979). Play and social interaction in children following divorce. Journal of Social Issues, 35,26-49.

Hinde, R. A. (1976). Interactions, relationships, and social structure. Man, 11, 1-17.

Hoffman, M. L. (1971). Father absence and conscience development. Developmental Psychology, 4,400-406.

Jakobson, R. (1962). Why "Mama" and "Papa"?! In Selected writings of Roman Jacobson The Hague : Mouton.

Kagan, J., & Lemkin, J. (1960). The child's differential perception of parental attitudes. Journal of Abnormal and Social Psychology, 61, 440-447.

Kaplan, E. H., & Blackman L. H. (1969). The Husband's role in Psychiatric illness associated with childbearing. Psychiatric Quarterly, 43, 396-409.

Kohn, M. L., & Carroll, E. E. (1960). Social class and the allocation of parenta! responsibilities. Sociometry, 23, 372-392.

Kotelchuck, M. (1972). The nature of the child's tie to his father. Unpublished doctoral dissertation, Harvard University.

Kriesberg, L. (1967). Rearing children for educational achievement in fatherless families. Journal of Marriage and the Family, 29, 288-301.

Lamb, M. E. (1976). Effects of stress and cohort on mother- and father-infant interaction. Developmental Psychology, 12, 435-443(a).

Lamb, M. E. (1976). Interactions between eight-month-old children and their fathers and mothers. In M. E. Lamb (Ed.), The role of the father in child development. New York :Wiley (b).

Lamb, M. E. (1976). The role of the father: An overview. In M. E. Lamb (Ed.), The role of the father in child development. New York: Wiley, (c).

Lamb, M. E. (1976). Twelve-month-olds and their parents: Interaction in a laboratory playroom. Developmental Psychology, 12, 237-244(d).

Lamb, M. E. (1977). Father-infant and mother-infant interaction in the fITst year of life. Child Development, 48, 167-181(a).

Lamb, M. E. (1977). The development of mother-infant and father-infant attachments in the second year of life. Developmental Psychology, 13(6), 637-648(b).

Lamb, M. E. (1978). The development of sibling relationships in infany :A short - term longitudinal study. Child Development, 49, 1189-1196.

Lamb, M. E. (1979). The effects of the social context on dyadic social interaction. In M. E. Lamb, S. J. Suomi, & G. R. Stephenson (Eds.), Social interaction analysis. Methodological issues. Madison. : University of Wisconsin Press.

Lamb, M. E. (1980). The development of parent-infant attachments in the first two years of life. In F. A. Pedersen (Ed.), The father-infant relationship Observational studies in the family setting. New York, Praeger.

Lamb, M. E., Suomi, S. J., & Stephenson, G. R. (1979). Social interaction analysis: Methodological issues. Madison : University of Wisconsin Press.

Lansky, L. M. (1967). The family structure also affects the model: Sex-role attitudes in parents of preschool children. Merrill-Palmer Quarterly, 13, 139-150.

Lewis, M. (1979). The social network: Toward a theory of social development. Fiftieth anniversary invited address at the meetings of the Eastern Psychological Association, Philadelphia, April.

Lewis, M., & Ban, P. (1977). Variance and invariance in the mother-infant interaction : A corss-cultural study. In P. H. Lieberman , S. R. Tulkin & A. Rosenfeld (Eds.), Cultural and infancy. New York :Academic.

Lewis, M., & Fairing, C. (1978). The child's social world. In R. M. Lerner & G. D. Spanier (Eds.), Child influences on marital and family interaction: A life-span perspective. New York :Academic Press.

Lewis, M., & Firing, C. (1979). The child's social network: Social object, social functions and their relationship. In . M. Lewis, & L. Rosenblum (Eds.), The child and its family. New York: Plenum.

Lewis, M., & Feiring, C. (1932). Direct and indirect interactions in social relationships. In L. Lipsitt (Ed.), Advances in infancy research, Vol. I. Norwood, N. J. : Ablex (a).

Lewis, M., & Feiring, C. (1982). Some American families at dinner. In L. Laosa, & 1. E. Sigel (Eds.), Families as learning environments for children. New York: Plenum (b).

Lewis, M., & Rosenblum , L. (Eds). (1979). The child and its family. New York: Plenum.

Lewis, M., & Schaeffer, S. (1980). Peer behavior and mother-infant interaction in maltreated children. In M. Lewis, & L. Rosenblum (Eds), The uncommon child. New York: Plenum,.

Lewis, M., & Weinraub, M. (1976). The father's role in the infant's scoial network. In M. E. Lamb (Ed)., The role of the father in child development. New York: Wiley.

Lewis, M., Young, G., Brooks, J., & Michelson, L. (1975). The beginning of friendship. In M. Lewis, & L. Rosenblum (Eds.), Friendship and peer relation. New York :Wiley.

Lynn, D. B. (1974). The father: His role in child development. Monterey, Calif. :Brooks/Cole.

Margolin, G., & Patterson, G. R. (1975). Differential consequences provided by mothers and father for their sons and daughters. Developmental Psychology, 11, 537-538.

Matas, L., Arend, R. A., & Sroufe, L. A. (1978). Continuity of adaptation in the second year of life . Child Development, 49, 547-556.

Monane, J. H. (1967). A sociology of human systems. New York: Appleton-Century -Crofts.

Newson, J., & Newson, E. (1968). Four years old in an urban community. London :Allen & Unwin.

Parke, R. D. & O'Leary, S. (1975). Father-mother-infant interaction in th~ newborn period: Some findings, some observations, and some unresolved issues. In K. Riegel, & J. Meacham (Eds.), The developing individual in a changing world: Vol. 2. Social and environmental issues. The Hague: Mouton.

Parke, R. D., Power, T. G., & Gottman, J. M . (1979). Conceptualizing and quantifying influence patterns in the family triad. In M. E. Lamb, S. J. Suomi, & G. R. Stephenson (Eds.), Social interaction analysis: Methodological issues. Wisconsin : University of Wisconsin Press.

Parke, R. D., & Sawin, D. B. (1975). Infant characteristics and behavior as elicitors of maternal and paternal responsiveness in the newborn period. Paper presented at the meetings of the Society for Research in Child Development, Denver, April.

Parke, R. D. & Sawin, D. B. (1980). The family in early infancy: Social interact ional and attitudinal analysis. In F. A. Pedersen (Ed.), The father-infant relationship. Observational studies in the family setting. New York: Praeger.

Parker, S., & Kleiner, R. J . (1966). Characteristics of Negro mothers in single-headed house holds. Journal of Marriage and the Family, 28, 507-513.

Parsons, T., & Bales, R. F. (1955). Family, socialization and interaction process. Glencoe. Ill. :Free Press.

Pedersen, F. A. (1975). Mother, father and infant as an interactive system. Paper presented at the meetings of the American Psychological Association, Chicago, September.

Pedersen, F. A. (1976). Does research on children reared in fatherabsent families yield information on father influences ? The Family Coordinator, 25, 459-464.

Pedersen, F. A. (Ed.) (1980). The father-infant relationship : Observational studies in the family setting. New York :Praeger.

Pedersen, F. A., Anderson, B. J., & Cain, R. L., Jr. (1980). Parent-infant and husband-wife interactions observed at age five months. In F. A. Pedersen (Ed.), The father infant relationship :Observational studies in the family setting. New York, Praeger.

Pedersen, F. A., & Robson, K. S. (1969). Father participation in infancy . American Journal of Orthopsychiatry, 39, 466-472.

Pedersen, F. A. , Yarrow, L. J., Anderson, B. J., & Cain, R. L. (1979). Conceptualization of father influences in the infancy period. In M. Lewis, & L. Rosenblum (Eds.), The child and its family. New York: Plenum.

Power, T. G. , & Parke, R. (1982). Playas a context for early learning. In L. M. Laosa & 1. E. Sigel (Eds.), Families as learning enviurnments for children. New York, Plenum.

Rebelsky, F., & Hanks, C. (1971). Fathers' verbal interaction with ir.f(1nts in the first three months of life. Child Development, 43,63-68.

Rosenblatt, P. C. (1974). Behavior in public places :Comparisons of couples accompanied and unaccompanied by children. Journal of Marriage and the Family, 36, 750-755.

Rosenblum, L. (1975). Personal commumication. October.

Schaffer, H. R., & Emerson, P. E. (1964). The development of social attachment in infancy. Monographs of the Society for Research in Child Development, 29, Serial No. 94.

Sears, R. R., Maccoby, E. E., & Levin, H. (1957). Patterns of child rearing. New York: Row, Peterson.

Shereshefsky, P. M., & Yarrow, L. J. (1973). Psychological aspects of a first pregnancy and early postnatal adaptation. New York :Raven Press.

Sigel, L (1970). The distancing hypothesis :A causal hypothesis for the acquisition of representational thought. In M. R. Jones (Ed.), Miami symposium on the prediction of behavior, 1968 :Effect of early experience. Coral Gables, Fla. : University of Miami Press.

Snow, C. (1972). Mothers' speech to children learning language .Child Development, 43, 549-565.

Spelke, E., Zelazo, P., Kagan, J. , & Kotelchuck, M. (1973). Father interaction and separation protest. Developmental Psychology, 9, 83-90.

Spitz, R. A. (1945). Hospitalism : An inquiry into the genesis of psychiatric conditions in early childhood. The psychoanalytic study of the child, 1, 45-67.

Suomi, S. J. (1979). Differential development in various social relationships in rhesus monkey infants. In M. Lewis, & L. Rosenblum (Eds.), The child and its family. New York :Plenum.

Suomi, S. J., & Harlow, H. F. (1975). The role and reason of peer relationships in rhesus monkeys. In M. Lewis, & L. . A Rosenblum (Eds.), Friendship and peer relations. New York :Wiley.

Suomi, S. J., & Harlow, H. F. (1978). Early experience and social development in rhesus monkeys. In M. E. Lamb (Ed.), Social and personality development. New York: Holt, Rinehart, & Winston.

Tasch, R. J. (1952). The role of the father in the family. Journal of Experimental Education, 20, 319-361.

Taylor, J. (1975). Systometrics. Unpublished manuscript, University of Pittsburgh.

Thomas, M. M. (1968). Children with absent fathers. Journal of Marriage and the Family, 30, 89-96.

Tiller, P. O. (1958). Father absence and personality development of children in sailor families. Nordisk Psycholgis Monographs, 9, 1-48.

Trevarthen, C. (1974). Conversation with a 2-month-old. New Scientist, 2 (5), 230-235.

Vandell, D. L. (1976). Mother's and father's social interaction with their toddler sons. Paper presented at the meetings of the Eastern Psychological Association. New York, April.

Von Bertalanffy, L. (1967). Robots, men and minds. New York : Braziller.

Waters, E. Whippany, A., & Sroufe, L. A. (1979). Attachment, Postive affect and cometence in the peer group :Two studies in construct validation. Child Development, 50, 821-829.

Weinraub, M. (1978). Fatherhood :The myth of the second-class parent. In J. H. Stevens. Jr. & M. Mathews (Eds.), Mother-child, father-child relationships. Washington. D.C. : National Association for the Education of Young Children.

Weinraub, M. (1980). The changing role of the father :Implication for sex role development in children. Paper presented at the meetings of the . American Psychological Association, Montreal , August.

Weinraub, M., Books, J., & Lewis, M. (1977). The social network:A reconsideration of the concept of attachment. Human Development, 20,31-47.

Weinraub, M., & Frankel, 1. (1977). Sex differences in parent-infant interaction during free play, departure , and separation. Child Development, 48, 1240-1249.

Whiting, B. B. , & Whiting, J. W. (1975). Children Devebpment of six cultures:A psychological analysis. Cambridge, Mass. Harvard University Press.

Wills, T. A., Weiss, R. L., & Patterson, G. R. (1974). A behavioral analysis of the determinants of marital satisfaction. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 42, 802-811.

Yogman, M. J., Dixon., S., Tronick E., Als, H., & Brazelton, T. B. (1977). The goals and structure of face-to- face interaction between infants and fathers. Paper presented at the meetings of the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.

Zajonc, R. B., & Markus, C. B. (1975). Birth order and intellectual development. Psychological Review, 82, 74-88.

Zill, N. (1979). Learning to do things without help: Child and family characteristics associated with the development of practical skills in children of grammar school age. Paper presented at a Conference on the Family as a Learning Environment, Educational Testing Service, Princeton, November/December.

* * *

obeikandl.com

الفصل الحادي عشر

دور الأب خلال مرحلة المهد

محددات انغماسه فى العناية بالرضع واللعب معهم

روس باركى وباربارا تنسلى

Ross D. Parke & Barbara Tinsley

obeikandl.com

obeikandl.com

ازداد حديثًا عدد الأبحاث التى دور الأب فى حياة أبنائه وذلك خلال مرحلة المهد إذ أنه بإمكان الآباء أن يزيدوا من معدلات فرص مشاركتهم فى العناية بالأطفال وإطعامهم وإثارتهم منذ الأيام الأولى من حياتهم .

ويهدف هذا الفصل إلى استعراض مثل هذه البحوث ومناقشة العوامل التى تؤثر على كم وكيف التفاعل بين الأب والطفل . وعلى الرغم من قدرة الآباء على المشاركة فى العناية بالأطفال وإثارتهم ، فإننا لا نزال فى حاجة إلى معرفة المزيد عن المحددات التى تؤدى إلى تنوع المشاركة من جانب الآباء فى الأسر المختلفة . ومن هنا فقد قمنا خلال هذا الفصل بما يلى :

أولاً : تلخيص تلك الدراسات التى ترى أن الآباء قادرون على أن يصبحوا شركاء فاعلين فى سياقات العناية أو عدم العناية بالأطفال ، كما أنهم يبدون أيضًا اهتمامًا واضحًا بذلك .

ثانيًا : مراجعة الفروق فى أساليب اللعب التى تتضح فى أنماط لعب كل من الآباء والأمهات مع الأطفال .

ثالثًا : مناقشة تلك العوامل التى تعمل على تغيير معدل مشاركة الأب فى الاهتمام بالأطفال وبكم وكيف اللعب معهم .

رابعًا : التأكيد على حاجتنا إلى المزيد من نظم التأييد الثقافى للأب .

أنماط التفاعل بين الأب والرضيع :

١ - مرحلة الوليد وبدايات مرحلة المهد :

فى واحدة من الدراسات المبكرة التى تناولت هذا الموضوع استخدم جرينبرج وموريس (١٩٧٤) Greenberg & Morris التقارير اللفظية للآباء وذلك لتحديد مستوى انغماسهم فى حياة مواليدهم الجدد ، فقاموا بسؤال مجموعتين من الآباء ضمت أولاهما أولئك الآباء الذين كان أول اتصال لهم بمواليدهم قد تم فى غرفة الولادة عند

ميلادهم مباشرة ، أما المجموعة الثانية فضمت أولئك الآباء الذين كان أول اتصالهم لهم مع مواليدهم قد تم بعد ذلك حينما أخذت إحدى الممرضات المولود وأعطته لأبيه كى يراه . وأوضح أعضاء كلا المجموعتين أدلة على المشاعر الأبوية الفياضة وعلى الانغماس مع مواليدهم الجدد ، فقرر ٩٧٪ من الآباء أن مشاعرهم الأبوية تجاه هؤلاء المواليد تندرج بين متوسط إلى مرتفع جدًّا . وكان غالبيتهم سعداء بعد الولادة مباشرة ، كما كانوا جميعًا تقريبًا راضين عن جنس هؤلاء المواليد وسعداء بذلك . وهناك بعض الأدلة تؤكد على أن الآباء الذين كانوا موجودين مع زوجاتهم لحظة الولادة قد شعروا بقدر أكبر من الراحة وهم يحملون مواليدهم . وانطلاقًا من هذه النتائج وغيرها من تلك التى حصل عليها الباحثان من المقابلات التى أجرياها مع الآباء فإنهما يريان أن الآباء قد بدأوا فى تطوير علاقة مع مواليدهم الجدد مع نهاية الأيام الثلاثة الأولى التالية للميلاد ، وغالبًا ما كانت تتم هذه العلاقة قبل ذلك . وعلاوة على هذا فقد كانت هناك خصائص معينة تميز هذه العلاقة نطلق عليها الاستحواذ على الفكر أو الانتباه engrossment وهى بمثابة شعور بالانشغال والانهماك والاهتمام بالوليد .

وعلى الرغم من أن مثل هذه الخصائص تدل على وجود انغماس مبكر جدًّا من جانب الآباء فى حياة مواليدهم الجدد فإن هذه التقارير اللفظية يمكن أن تعمل على إكمال الصورة إذا ما أضفنا إليها تلك الملاحظات السلوكية المباشرة التى تدل على وجود مشاعر إيجابية تجاه الوليد واهتمام به كما يعكسها سلوك الأب . ومن ناحية أخرى فقد أجرى باركى Parke وزملاؤه سلسلة من الدراسات التى تقوم على الملاحظة وذلك بغرض وصف - بالمصطلحات السلوكية - طبيعة تفاعلات الآباء مع مواليدهم الجدد . ففى الدراسة الأولى لاحظ باركى وأولىرى وويست (١٩٧٢) Parke, O'Leary, & West سلوك الآباء فى الثلاثية الأسرية التى تضم الأم والأب والرضيع . وكانت جلسات الملاحظة تستمر لمدة عشر دقائق ، كما كانت هذه الجلسات تتم خلال الأيام الثلاثة الأولى التى تلت الولادة مباشرة . وقد استخدم هؤلاء الباحثون إجراء يعرف بتعيين الوقت تضمن أربعين فترة راحة مدة كل منها خمس عشرة ثانية وذلك فيما يتعلق بالأنماط السلوكية التالية بالنسبة لكل والد ، والمتمثلة فى حمل الرضيع ، وتغيير وضعه ،

والنظر إليه، والابتسام له ، والتحدث إليه ، ولمسه ، وأرجحته أى هزه ، وتقبيله ، واستكشاف جسمه ، ومحاكاته ، وإطعامه وإعطائه للوالد الآخر .

وتوضح نتائج هذه الدراسة أن الآباء كانوا منغمسين فى حياة مواليدهم الجدد تمامًا مثل الأمهات ، وأن الآباء والأمهات لا يختلفون عن بعضهم البعض فى تكرار غالبية أنماط السلوك تلك . وعلاوة على ذلك فقد كان الآباء يميلون إلى حمل هؤلاء المواليد أكثر من الأمهات ، وكذلك فقد كان الآباء يأرجحون مواليدهم بين أيديهم أى يهزونهم أكثر مما كانت تفعل الأمهات . وعندما كان الآباء يشاركون طواعية فى تلك الأنماط السلوكية فإنهم كانوا ينغمسون فى حياة هؤلاء المواليد الجدد تمامًا كما كانت تفعل الأمهات .

وعلى الرغم من ذلك فهناك العديد من النقاط التى يمكن إثارتها حول تلك الدراسة والتى يمكن تداولها كالتالى :

أولاً : نظرًا لأنه قد تمت ملاحظة الأم والأب معًا يصبح من الممكن أن يكون ذلك المعدل المرتفع من التفاعل بين الأب والوليد والذى تمت ملاحظته راجعًا إلى وجود الأم معهما أثناء حدوث ذلك التفاعل بينهما .

ثانيًا : كانت عينة الآباء التى تضمنتها هذه الدراسة فريدة فى عدة أشياء بما تكون قد ساهمت فى ارتفاع معدل تفاعلها مع مواليدهم الجدد ، فقد كان على سبيل المثال أكثر من نصف هؤلاء الآباء يحضرون فصولاً لتعليم برنامج لاماز Lamaze الخاص بكل ما يتعلق بميلاد الأطفال مع وجود استثناء وحيد فقط هو أن جميع هؤلاء الآباء كانوا موجودين أثناء ميلاد أطفالهم . وربما يرجع ارتفاع معدل انغماس هؤلاء الآباء فى حياة مواليدهم إلى هذين العاملين (Entwisle & Doening, 1980) .

ثالثًا : قد يرجع ارتفاع معدل الانغماس المبكر من جانب هؤلاء الآباء فى حياة مواليدهم إلى ارتفاع مستوى تعليمهم وإلى أنهم ينتمون إلى الطبقة المتوسطة حيث يقل هذا المعدل بالنسبة للآباء الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا وذلك بسبب التحديد الصارم للأدوار الوالدية بين أولئك الآباء والأمهات الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا .

وللتغلب على أوجه القصور هذه تمت ملاحظة مجموعتين من الآباء ينتمون إلى الطبقة الدنيا ممن لم يحضروا هذا البرنامج الخاص بكل ما يتعلق بميلاد الطفل والذين لم يكونوا موجودين أثناء ولادة أطفالهم . وقد تمت ملاحظتهم فى موقفين :

١ - حينما كان الأب موجودًا بمفرده مع طفله .

٢ - حينما كان الأب موجودًا مع الطفل فى حضور الأم (Parke & O'Leary, 1976) .

وقد سمحت هذه الدراسة باختيار أكثر صرامة لمدة الانغماس بين الأب والطفل ، كما سمحت بتعميم أوسع للنتائج التى تم التوصل إليها من قبل . وكما هو الحال بالنسبة للدراسة التى أجرياها من قبل فقد وجدا أن الآباء كانوا أكثر اهتمامًا بالتفاعلات المبكرة مع أطفالهم ويشاركونهم بفاعلية. وفى حقيقة الأمر فقد اتضح أنه كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأب فى الثلاثية الأسرية أن يقوم بحمل الطفل ، وأن يظهر المزيد من الاهتمام البصرى بالطفل قياسًا بالأم . ولم يكن وجود الأم ضروريًا للانغماس الفعال فى حياة الطفل من جانب الأب إذ كان الأب يأخذ قدرًا متساويًا من التفاعل النشط فى كلا الموقفين أى سواء كان بمفرده مع الطفل أو إذا وجدت زوجته معهما .

وكان الأب فى هذه السلسلة من الدراسات التى بدأت بدراسة باركى وأوليرى وويست (١٩٧٢) Parke, O"Leary, & West فدراسة باركى وساوين (١٩٧٥) Parke & Sawiyn ثم دراسة باركى وأوليرى (١٩٧٦) Parke, O"Leary, يقوم برعاية الأطفال كالأم تمامًا . فكان فى الدراسة الأولى على سبيل المثال يقوم دوما بلمس الطفل ، والنظر إليه ، والتحدث معه ، وتقبيله كما كانت تفعل الأم . وفى الدراسة الثالثة ظهرت صورة أكثر وضوحًا حيث أبدى الأب سلوكًا يدل على الرعاية فى السياق الثلاثى الأسرى بدرجة أكبر قياسًا بالأم ، كما أبدى قدرًا من الرعاية يتساوى مع الأم وذلك حينما كان يوجد بمفرده مع الطفل . إلا أنه كان هناك نمطًا سلوكيًا واحدًا يدل على الرعاية هو الابتسام للطفل تفوقت فيه الأم على الأب فى كلتا الدراستين .

ولم تكن تلك الأنماط السلوكية الدالة على الرعاية من جانب الأب قاصرة على عينات الآباء الأمريكيين فقط ، ففى واحدة من الدراسات عبر الثقافية قام باركى

وجروسمان وتنسلى (١٩٨١) Parke, Grossman, & Tinsley بمقارنة الأنماط السلوكية التى تصدر عن الآباء والأمهات الأمريكيين والألمان حينما كانوا بمفردهم مع مواليدهم الجدد خلال الأوقات العادية للرضاعة عند الإقامة بالمستشفى فى الفترة التالية للولادة . وقد تمت ملاحظة كل ثانية تضم الأم والأب والوليد الجديد لمدة ثلاثين دقيقة . وتم استخدام نسخة معدلة من النظام المتبع فى الملاحظة والذى تم استخدامه من قبل وذلك فى الدراسة التى شارك فيها باركى والتى أجريت فى عام ١٩٧٥ بالاشتراك مع ساوين (Parke & O"Leary, 1976) . فاستخدموا على وجه الخصوص طريقة تعيين الوقت والتى تقوم على تحديد فترات الراحة بخمس عشرة ثانية لكل فترة والتى يقوم فيها الباحث بملاحظة الثلاثية الأسرية خلال الثوانى الخمس عشرة الأولى من كل فترة ملاحظة والمقدر لها ثلاثين ثانية ، أما فى الثوانى الخمس عشرة الثانية فيقوم بتسجيل أنماط السلوك التى حدثت خلال الثوانى الخمس عشرة السابقة . وكانت تتم ملاحظة كل ثلاثية أسرية لمدة ثلاثين دقيقة أى ستين مرة إذ تستمر المرة الواحدة للملاحظة خمس عشرة ثانية . كما تم أيضًا استخدام مجموعة من الأنماط السلوكية الوالدية المشتقة من الدراسة السابقة التى شارك فيها باركي مع ساوين (١٩٧٥) . وعلى العكس من الملاحظات التى تمت من قبل والتى كان يتم فيها اللجوء إلى أحد المواقف غير البنائية أو المنظمة فقد تمت جميع الملاحظات خلال أوقات الرضاعة المنتظمة لهؤلاء الأطفال .

ومن الجدير بالذكر أن الغالبية العظمى من الأطفال الرضع الذين تمت ملاحظتهم وعددهم خمسة عشر طفلاً من إجمالى ثمانية عشر طفلاً ضمتهم العينة الأمريكية وأربعة عشر طفلاً من إجمالى تسعة عشر طفلاً ضمتهم العينة الألمانية كانوا يرضعون من أثداء أمهاتهم ، ومن ثم كانت الأمهات أكثر حملاً لهؤلاء الأطفال الرضع خلال الفترات التى تمت ملاحظتهم فيها وذلك قياسًا بالآباء . ومع هذا فقد كان الآباء يحملون أطفالهم بدرجة تكفى لإجراء مقارنة بين نوعية سلوك كل من الأب والأم عندما يكون معدل حملهما للطفل ثابتًا . وتم حساب الاحتمالات لكل نمط سلوكى يقوم به أحد الوالدين عندما يكون الوالد الآخر حاملاً للطفل . فحينما كان الأب على سبيل المثال يحمل الطفل

كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة له قياسًا بالأم أن يقوم بهز الطفل أى أرجحته ، والتحدث إليه ، ومحاكاته . بينما كان لمس الطفل ، ومحاولة استكشاف جسمه ، والنظر إليه ، والابتسام له متشابهًا من جانب الأب والأم عند قيام الأب بحمل الطفل . وكان هناك نمط سلوكى آخر له أهميته ومغزاه عند قيام الأم بحمل الطفل إذ كانت تقوم بهزه أى أرجحته ، ولمسه والتحدث إليه ، والابتسام له بدرجة تفوق ما يقوم به الأب بينما كان قيامها باستكشاف جسمه ومحاكاته شبيهًا لما يقوم به الأب عندما كانت تقوم الأم بحمل الطفل .

وبوجه عام فقد كان مقدار السلوك الإثارى والانفعالى يعتمد على الفرص المتاحة لحمل الطفل إذ بمجرد أن تتاح تلك الفرصة للأب فإنه يتساوى مع الأم أو يتفوق عليها فى إظهار مثل هذا السلوك . ويوضح ذلك النمط من التحليل أن الوالد بغض النظر عن جنسه يتفاعل مع الطفل عندما يقوم بحمله بأساليب تتشابه نسبيًّا مع ما يقوم به الوالد الآخر . وعلاوة على ذلك فإن هذا يؤثر على أهمية المتغيرات المرتبطة بالموقف فى تغيير طبيعة أنماط التفاعل بين الوالدين ، ويؤكد أيضًا على أهمية السيطرة على فرص حمل الطفل فى الدراسات التى تقوم على التفاعل الطبيعى المبكر بين الأب والطفل .

وأخيرًا يبدو أن هناك درجة واضحة من التشابه فى أنماط التفاعل التى يقوم بها الآباء الأمريكيون وتلك التى تصدر عن الآباء الألمان . أما فيما يتعلق بالأنماط الإثارية للسلوك فقد كان يصدر عن الآباء الأمريكيين قدر من الإثارة الجسمية أكثر مما يصدر عن الآباء الألمان إذ كان الآباء والأمهات الأمريكيين يقومون فى الواقع باستكشاف أجسام أطفالهم والقيام بهزهم أو أرجحتهم بدرجة تفوق ما يقوم به الآباء والأمهات الألمان . وكان هذا التأثير صحيحًا بالنسبة للأمهات إذ كان الآباء الأمريكيون والألمان كما أوضحنا سلفًا يقومون بهز الطفل أو أرجحته بنفس القدر تقريبًا . وفى المقابل كان الآباء والأمهات الألمان يقومون باستخدام أنماط سمعية - بصرية من التفاعل تفوق ما يقوم به الآباء والأمهات الأمريكيون . ومع ذلك كانت هذه الفروق ضئيلة نسبيًّا فيما يتعلق بمصفوفة التشابهات فى أنماط السلوك الوالدى عبر الثقافتين موضوع الدراسة .

وباختصار فإن هذه الدراسة التى تناولناها للتو والتى أجريت على كل من الأسر الأمريكية والألمانية توضح أن الآباء إضافة إلى الأمهات يبدون اهتمامًا كبيرًا بالأطفال ويقومون برعايتهم ، كما يقومون أيضًا بإثارتهم على التفاعل معهم خلال مرحلة الوليد .

٢ - التحدث الوالدى للوليد والطفل الصغير فى بداية مرحلة المهد :

يوضح الفحص الدقيق لأحد جوانب السلوك التفاعلى الأبوى هو التحدث إلى الطفل خلال الشهور الثلاثة الأولى من حياته كما يرى فيليبس وباركى (١٩٨١) Phillips & Parke أن الحديث الوالدى له أهميته فى التفاعل بين الوالد والطفل حيث وجد الباحثون السابقون أن الأمهات تقمن بعمل التوافقات اللازمة فى حديثهن عندما كن تقمن بمخاطبة أبنائهن الرضع وأطفالهن ، فكن يتحدثن إليهم بجمل قصيرة ، وبنغمة صوت أكثر ارتفاعًا ، كما كن يكررن محتوى حديثهن لهم أكثر مما كن يفعلن عند مخاطبة الراشدين .

وطبقًا لما يراه فيليبس وباركى Phillips & Parke فإن الآباء إضافة إلى الأمهات يبدون مجموعة من الانتقالات فى الحديث عندما يتحدثون مع أطفالهم الرضع فى بداية مرحلة المهد حيث كان يقوم أى من الوالدين خلال فترات التفاعل عن طريق اللعب بالدمى مع الطفل والتى كانت تستمر لمدة خمس دقائق وخلال جلسات الرضاعة والتى كانت تستمر لمدة عشر دقائق بالتحدث مع الطفل مستخدمًا عبارات أكثر اختصارًا مما يفعله عندما يقوم بالتحدث إلى الوالد الآخر . وكان متوسط طول الجمل التى يستخدمها الآباء هو ٣,٢٩ كلمة فى حين كان متوسط طول الجمل التى تستخدمها الأمهات هو ٣,٨٤ كلمة وذلك عند حديث كل منهما مع طفلهما حديث الولادة أو طفلهما الذى يبلغ ثلاثة شهور من عمره . وفى المقابل كان متوسط طول الجمل لنفس هذين الوالدين عندما كانا يتحدثان إلى بعضهما البعض هو ١٠,٧٨ كلمة . وتتشابه هذه القيمة الأخيرة مع ما توصلت إليه الدراسات السابقة من نتائج إذ كان متوسط طول الجملة فى الحديث الذى يكون كلا طرفيه من الراشدين هو ٨,٤٣ كلمة (Sachs, 1977) .

وعلى الرغم من أن الآباء والأمهات يقضون حوالى ١٢٪ من الوقت الذى يقومان فيه بالتفاعل اللفظى مع الطفل الصغير أى يتحدثان معه وهما يكرران ما صدر عنهما من

جمل فإن هذه النسبة تنخفض إلى الصفر أى تختفى تمامًا عندما يكون الكلام الصادر من أحدهما موجهًا إلى الوالد الآخر . وإضافة إلى ذلك فقد لاحظ بيدرسين وآخرون Pedersen, *et al.* (١٩٨٠) وجود توافقات متشابهة فى الحديث الصادر من الأب إلى طفله الذى يبلغ خمسة شهور من عمره .

ومن الجدير بالذكر أن كلاً من الآباء والأمهات كانوا حساسين لتلك الإشارات التى يتضمنها الموقف فى سياقه ، فكان معدل الحديث الصادر عن الوالدين أثناء إرضاع الطفل على سبيل المثال أبطأ من معدله فى غير ذلك من المواقف كمواقف اللعب مثلاً ، كما كانت فترات التوقف فى الحديث أطول أيضًا . أما خلال مواقف اللعب فكان يقوم الوالدان بتكرار العبارات التى يتحدثان بها وذلك بشكل يفوق ما يفعلانه أثناء الرضاعة . كما كانا يستخدمان أسلوب المحادثة عند مخاطبة الطفل أثناء اللعب معه فكانا يوجهان إليه الأسئلة ويستخدمان من الأساليب ما يجعله ينتبه لما يقولانه وذلك بشكل يفوق ما يقومان به خلال جلسات الرضاعة . وتؤيد هذه الفروق الموقفية تفسيرنا لدلالة التوافقات التى تصدر عن الوالدين أثناء حديثهما مع الطفل من أن الأحاديث الطفلية أو الصبيانية لها وظيفتها التى تتمثل فى جذب انتباه الطفل . وعندما كان انتباه الطفل يركز بدرجة أكبر على وجهى والديه كان ذلك يسهل تعلمه للخصائص التى تميز صوتى والديه ووجهيهما . وبذلك فالتغيرات التى كان الوالدان يقومان بها فيما يتعلق بحديثهما إلى الطفل كانت تعمل على القيام بعملية التمييز بين القائمين برعايته ، وبالتالى قد تدعم من وجود علاقات أقوى بين الوالد والطفل . وعلى الرغم من عدم مسايرة هذا التفسير لتلك المناقشات المبكرة فى علم النفس اللغوى والتى ترى أن الأم قد تسهل فى النمو اللغوى للطفل فإن محدودية النتائج التى تؤيد هذه الوظيفة اللغوية التى تتناولها فروض أخرى كتلك التى يفترضها أتباع نظرية التعلم الاجتماعى تستحق جل الاهتمام .

٣ - التفاعل بين الأب والرضيع فى المواقف الثنائية والثلاثية :

من المؤكد أن الأب يتفاعل مع طفله الرضيع عندما يتواجد بمفرده معه أو حتى فى وجود الآخرين . وللتعرف على ما إذا كان سلوك الأب تجاه الصغير يتغير فى وجود الآخرين وخاصة الأم قام باركى وأوليرى (١٩٧٦) Parke & O'Leary بإجراء المقارنة

بين سلوك أحد الوالدين عندما يكون متواجدًا بمفرده مع الطفل وبين سلوكه فى المواقف الثلاثية عندما يكون الوالد الآخر متواجدًا معهما . وكشفت تلك الدراسة عن مجموعتين من النتائج جديرتين بالملاحظة ، تتمثل أولاهما فى أن وجود شخص راشد آخر يقلل من المعدل الكلى لحدوث معظم الأنماط السلوكية إذ تقل على سبيل المثال معدلات التحدث إلى الطفل ، ولمسه ، وحمله ، وهزه أى أرجحته ، ومحاكاته ، وإطعامه . وتتفق هذه النتيجة من حيث قلة المجموع العام لغالبية الأنماط السلوكية التى تصدر عن أحد الوالدين فى المواقف الثلاثية قياسًا لما يصدر عنه فى المواقف الثنائية مع نتائج عدد من الدراسات الأخرى سواء المعملية منها كدراسات لام (١٩٧٦ ، ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ ، ١٩٧٩) Lamb أو التى أجريت فى المنازل كدراسات بلسكى (١٩٧٩) Blesky وكلارك - ستيوارت (١٩٧٨) Clarke-Stewart وبيدرسين وآخرين (١٩٨٠) Bedersen, *et al.* وذلك على أطفال من أعمار مختلفة .

أما ثانيتهما فتتمثل فى أنه على النقيض مما كشفت عنه دراسات أخرى عديدة من نتائج فقد وجد باركى وأوليرى (١٩٧٦) Parke & O'Leary أن أنماطًا سلوكية معينة تزيد ولا تقل من المواقف الثنائية إلى المواقف الثلاثية . فيزيد معدل ابتسام الآباء والأمهات لأطفالهم الرضع ، ويزيد معدل السلوك الاستكشافى للطفل من جانب الأم كأن تقوم بعد أصابع قدمه مثلاً أو بتحسس عظام جمجمته وذلك فى وجود الأب قياسًا بما يصدر عنها عندما توجد بمفردها مع الرضيع . ومع ذلك فإن زيادة السلوك الاستكشافى كانت دالة فقط بالنسبة للأم . ويبدو أن السياق الثلاثى للأسرة فى هذه الحالة يسهل من حدوث قدر أكبر من السلوك الانفعالى والاستكشافى من جانب كلا الوالدين وخاصة الأم .

ويتمثل الفرض الذى نطرحه هنا فى أن كلا الوالدين يثير الآخر لفظيًا عن طريق تركيز اهتمامه على جوانب معينة من سلوك الرضيع ، أو بالتعليق على مظهر ذلك الرضيع وهو ما يؤدى بدوره إلى العمل على إصدار إما فعل إيجابى يوجه نحو الرضيع أو استكشاف أو تحسس جانب معين من سلوكه لاحظه الوالد الآخر . وإضافة إلى تلك الفروق الظاهرة التى تنبع من أن الدرسات التى قمنا بإجرائها قد أجريت بالمستشفى على

أطفال حديثى الولادة فى حين تناولت دراسات أخرى أطفالاً أكبر من ذلك سنًّا وأجريت إما فى المعمل أو فى المنزل فقد تكون هناك أسباب أخرى لهذا التفاوت بين هذه النتائج التى توصلنا إليها وبين تلك التى توصل إليها باحثون آخرون إذ تتأثر بعض أنماط السلوك اجتماعيًّا كالتبسم للطفل مثلاً ، أو قد تعتمد على وجود شريك اجتماعى آخر يستجيب لها . ومن هذا المنطلق قد يكون وجود والد آخر مستجيب ضروريًّا لحدوث هذا الابتسام وذلك فى حالة الأطفال حديثى الولادة الذين لا يبدون أى ابتسام اجتماعيًّا . وعلاوة على ذلك فمن المفترض أن يكون الابتسام الذى يبديه الزوج الآخر موجهًا بدوره إلى الطفل . وبالتالى يجب أن نولى مزيدًا من الاهتمام والانتباه إلى تصنيف المواقف التى يكون من المحتمل بالنسبة لها أن تزيد أو تقلل من معدل السلوك الوالدى تجاه الطفل فى حالة وجود الزوج الآخر . ويمكن أن يصبح لهذه الظروف أهميتها إذا ما قمنا بالتركيز على تلك التفاعلات التى تحدث بين الزوج وزوجته (Pedersen. *et al.* 1977) إضافة إلى التركيز على التفاعل الذى يحدث بين أحد الوالدين من جهة وبين الطفل الرضيع من جهة أخرى .

الفروق بين الأب والأم فى القيام بأنشطة العناية بالأطفال

١ ـ الأب كمشارك بشكل مباشر فى إطعام الطفل :

على الرغم من وجود فروق ضئيلة بين والدى الأطفال الرضع فى قيامهما بأنشطة العناية بهم وإثارتهم فإن الأب يلعب دورًا أقل فاعلية فى القيام بأنشطة العناية بالأطفال قياسًا بالأم . فكان الآباء فى دراسة باركى وأوليري (١٩٧٦) Parke & O'Leary والتى كان يتم إرضاع جميع الأطفال الرضع فيها رضاعة صناعية يقلون عن الأمهات بشكل دال فى إرضاعهم للأطفال عندما يكونون معهم بمفردهم . ويؤكد باركى وساوين (١٩٧٥) Parke & Sawin على وجود تلك الفروق بين الأب والأم فى التفاعل مع المواليد الجدد وذلك أثر قيامهما بدراسة مفصلة لعلاقة التفاعل المبكرة التى تنشأ بين الأب وطفله الرضيع فى موقف الرضاع . وتبين نتائج المقارنات التى تم إجراؤها بين تكرارات ومدة دوام الأنشطة الخاصة بالعناية بالأطفال من جانب كل من الآباء والأمهات عندما

يكون أى منهما موجودًا بمفرده مع الطفل الرضيع فى موقف الرضاع أن الأمهات عند مقارنتهن بالآباء تقضين وقتًا أطول وهن منشغلات فى إرضاع الأطفال وفى القيام بأنشطة العناية المرتبطة بهم كمسح أوجه هؤلاء الأطفال على سبيل المثال . وتؤكد تلك النتائج أيضًا أنه على الرغم من أن كلا الوالدين ينغمسان بفاعلية مع الرضيع فإن تحدي الدور الوالدى يبدأ منذ الأيام الأولى فى حياة الطفل .

ومن الجدير بالذكر أن العديد من الجوانب ذات الأهمية فى التفاعلات التى تنشأ بين الأب والرضيع فى مرحلة الوليد تميز أنماط التفاعل فى كل من الوقت المتأخر من مرحلة المهد وفى البيئات المنزلية . وتؤكد الملاحظات المنزلية أيضًا وجود فروق بين الآباء والأمهات فيما يتعلق بأنشطة العناية بالأطفال إذ توضح الدراسات التى أجريت فى الولايات المتحدة الأمريكية كدراسات كوتيلشوك (١٩٧٦) Koteichuck ورندينا وديكرشيد (١٩٧٦) Rendina & Dickerscheid وتلك التى أجريت فى بريطانيا كدراسة ريتشاردز وآخرين (١٩٧٧) Richards, *et al.* أن الأب يقضى وقتًا أقل من الأم فى إرضاع الأطفال والعناية بهم .

وتتفق هذه النتائج مع ذلك الافتراض العام الذى يرى أن الحمل فى الطفل الأول على وجه الخصوص وولادته تعتبر مناسبتين للتحول باتجاه تقسيم أكثر تقليدية للأدوار (e,g, Shereshefsky & Yarrow, 1973; Cowan, *et al.*, 1978) . وهناك دراسات أخرى تؤيد هذه الاتجاهات العامة إذ وجد هوفمان (١٩٧٨) Hoffman أن الأزواج يكونون أقل مساعد لزوجاتهم فى عمل المنزل بعد ميلاد الطفل الأول قياسًا بما كانوا عليه قبل ميلاده . وترى كاوان وآخرون (١٩٧٨) Cowan *et al.* من دراستهن للأزواج والزوجات قبل ميلاد الطفل الأول وبعد ميلاده ولمدة تصل إلى ستة أشهر بعد الميلاد أن هناك تغيرًا أكثر وضوحًا فى القيام بالمهام المنزلية ، يليها اتخاذ القرارات الأسرية ، إلا أن هذه التغيرات تكون أقل وضوحًا فى أنشطة العناية بالطفل . ومما يدعو إلى الاهتمام أن تلك الأنماط تحدث بغض النظر عما إذا كان دورها الأولى يعتبر تقليديًا أو يقوم على المساواة بين الوالدين . وعلى الرغم من الاتجاهات والأفكار السائدة التى تتعلق بالمساواة فى الأدوار بين الرجال والنساء فإنه يبدو أن الزوجين يميلان إلى تبنى أدوار محددة بشكل

تقليدى خلال الفترات الانتقالية المحاطة بالضغوط المختلفة كتلك التى تسبق ميلاد الطفل الأول مباشرة .

ولا يدل المستوى المنخفض من انغماس الأب فى إرضاع الطفل على أن الآباء يعتبرون أقل كفاءة من الأمهات فى العناية بمواليدهم الجدد إذ يمكن قياس تلك الكفاءة باستخدام العديد من الأساليب يتمثل أحدها فى قياس مدى حساسية الوالد لتلك الإشارات التى تصدر عن الطفل فى موقف الرضاعة . ويعتمد النجاح فى العناية بالطفل إلى حد كبير على قدرة الوالد أبًا كان أو أمًّا على تفسير سلوك الرضيع بشكل صحيح حتى يتمكن من تنظيم سلوكه هو كى يستجيب له بالشكل الملائم . واتضح أن الوالد فى موقف الرضاعة يحاول أن يسهل من تناول الرضيع للحليب ، ويقوم الرضيع بالتالى من خلال مجموعة من الأنماط السلوكية كالمص أو السعال بتزويد القائم على العناية به بالتغذية الراجعة فيما يتعلق بمدى فاعلية أو عدم فاعلية ما يقوم به ذلك الوالد من سلوك فى الوقت الراهن وهو ما يسهل على الطفل قيامه بعملية الرضاعة . وفى هذا السياق نجد أن ذلك الاتجاه الذى يتناول موضوع الكفاءة يتضمن فحصًا للدرجة التى يقوم بمقتضاها الوالد القائم بالعناية بأطفاله بتعديل سلوكه كاستجابة للإشارات التى تصدر عن الطفل إذ وجد باركى وساوين (١٩٧٥) Parke & Sawin أن حساسية الأب للإشارة السماعية التى تعبر عن الضيق والتى تصدر عن الطفل فى موقف الرضاعة كالعطس أو السعال مثلاً كانت تتساوى فى وضوحها مع حساسية الأم لتلك الإشارة .

وباستخدام أسلوب تحليل الاحتمال الشرطى يرى الباحثان أن الآباء يقومون كالأمهات بتعديل سلوكهم وذلك بالتوقف عن القيام بنشاط الإرضاع وقتيًّا والنظر إلى الطفل بشكل أكثر دقة وذلك بغرض تفحصه والتحدث إليه . أما الفرق الوحيد الذى تم التوصل إليه فكان يتعلق بالحذر الشديد من جانب الآباء الذين كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهم قياسًا بالأمهات أن يقوموا بلمس الطفل عندما كانت تصدر عنه إشارات تدل على الضيق . ويدل هذا التحليل بوضوح على أنه بالرغم من حقيقة قضاء الآباء وقتًا أقل من الأمهات فى القيام بأنشطة العناية بالأطفال فإنهم مع ذلك يتساوون معهن فى حساسيتهم للإشارات التى تصدر عن الطفل ، وفى استجابتهم لأولئك الأطفال فى موقف الرضاعة .

وعلاوة على ذلك فقد كانت كمية الحليب التى كان الطفل يرضعها فى وجود الأم والأب فى هذه الدراسة متساوية بدرجة كبيرة إذا كانت تساوى ١,٣ آونسة(*) Ounce فى وجود الأم ، بينما كانت تساوى ١,٢ آونسة فى وجود الأب وهو ما يدل على أن الأم والأب لا يختلفان فقط فى الحساسية التى يتسمان بها ولكنهما أيضًا يتساويان فى معدلات النجاح فى إرضاع الطفل وذلك استنادًا على كمية الحليب التى يرضعها الطفل عندما يقوم أى منهما بإرضاعه . ومن الجدير بالذكر أنه ليس من الضرورى بالنسبة للأب أن يشارك بشكل مستمر فى إرضاع الطفل ، ولكن حينما يسند إليه القيام بمثل هذه المهمة فإن لديه من الكفاءة ما يجعله قادرًا على أن يؤديها بنجاح وفاعلية .

ومن ناحية أخرى فإن الأب يتساوى مع الأم أيضًا فى استجابته للإشارات الأخرى التى تصدر عن الطفل كالتحدث وحركات الفم على سبيل المثال حيث أوضحت هذه الدراسة أن كلاً من الآباء والأمهات قد قاموا بزيادة معدل حديثهم الإيجابى للطفل بعد أن كان الطفل يقوم بإصدار أصوات مختلفة ، كما كانوا يقومون أيضًا بعد صدور مثل تلك الأصوات من جانب الطفل بلمسه والنظر إليه بشكل أكثر دقة . ومع ذلك فقد اختلف الآباء والأمهات فى أنماط سلوكية أخرى تصدر عنهم كاستجابة لهذا النمط السلوكى للطفل ، فكان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء قياسًا بالأمهات أن يقوموا بزيادة معدل حديثهم للطفل عقب قيامه بإصدار تلك الأصوات . ومع ذلك كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأمهات قياسًا بالآباء أن تستجبن لمثل تلك الأصوات التى تصدر عن الطفل بلمسه . كما كان الآباء أكثر حذرًا من الأمهات عند قيامهم بالإثارة اللمسية للطفل أثناء إرضاعه لأن ذلك قد يؤدى إلى تعطيل سلوك الرضاعة من جانب الطفل .

ومن خلال دراسة حركات الفم التى تصدر عن الطفل يتوفر لدينا دليل آخر على ذلك الأثر المتغير لسلوك الطفل على العناية التى يوليه الآباء والأمهات إياها إذ يقوم كل من الآباء والأمهات بزيادة معدل حديثهم للطفل ، ولمسه ، وإثارته بالرضاعة كاستجابة من جانبهم لحركات الفم التى تصدر عنه . وتدل هذه النتائج إجمالاً على أن كلاً من الآباء والأمهات يستجيبون لتلك الإشارات التى يصدرها الوليد الجديد بطريقة وظيفية دالة

(*) الآونسة Ounce هى وحدة وزن تساوى ٣١,١ جرامًا (المترجم) .

مميزة لكل منهما حتى وإن اختلفوا فى أنماط استجاباتهم النوعية . وتعتبر أنماط التفاعل فى مرحلة الوليد أنماطًا تبادلية ، فعلى الرغم من تركيز باركى وساوين (١٩٧٥) Parke & Sawin على دور الإشارات التى يصدرها الطفل فى إثارة سلوك الوالدين فقد أوضحنا فى دراسة تالية لهما أجرياها فى عام (١٩٨٠) أن الحديث الموجه من الوالدين للطفل يمكنه أن يغير من سلوك الوليد كأن يغير من تلك الأصوات التى تصدر عنه على سبيل المثال . ويعتبر التفاعل بين الأب والرضيع حتى فى مرحلة الوليد يعتبر ثنائى الاتجاه إذ يقوم كل من الوالدين من جهة والرضيع من جهة أخرى بتنظيم سلوك كل منهما (الوالدين - الرضيع) فى غضون هذا للتفاعل .

ومن الواضح أن بإمكان الآباء القيام بأنشطة العناية بالأطفال بشكل ينافس الأمهات حتى وإن كان إسهامهم فى هذا النمط من النشاط يقل عما تقوم به الأمهات . وسوف نعرض فى قسم تال من هذا الفصل لتلك الظروف التى قد تغير من مقدار إسهام الأب فى الأنشطة الروتينية الخاصة بالعناية بالأطفال .

٢ - الأب كمصدر غير مباشر يؤثر على عملية إرضاع الطفل :

على الرغم من أن البحوث الى تناولت دور الأب خلال مرحلة المهد قد ركزت فى الأساس على التأثير المباشر لسلوك الأب كقيامه بإرضاع الطفل أو قيامه بإثارة سلوك الطفل على سبيل المثال فإن تأثيره فى بعض الحالات يتم بشكل غير مباشر وذلك من خلال الأم أو غيرها من أولئك الأعضاء الآخرين فى الأسرة (Lewis & Feiring, 1981; Parke, *et al.*, 1979) . وحتى لو كان الأب لا يشارك بشكل مباشر فى إرضاع الطفل فمن الممكن بالنسبة له أن يؤثر على هذا النشاط عن طريق تغيير سلوك القائم بإرضاع ذلك الطفل . ويوضح بيدرسين (١٩٧٥) Pedersen ذلك الأثر غير المباشر للأب فى إرضاع الطفل وذلك عن طريق تناول تأثير العلاقة بين الأب والأم على العلاقة بين الأم والرضيع فى موقف الرضاع . وتم تقدير نوعية العلاقة بين الأم والرضيع فى ضوء ملاحظتين أجريتا بالمنزل طبقًا لإجراء يقوم على تعيين الوقت وذلك عندما كان الرضع فى الأسبوع الرابع من أعمارهم . واتضح فيما يتعلق بالكفاءة فى إرضاع الطفل أن الأم تقوم بذلك بشكل أفضل إذ حصلت على تقديرات أكثر ارتفاعًا فى قيامها بإرضاع

الطفل حيث كانت تقوم بإرضاعه على فترات متقطعة وتساعده على التجشؤ بالتربيت على ظهره دون أن تحدث له أى إزعاج ، كما كانت تظهر حساسيتها لحاجاته أيضًا سواء عن طريق الإثارة الناتجة عن إرضاعه أو بإعطائه فترات قليلة من الراحة خلال عملية الرضاعة . هذا وقد تم إلى جانب ذلك تقييم العلاقة بين الأب والأم من خلال مقابلة أجريت معهما .

ورأى بيدرسين Pedersen عند قيامه بتلخيص النتائج التى توصل إليها فى هذه الدراسة أن العلاقة بين الأب والأم ترتبط بالوحدة القائمة بين الأم والرضيع . فعندما يوفر الأب التدعيم اللازم للأم كأن يقوم مثلاً بتقييم مهاراتها بشكل أكثر إيجابية فإنها تصبح أكثر فاعلية فى إرضاع الطفل . وقد تستطيع الأم التى تتميز بالكفاءة أن تحصل على تقييم أكثر إيجابية من جانب زوجها ، والعكس صحيح حيث يرتبط المعدل المرتفع من التوتر والصراع بين الزوجين فى حالة الخلافات الزوجية بالرضاعة غير الملائمة أو التى تتسم بدرجة كبيرة من عدم الكفاءة من جانب الأم .

وباختصار إذا لم يقم الأب بإرضاع الطفل بشكل مباشر فإنه يظل يؤثر على عملية الرضاعة هذه وذلك من خلال العلاقة التى تربطه بزوجته .

وعندما تقوم الأم بإرضاع الطفل من ثديها فإن الأب يمكنه أيضًا أن يشارك فى عملية الرضاعة هذه بعدد من الأساليب إذ نجد أنه بالإضافة إلى كونه مدعمًا للأم فى جهودها التى تبذلها فى سبيل إرضاع الطفل من ثديها فإنه يكون بإمكانه أيضًا أن يشارك فى عملية الرضاعة وذلك بتوفير زجاجة إضافية للرضاعة وأن يشارك فى الجوانب المرتبطة فى رعاية الطفل والعناية به والتى لا ترتبط بعملية الرضاعة كأن يقوم بتحميم الطفل ووضع الحفائض له وتغييرها . وعلى الرغم من أن نتائج دراسة إنتويسل ودوارنج (١٩٨٠) Entwisle & Doering تبين أن قيام الأب بتوفير زجاجة إضافية للرضاعة قد يرتبط بالتوقف المبكر من جانب الأم عن إرضاع الطفل من ثديها ، فإنه يجب أن يتم تفسير مثل هذه النتائج بحرص وحذر إذ وجدت الباحثتان أن أزواج النساء اللائى قد توقفن عن إرضاع أطفالهن من أثدائهن عندما بلغ هؤلاء الأطفال الشهر السادس من أعمارهم كانوا يقومون بإرضاع الأطفال مرة واحدة تقريبًا كل أربعة أيام . وكما لاحظت الباحثتان فإن

كثرة إرضاع الطفل من زجاجة الرضاعة فى هذه المرحلة المبكرة من حياته تتعارض مع إرضاع الأم للطفل من ثديها لأن توفير مصدر جيد للحليب يعتمد فى الأساس على الإثارة المستمرة للطفل .

ومن ناحية أخرى فإن النساء اللائي يقمن بتوفير صيغة إضافية لإرضاع الأطفال بسبب عدم وجود قدر كاف من الحليب فى أثدائهن يفاقمن فى الواقع من مشكلاتهن بدلاً من أن يقمن بإيجاد ما يناسبها من حلول حتى يتم علاجها ، كما أن الآباء الذين يقومون بإرضاع الأطفال بهذه الصيغة الإضافية يساهمون فى التوقف المبكر عن إرضاع الطفل من ثدى الأم . وبذلك فالأب الذى يقوم بإرضاع الطفل بهذه الوسيلة قد يكون سببًا فى حدوث العديد من المشكلات ، أما الأب الذى يقوم بإرضاع الطفل بواسطة زجاجة إضافية تملأ بحليب الأم فيفقد المساندة البنائية للأم إضافة إلى قيامه بتقوية أواصر العلاقة التى تربطه بطفله الرضيع .

وتعتبر هذه النتائج ذات اهمية واضحة إذ تساعدنا على الفهم الجيد لدور الأب فى العناية المبكرة بالطفل سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر والتى يساهم بمقتضاها فى النمو السوى للرضيع فيما بعد . وتؤكد هذه الدراسات على ضرورة النظر إلى الأب من خلال السياق الأسرى ، كما تؤكد أيضًا على أهمية تقييم المجموع الكلى للعلاقات التى تنشأ بين أعضاء الأسرة .

الفروق بين الأب والأم فى اللعب مع الأطفال :

يشارك الأب بشكل أقل من الأم فى العناية بالأطفال ولكنه مع ذلك يقضى نسبة من الوقت المتاح للتفاعل فى أنشطة اللعب مع الأطفال أكبر من الأم . فقد وجد كوتلشوف (١٩٧٦) Kotelchuck أن الآباء يقضون جزءًا أطول من الوقت فى اللعب مع الأطفال قياسًا بالأمهات إذ كانوا يقضون ٣٧,٥٪ من وقتهم فى اللعب مع الأطفال ، فى حين كانت الأمهات تقضين ٢٥,٨٪ من وقتهن على الرغم من أن الأمهات بشكل عام كن يقضين وقتًا أطول من الآباء فى اللعب مع أطفالهن .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الفروق بين الأم والأب فى المشاركة فى اللعب مع الأطفال ليست قاصرة على الأسر الأمريكية فقط إذ توجد هناك نتائج مشابهة توصلت إليها دراسة طولية حول التفاعل بين الوالد والوليد والوليد فى إنجلترا أجراها ريتشاردز وآخرون (١٩٧٧) Richards, *et al.* وقاموا فيها بمقابلة الأمهات وسؤالهن حول مدى مشاركة الأب فى عدد كبير من الأنشطة عندما كان طفلهما يبلغ ثلاثين أسبوعًا من عمره وعندما كان يبلغ ستين أسبوعًا ، واتضح أن اللعب مع الرضع خلال هذين العمرين كان هو أكثر الأنشطة انتشارًا بين هؤلاء الآباء إذ كان يقوم أكثر من ٩٠٪ منهم باللعب مع أطفالهم الرضع بانتظام . ويقدم لام (١٩٧٧ - أ) Lamb دليلاً آخر على ذلك من خلال ملاحظته للتفاعلات التى تنشأ بين الأم والأب والرضيع فى المنزل عندما كان الرضيع يبلغ ما بين سبعة إلى ثمانية أشهر من عمره ، ثم ملاحظة تلك التفاعلات مرة أخرى عندما كان يبلغ ما بين إثنى عشر إلى ثلاثة عشر شهرًا من العمر . واستنادًا على ملاحظة هذه الثلاثية الأسرية بالمنزل لمدة تتراوح بين أربع إلى ثمانى ساعات وجد لام Lamb فروقًا واضحة بين الآباء والأمهات فى الأسباب التى تجعلهم يقومون بحمل أطفالهم الرضع ، فبينما كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء أن يقوموا بحمل الأطفال بغرض اللعب معهم ، كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأمهات أن يقمن بحملهن لأغراض العناية بهم .

ومن الجدير بالذكر أن مجرد مقدار الوقت في حد ذاته لا يميز بين انغماس الأب والأم فى حياة الطفل ، بل إن مقدر هذا الوقت ونوعية أنشطة اللعب أيضًا هما اللذان يتحدد هذا التمييز فى ضوئهما . وعن طريق إجراء سلسلة من الدراسات قام يوجمان Yogman وزملاؤه بدراسة الفروق بين أسلوب كل من الأب والأم فى اللعب مع الأطفال (Yogman, Dixon & Tronick, 1977; Yogman, 1981) فقارنوا بين الأمهات والآباء والغرباء فى تفاعلهم مع الرضع فى موقف للعب معهم وجهًا لوجه . وتمت دراسة كل ستة أطفال رضع خلال دقيقتين من التفاعل مع الأب ، ومع الأم ، ومع شخص غريب فى الوقت الذى كان فيه عمر هؤلاء الرضع يتراوح بين أسبوعين إلى ستة أشهر وذلك فى موقف معملى معد سلفًا يقوم فيه الشخص الراشد بمواجهة الرضيع واللعب معه دون أن يستخدم أى ألعاب ودون أن يحرك الطفل بعيدًا عن الكرسى المعد

له ، وبتسجيل ما تم بينهم عن طريق الفيديو تم الحصول على مجموعة من الأنماط السلوكية التى تميز التفاعل بين الشخص الراشد والطفل الرضيع . وأوضحت النتائج أن الراشدين يختلفون فى لعبهم مع الأطفال الرضع كما تعكسه تلك الفروق التى ظهرت فيما بينهم فى أنماط تحدثهم إلى الأطفال ولمسهم لهم فكانت الأمهات تتحدثن إليهم بصوت رقيق ، وكان حديثهن يتضمن التكرار لبعض ما قيل ، كما كان أيضًا يقوم على المحاكاة ، وبلغت نسبته ٤٧٪ قياسًا بحديث الآباء لهم والذى بلغت نسبته ٢٠٪ فى حين كانت نسبة حديث الغرباء لهم ١٢٪ وهو ما يدل على وجود فروق دالة بين حديث الأمهات للأطفال وحديث الآباء لهم ، وأيضًا بين حديث الآباء وحديث الغرباء لهم . ومع ذلك فقد كان الآباء يقومون بلمس أطفالهم بأنماط إيقاعية ، وبلغت نسبة ذلك اللمس ٤٤٪ وهو ما يظهر تفوقًا على سلوك الأمهات حيث بلغت نسبة اللمس من جانبهن للأطفال ٢٨٪ ، كما يظهر أيضًا تفوقًا على نفس السلوك من جانب الغرباء والذى بلغت نسبته ٢٩٪ بالنسبة لهم .

ومن الجدير بالذكر أن الفروق بينهم لم تتضح فى أنماط السلوك المنفصلة المتفردة فحسب ، بل اتضحت أيضًا فى أنماط السلوك بوجه عام . وكما يرى يوجمان وآخرون Yogman, *et al.* (١٩٧٧) فإن هذه الأنماط السلوكية التى تصدر عن الشخص الراشد كانت فى الغالب جزءًا من لعبة تفاعلية بالمفهوم الذى عرفها به شتيرن Stern (١٩٧٤) من أنها عبارة عن سلسلة من المواقف تقوم على الاهتمام المتبادل يستخدم فيها الشخص الراشد سلسلة من الأنماط السلوكية المتكررة مع مقدار أقل من الاختلاف فى هذا الاهتمام المتبادل خلال كل موقف . وعلاوة على ذلك يرى يوجمان Yogman (١٩٨١) أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهذه الألعاب أن تحدث خلال الجلسات مع الآباء أكثر من احتمال حدوثها خلال الجلسات مع الأمهات . ففى حين كانت الأمهات والأطفال يقومون بمثل هذه الألعاب خلال ٧٥٪ من جلسات التفاعل وجهًا لوجه التى جمعت بينهم ، كان الآباء يقومون بها خلال ٨٧٪ من هذه الجلسات . كما أن أنواع الألعاب التى كان يقوم بها كل من الآباء والأمهات قد اختلفت هى الأخرى ، ففى الوقت الذى كانت الألعاب البصرية Visual التى يظهر فيها الوالد أبًا كان أو أمًا أقصى معدل من الأنماط الحركية التى يمكن

أن يلاحظها الرضيع ويبدو أنها تعتبر بمثابة محاولات لجذب انتباهه البصرى هى أكثر أنماط الألعاب شيوعًا بين الأمهات إذ بلغت نسبتها بين الألعاب التى قمن بها ٣١٪ ، كان هذا النمط من الألعاب يمثل ١٩٪ فقط من الألعاب التى قام الآباء بها . وكانت أكثر أنماط اللعب شيوعًا بين الأب والرضيع هى تلك الألعاب التى تقوم على اللمس وعلى حركة الأطراف . وكانت الألعاب التى تقوم على حركة الأطراف والتى كانت ترتبط بالزيادة فى إثارة الطفل تمثل ٧٠٪ من الألعاب التى جمعت بين الأب والطفل وأربعة فى المائة فقط من الألعاب التى جمعت بين الأم والطفل . وعلى النقيض من هذا النمط من الألعاب التى تقوم على الإثارة الجسمية والتى استخدمها الآباء كانت الأمهات تلعبن معهم أى الرضع مثل هذه الألعاب التى تعتمد على الجانب الجسمى باستخدام ألعاب حركية أكثر تقليدية كالتلويح باليد على سبيل المثال . وكانت الألعاب البصرية التى غالبًا ما كانت الأمهات تلعبها تمثل أكثر أشكال أو انماط اللعب التفاعلى جذبًا لانتباه الطفل قياسًا بتلك الألعاب التى كان الآباء غالبًا ما يلعبونها والتى كانت تعتبر ألعابًا تتطلب حركة الأطراف ، كما كانت تعتبر أقل الألعاب جذبًا لانتباه الطفل (Yogman, 1981) .

ولم تكن الفروق فى أسلوب اللعب بين الآباء والأمهات مقتصرة على الأطفال الرضع الأقل سنًا حيث يرى باور وباركى (١٩٨١) Power & Parke من خلال تسجيل لعب الآباء والأمهات بالفيديو مع أطفالهم الرضع من ذوى الترتيب الميلادى الأول والذين يبلغون ثمانية شهور من العمر وذلك فى غرفة بالمعمل مخصصة للعب أن الآباء يقومون بلعب تلك الألعاب التى تتطلب الحيوية والمساعدة بدرجة أكثر من الأمهات . وعلى العكس من ذلك فقد كانت الأمهات تقمن بالألعاب التى تتطلب الملاحظة والتى تستخدم فيها الدمى ويتم تحريكها وهزها وذلك بدرجة أكبر من الآباء. وكانت الفروق بين الأب والأم فى ألعاب المساعدة تتأثر بجنس الرضيع ، وكان آباء البنين هم الذين يقومون فى البداية بالبدء فى مثل هذه الألعاب ، وهو ما يدل على وجود فروق فى التفاعل بين الأب والرضيع يرجع إلى جنس الرضيع كما يرى باركى (١٩٧٩) Parke وكلارك - ستيوارت (١٩٨٠) Clarke - Stwart وبيدرسين (١٩٨٠) Pedersen .

وبالإضافة إلى دراسة مقدار الوقت المخصص من قبل الآباء والأمهات لأنواع مختلفة من الألعاب قام باور وباركى Power & Parke بدراسة تتابع أنواع مختلفة من الألعاب بالنسبة للآباء والأمهات . ويوضح تحليل هذا التتابع للألعاب وجود جانبين إضافيين يشكلان اختلافًا فى أسلوب التفاعل يختلف فيهما كل من الآباء والأمهات ، فكان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء قياسًا بالأمهات أن يشاركوا فى الألعاب الجسمية الشاملة وألا يظهروا أى تفاعل فى الألعاب التى تتضمن الدمى ، وعندما كانوا يشاركون فى أى لعبة تتضمن دمية كانوا يؤدون تلك اللعبة بدرجة أقل من النجاح قياسًا بالأمهات. وعندما كانوا يفشلون فى جذب اهتمام أطفالهم الرضع من خلال الألعاب التى تتضمن الدمى كانوا غالبًا ما ينتقلون إلى الألعاب الجسمية التى لا تتضمن أى دمى . وعلى العكس من ذلك كانت الأمهات أفضل من الآباء فى قدرتهن على جذب اهتمام أطفالهن الرضع خلال الألعاب التى تتضمن الدمى ، وكان فشلهن فى جذب اهتمام الطفل من خلال تلك الألعاب يؤدى إلى استمرارهن فى اللعب بالدمى فى مقابل الانتقال إلى الألعاب الجسمية من جانب الآباء .

وباختصار كان هناك ميل عام من جانب الوالدين إلى الاعتماد على أنماط مألوفة وسائدة من الألعاب وخاصة عندما يقل اهتمام الطفل بالألعاب المعروضة ، ويتضمن ذلك بالنسبة للأمهات الاستمرار فى اللعب بالدمى ، فى حين يتضمن بالنسبة للآباء الانتقال إلى الألعاب الجسمية .

وتوضح الملاحظات الأكثر حداثة للتفاعل بين الأب والرضيع ، وبين الأم والرضيع فى مواقف أو سياقات منزلية غير منظمة مع أطفال رضع أكبر عمرًا وجود فروق بين الأمهات والآباء فى أسلوب اللعب ، فيرى لام (١٩٧٧ - أ) Lamb فى دراسته التى تقوم على الملاحظة المنزلية للأطفال الرضع الذين تبلغ أعمارهم سبعة وثمانية أشهر ثم ملاحظتهم مرة أخرى فى منازلهم وذلك عندما كانت أعمارهم قد بلغت إثنى عشر وثلاثة عشر شهرًا أن الآباء ينغمسون بدرجة أكبر فى الألعاب الجسمية كتلك التى تتضمن الخشونة والوقوع على الأرض ، كما ينغمسون فى أنشطة اللعب غير العادية وذلك قياسًا بالأمهات ، فى حين كانت الأمهات على العكس من ذلك تقمن بالانغماس بدرجة أكبر فى

أنشطة اللعب الأكثر تقليدية ، كما كن تقمن أيضًا بإثارة الرضع على اللعب حيث كن تستخدمن الدمى لإثارتهن بشكل مباشر ، إلى جانب قيامهن بإثارة الأطفال على القراءة .

ومن ناحية أخرى كان الآباء أكثر انغماسًا من الأمهات فى الألعاب الجسمية كما يتضح من ملاحظة الأطفال الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين سبعة شهور ونصف وعشرة شهور ونصف . وتؤكد كلارك - ستيوارت (١٩٨٠) Clarke-Stewart أيضًا على وجود فروق مشابهة فى أسلوب اللعب وذلك فى دراستها للأطفال الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين خمسة عشر شهرًا وثلاثين شهرًا إضافة إلى والديهم ، فوجدت أنه كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للألعاب التى يقوم بها الآباء أن تكون ألعابًا جسمية وألعابًا تعتمد على الإثارة ، فى حين كانت الألعاب التى تقوم بها الأمهات عقلية وتعليمية وتعتمد على وجود أشياء وسيطة أخرى كالدمى على سبيل المثال .

ومن الجدير بالذكر أن هناك نمطًا ثابتًا لهذه الفروق يتضح فى كل الدراسات التى تمت مراجعتها يتمثل فى أن الآباء دائمًا ما يميلون إلى الألعاب الجسمية وتلك التى تعتمد على اللمس ، فى حين كانت تميل الأمهات إلى الألعاب اللفظية . ومن الواضح أيضًا أن الرضع لا يخبرون الكثير من الإثارة من آبائهم إذ يخبرون نمطًا إثاريًا يختلف نوعيًا عما يخبرونه من أمهاتهم .

ويوضح دور الأب كشريك للرضيع فى اللعب تغيرات نمائية هامة ، ففى دراسة كلارك - ستيوارت Clarke-Stewart كانت الأم هى الرفيق الأساسى للطفل فى اللعب عندما كان عمر الرضيع خمسة عشر شهرًا ، بينما كان كل من الأب والأم يتقاسمان هذا الدور حينما كان الطفل يبلغ الشهر العشرين من عمره ، إلا أن الأب كان يلعب مع الطفل بقدر يفوق الأم عند بلوغ الطفل الشهر الثلاثين من عمره . كما كان دور الأم كقائم على العناية بالطفل قد بدأ أيضًا فى التقلص خلال هذه الفترة ، فعند بلوغ الطفل الشهر الثلاثين من العمر كانت لا توجد هناك سوى نسبة ضئيلة من الفروق بين الأب والأم فيما يتعلق بالعناية بالطفل . ومما يدعو إلى الاهتمام وجود نمط معين للعلاقة بين أنماط السلوك التى تظهر أثناء اللعب وبين الأنماط السلوكية الأخرى . فكانت هناك بالنسبة للأمهات علاقة مرتفعة بين العاطفة الإيجابية والإثارة الجسمية من جهة وبين المقاييس الأخرى

للإثارة واستجابية الطفل من جهة أخرى . أما بالنسبة للآباء فكان التعبير عن العاطفة السلبية والذى يتضمن التوبيخ والنقد والتحدث بحدة يرتبط بالألعاب الجسمية من جانب الأب .

ولا يختلف الآباء والأمهات فحسب فى أنماط اللعب التى تصدر عنهم إذ يختلف الأطفال أيضًا فى ردود أفعالهم للألعاب التى تقوم بها الأم وتلك التى يقوم بها الأب ، فوجد لام (١٩٧٦ - ب) Lamb فى دراسته للرضع الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانية شهور إلى ثلاثة عشر شهرًا أن استجابة الرضع للعب مع الآباء كانت أكثر إيجابية بشكل دال من استجابتهم للعب مع الأمهات .

وتتفق النتائج التى توصلت إليها كلارك - ستيوارت (١٩٧٧) Clarke-Stewart مع هذه النتائج إذ وجدت فى دراستها للأطفال الذين يبلغون عشرين شهرًا من أعمارهم أن استجابتهم كانت أكثر دلالة للتفاعل الاجتماعى عن طريق اللعب الذى يبادر به الأب قياسًا بالألعاب التى تبادر الأم بها . أما فى سن عامين ونصف فكان الأطفال أكثر تعاونًا وانغماسًا وإثارة واهتمامًا فى اللعب مع آبائهم إذ اختار أكثر من ثلثى أفراد العينة أن يقوموا باللعب مع آبائهم أولاً وذلك فى موقف اختيارى للعب ، كما أوضحوا تفضيلاً قويًا للأب كى يكون رفيقًا لهم فى اللعب . وبذلك يتضح وجود فرق هام فى مجال اللعب بالنسبة للأطفال يعود إلى جنس الوالد . وعلى الرغم من ظهور فروق واضحة بين الأب والأم فى جلسات اللعب فقد اتضح وجود فروق أقل فى المبادرات التى يقوم بها الرضيع فى الملاحظات المنزلية غير المنظمة .

وبقدر ما يسلك الآباء والأمهات تجاه أطفالهم الرضع بنين وبنات بشكل مختلف بقدر ما يسلك الرضع من الجنس الآخر بطريقة مختلفة تجاه أمهاتهم وآبائهم إذ اتضح من الدراستين اللتين أجراهما لام (١٩٧٧ - أ، ب) Lamb أن البنين كانوا أكثر من البنات قربًا من آبائهم ، كما كانوا يفضلون البقاء معهم ، وكانوا أيضًا أكثر إزعاجًا لهم من البنات، فى حين كانت البنات الرضع أكثر قربًا من أمهاتهم وأكثر إزعاجًا لهن من البنين وذلك على الرغم من عدم وجود فروق دالة بينهن وبين البنين فى تفضيل كل منهما للبقاء مع الأم . وقد لاحظ سبيلك وآخرون (١٩٧٣) Spelke, *et al.* أن الرضع الذين كانوا يبلغون

عامًا واحدًا من أعمارهم كانوا يتحدثون إلى الوالد من نفس الجنس أكثر من تحدثهم إلى الوالد من الجنس الآخر ، فى حين وجد بان ولويس (١٩٧٤) Ban & Lewis أن البنين فى نفس العمر الزمنى كانوا ينظرون إلى آبائهم أكثر مما كانوا ينظرون إلى أمهاتهم . ومن جانب آخر وجدت لين وكروس (١٩٧٤) Lynn & Cross أن البنين فى الثانية من أعمارهم يفضلون اللعب مع آبائهم على اللعب مع أمهاتهم ، ومع ذلك فقد أوضحت البنات وجود انتقال فى تفضيلهن من الأب إلى الأم كشريك لهن فى اللعب وذلك فيما بين الثانية والرابعة من أعمارهن .

وبوجه عام فإن هذا النمط من النتائج يدل على أن انغماس الأب فى حياة أطفاله الرضع فى مرحلة المهد يقل بكثير عن انغماس الأم معهم . كما أن أنماط الأدوار التى يقوم بها كل من الأب والأم تختلف هى الأخرى اختلافًا واضحًا ، إلا أن القدر الأقل من التفاعل لا يدل على أن الأب ليس له أثر هام على نمو الرضيع إذ أنه كما اتضح من الدراسات التى أجريت من قبل كدراسات هوفمان وناى (١٩٧٤) Hoffman & Nye وشافر وإميرسون (١٩٦٤) Schaffer & Emerson أن كيف - وليس كم - التفاعل بين الأم والرضيع يعتبر مؤشرا هامًا للنمو المعرفى والاجتماعى للرضيع ، يصبح من المحتمل وجود افتراض مماثل بالنسبة للأب هو الآخر يصور أن كيف علاقته بالرضيع يعتبر أيضًا مؤشرا هامًا للنمو المعرفى والاجتماعى لذلك الرضيع .

أهم العوامل المسئولة عن تغيير الفروق التقليدية بين الأب والأم فى العناية بالرضع واللعب معهم :

على الرغم من أن الصورة العامة التى تتضح من مراجعتنا للتراث السيكلوجى حول الأم كقائم أساسى على العناية بالأطفال وحول الأب كشريك للرضع فى اللعب لا تزال سائدة ، فهناك درجة عالية من التغير عبر مختلف الأسر تتعلق بمدى انطباق هذا التقسيم التقليدى لأنماط السلوك عليها . وتوضح الدراسات الأكثر حداثة من بين تلك التى تمت مراجعتها خلال هذا القسم من الفصل الحالى بعض المحددات التى يمكنها أن تقوم بتغيير تلك المجموعة العامة من النتائج . فالتغيرات التى طرأت على تحديد الأدوار الجنسية ، والحالة الوظيفية للمرأة ، ونمط ولادة الأطفال ، وموعد تلك الولادات تشترك

جميعًا فى تغيير مستويات مشاركة الأب والأم فى العناية بالأطفال ، إضافة إلى كم أو مقدار اللعب الذى يقوم به كل منهما . ومن المعروف أن مسئوليات الأب والأم فى العناية بالأطفال ستبدو مختلفة بجلاء فى الأسر التى قامت بإعادة تنظيم وتحديد أقسام الدور الوالدى حيث توضح دراسة روسيل (١٩٨٠) Russell فى أستراليا ، ودراسة ليفين (١٩٧٦) Levine ورادين (١٩٨٠) Radin فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وجروسيز (١٩٧٥) Groseth فى النرويج ، ودراستا لام وآخرون (١٩٨١ - أ، ب) Lamb, *et al.* فى السويد أن ذلك التقسيم التقليدى للدور الوالدى بين الأسر المختلفة لا ينتشر على مستوى عالمى . وعلى الرغم من أن المناقشة التفصيلية لذلك المدى من تلك الدراسات ليست هى هدفنا فى الفصل الحالى فقد تم اختيار بعض من نتائجها بغرض توضيح الكيفية التى يمكن بمقتضاها لتنظيم الأسرة أن يؤثر على أنماط العناية بالرضع واللعب معهم . وإضافة إلى ذلك فهناك مجموعة من العوامل الأخرى تتضمن الحالة الصحية للرضيع ، ونوع الولادة ، وظروف عمل الوالدين يمكنها أن تغير من الأنماط العامة التى تمت ملاحظتها والتى تتعلق بالعناية بالأطفال واللعب معهم مما يمكننا معه ملاحظة ما يلى :

أولاً : قد يؤثر تعريف الفرد للذكورة والأنوثة على درجة مشاركة الأب فى العناية بالأطفال إذ تكشف دراسة روسيل (١٩٧٨) Russell أن الرجال المختثين فى أستراليا يشاركون فى الاهتمام بالأطفال بدرجة أكبر من الرجال الذين يتميزون بالذكورة التقليدية وهو ما يوضح دور السمات المحددة ذاتيًا والمرتبطة بالجنس فى توزيع مسئوليات العناية بالأطفال . ومن ناحية أخرى فقد وجدت إنتويسل ودوارنج (١٩٨٠) Entwisle & Doering أن الرجال الذين يتمسكون بالأنماط الصارمة للدور كأن يروا أن رعاية الرضع على سبيل المثال تعتبر عملاً غير ذكري يظهرون قدرًا أقل من الاهتمام بمواليدهم الجدد . ومع ذلك فإن دراسات رادين (١٩٨٠) Radin ولام وآخرين (١٩٨١) Lamb, *et al.* لم تكشف عن وجود هذه العلاقة بين مستويات العناية بالأطفال وبين الخنوثة .

ثانيًا : تكشف الدراسات التى أجريت بعد عام ١٩٧٥ أن بعض الممارسات الطبية مثل الولادة القيصرية يمكنها أن تغير من مستوى مشاركة الأب فى أنشطة العناية الروتينية بالرضع ، فوجد بيدرسين وآخرون (١٩٨٠) .Pedersen, *et al* على سبيل المثال أن آباء الرضع الذين تمت ولادتهم قيصريًا قد انغمسوا بشكل دال فى المزيد من أنشطة العناية بالرضع على مدى الشهور الخمسة الأولى من أعمار أطفالهم وذلك قياسًا بآباء مجموعة أخرى من الأطفال الرضع الذين تمت ولادتهم بشكل طبيعى Vaginally Delivered .

وفى حين كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة لآباء الأطفال الذين تمت ولادتهم قيصريًا أن يشاركوا فى مسئوليات العناية بهم فى العديد من المجالات المختلفة على أساس من التساوى مع الأم ، كان آباء الأطفال الذين ولدوا طبيعيًا يميلون فقط إلى مساعدة الأم التى كانت لا تزال تعمل هى على الوفاء بالنسبة الأكبر من الحاجات المرتبطة بالعناية بالأطفال . وقد توصل باحثون آخرون إلى وجود أنماط مشابهة لتلك التى نحن بصدد الحديث عنها ، فقامت جروسمان وآخرون (١٩٨٠) .Grossman, *et al* بمقابلة أربعة وثمانين زوجًا (زوج وزوجة) خلال فترة الحمل ، والولادة ، وفى حالة المهد بالنسبة لطفلهم الوليد ووجدوا أن الآباء فى الأسر التى كان فيها هذا الرضيع قد ولد قيصريًا كانوا أكثر انغماسًا فى حياة أطفالهم الرضع فى الشهر الثاني من عمرهم قياسًا بآباء الأطفال الذين ولدوا بشكل طبيعى . وقد توصلت فيتز وآخرون (١٩٨٠) .Vietze. *et al* أيضًا إلى نتائج مشابهة إذ وجدن أن أهم آثار الولادة القيصرية تتمثل فى زيادة العناية بالأطفال من جانب الأب وذلك من خلال دراستهن لخمس وسبعين أسرة كان يولد لهم طفل للمرة الأولى ، وقد تمت الملاحظة خلال العام الأول من حياة الطفل . وأوضح آباء الأطفال الذين تمت ولادتهم قيصريًا أنهم يبدون عند بلوغ أطفالهم الشهر السادس من العمر سلوكًا أكثر لطفًا تجاههم قياسًا بما كان يفعله آباء الأطفال الذين تمت ولادتهم بشكل طبيعى وكانوا فى نفس العمر الزمنى وذلك على الرغم من اختفاء هذا السلوك عندما بلغ الأطفال الشهر الثانى عشر من أعمارهم . وتتمثل أكثر التفسيرات احتمالية لهذه النتائج فى أن الأم تصبح كنتيجة للعملية الجراحية التى أجريت لها عند الولادة غير

قادرة على القيام بدورها الفاعل فى العناية بالأطفال بشكل كامل وذلك خلال بضعة الأسابيع التالية للولادة مما يجعل الأب كنتيجة لانغماسه الزائد فى العناية المبكرة بالطفل يستمر فى عنايته به حتى بعد أن تصبح الأم قادرة على استئناف دورها الأكثر فاعلية . وتؤكد دوارنج وإنتويسل (١٩٨٠) Doering & Entwisle هذه النتيجة حيث وجدتا أن الأم التى تلد قيصريًا تكون أقل فاعلية فيما يتعلق بالعناية بطفلها المولود قياسًا بالأم التى تلد طبيعيًا .

وتؤكد دراسة بيدرسين وآخرين Pedersen, *et al.* كغيرها من الدراسات التى تناولت أثر الولادة القيصرية على مدى انغماس الأب فى حياة الوليد على أهمية الفترة المبكرة التالية للولادة فى تحديد الأدوار الوالدية . ومع ذلك فلا يدل هذا على أن مثل هذه الأنماط التى تم تحديدها فى وقت مبكر غير قابلة للتعديل إذ ترى فيتز وآخرون (١٩٨٠) Vietze, *et al.* أنه بنهاية العام الأول من عمر الطفل تختفى هذه الفروق التى توجد بين آباء كلا المجموعتين من الأطفال تبعًا لنوع ولادتهم وذلك فى مدى انغماس الآباء فى حياتهم ومشاركتهم فى العناية بهم . ومع ذلك فإن نتائج مثل هذه الدراسات قد تدفعنا إلى نمط آخر ذى أثر ثانوى يتمثل فى أن سلوك الأم وحاجاتها كنتيجة للولادة القيصرية قد يؤثر على مدى التفاعل بين الأب والرضيع (Pedersen. *et al.* 1980) .

وقد تؤدى الولادة المبتسرة Premature للطفل هى الأخرى إلى تعديل أو تغيير دور الأب بطريقة مشابهة وذلك بإيجاد موقف يصبح فيه من الأكثر أهمية بالنسبة للأب أن يقوم برعاية الأم إضافة إلى ازدياد الحاجة إلى انغماسه فى العناية بالرضيع إذ وجدت هيرزوج (١٩٧٩) Herzog على سبيل المثال من مقابلاتها لأكثر من مائة أسرة ممن لهم أطفال مبتسرين أن أهم وظيفة يؤديها الأب فى مثل هذه الحالة تتمثل فى قيامه بمساندة الأم ومساعدتها مما يسهل من دورها فى العناية بطفلها الرضيع ، كما يعزز أيضًا من مشاعرها الإيجابية نحوه . وتكشف دراسة هاوثورن وآخرين (١٩٧٨) Hawthorne, *et al.* أيضًا عن نتائج مشابهة وذلك من خلال دراسة أنماط الزيارة الأبوية للأطفال المبتسرين الذين تم وضعهم فى إحدى الحضانات بإنجلترا ، فكان الأب يقوم بمساعدة الأم وأصبح أكثر انغماسًا فى أنشطة العناية بالوليد . وتتفق مارتون ومينـد

(١٩٨٠) Martone & Minde مع هذه النتائج حيث وجدتا أن الآباء الكنديين ممن لهم أطفال مبتسرين كانوا أكثر انغماسًا فى حياة هؤلاء الأطفال والعناية بهم كما يتضح من أنماط زياراتهم لوحدة الأطفال المبتسرين بالمستشفى . وأخيرًا فقد كشفت دراسة يوجمان (١٩٨٠) Yogman لعينة أمريكية مماثلة أن آباء الأطفال المبتسرين قد أظهروا مستويات أعلى من العناية بأطفالهم فكانوا يقومون بتحميمهم وتغيير الحفاضات لهم على سبيل المثال وذلك قياسًا بآباء الأطفال الذين تمت ولادتهم طبيعيًّا . وقد تكون مثل هذه الأنماط المرتفعة من العناية بالأطفال كما يظهرها الأب فى مثل هذه الحالات جزئيًّا بمثابة استجابة لتلك المصاعب التى ترتبط بالعناية بالوليد المبتسر .

ومن ناحية أخرى يرى عدد من الباحثين أن الأطفال المبتسرين يضعون على عاتق والديهم مطالب تفاعلية أكبر مما يضعه الأطفال الذين يولدون بعد فترة حمل كاملة وذلك بسبب محدودية يقظتهم واستجابتهم كما ترى جولدبرج (١٩٧٩) Goldberg وفيلد (١٩٧٩) Field . وكذلك ترى براون وبيكمان (١٩٧٩) Brown & Bakeman أن الوالدين يجدان أقل متعة وأقل إرضاء لهما كي يقوما بإرضاعهم . وعلاوة على ذلك فبسبب انخفاض وزن هؤلاء الأطفال فإنه غالبًا ما يتم إرضاعهم أكثر من أقرانهم الذين يولدون بعد فترة حمل كاملة إذ أنه فى سلسلة من الدراسات تقوم على الملاحظة وتقارن بين التفاعل الذى ينشأ بين الوالد أبًا كان أو أمًا وبين الرضيع المبتسر وغير المبتسر وجدت جولدبرج (١٩٧٩) Goldberg أن أمهات الأطفال المبتسرين كن فى مرحلة الوليد أقل فاعلية فى انغماسهن فى حياة مواليدهن قياسًا بأمهات الرضع ممن ولدوا بعد فترة حمل كاملة . كما أن هؤلاء الرضع المبتسرين قد أبعدوا الأب عن جسم الأم ، فكان يقلل من لمسه لها ، والتحدث إليها ، كما أدوا أيضًا إلى تقليل فرص نومه ووجهه فى مقابل وجهها وذلك قياسًا بالرضع ممن تمت ولادتهم بعد مدة حمل كاملة . وإضافة إلى ذلك فقد كشفت دراسات أخرى تناولت العلاقة بين الأم والرضيع المبتسر أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأم فى موقف الرضاعة أن تقوم بإثارة طفلها كى يرضع وذلك بطريقة تتضمن قدرًا أقل من التلامس عند مقارنتها بما تفعله قرينتها التى ولدت طفلها بعد مدة حمل كاملة وذلك فى نفس هذا الموقف (Goldberg, 1979; Brown & Bakeman, 1979) .

ومن المفترض أن يكون ذلك بمثابة رد فعل لما يتسم به الطفل المبتسر من انخفاض فى مستوى استجابته ويقظته . وبذلك فالولادة المبتسرة قد تؤدى إلى انغماس الأب بقدر أكبر فى العناية بالأطفال ، وقد يرجع ذلك جزئيًا على الأقل إلى رغبة الأب فى التخفيف عن الأم من مسئوليتها الكاملة لوقت إضافى ومن مهارتها اللازمة للعناية بهؤلاء الأطفال.

ومن الجدير بالذكر أن الولادة المبتسرة قد تؤثر على أنماط اللعب التى يقوم بها الأب مع الر ضيع إضافة إلى تأثيرها على مستوى انغماسه فى العناية به إذ وجد باركى وآخرون Parle, *et al.* (١٩٨١) من دراستهم لأنماط التفاعل بين الآباء والرضع المبتسرين فى إحدى الحضانات ، وبين الآباء والرضع الذين تمت ولادتهم بالمنزل بعد فترة حمل كاملة وذلك عن طريق ملاحظتهم بعد فترة قصيرة أعقبت الولادة أن أساليب اللعب بين الأب والرضيع تختلف بالنسبة للمجموعتين فلا يظهر الآباء المعدل المرتفع من اللعب الجسمى الذى يميزهم بشكل يفوق الأمهات إلا إذا كان الرضيع قد تمت ولادته بعد فترة حمل كاملة ، أما إذا كان الرضيع من المبتسرين فلا يوجد هناك فرق بين أسلوب لعب كل من الأب والأم معه . وعلى الرغم من عدم وجود فروق دالة بين الأب والأم فى أسلوب اللعب خلال الفترة التى بقيت فيها الأم بالمستشفى عقب الولادة فإن الفروق بينهما فى أسلوب اللعب مع الوليد كامل النمو والوليد المبتسر تصبح واضحة فى الأسبوع الثالث من عمر الرضيع . وقد يرجع ذلك إلى ما يظنه الآباء من أن الرضيع المبتسر ضعيف ، ولا يمكنه أن يتحمل الإثارات الجسمية الخشنة مما يمنع الأب بالتالى من مزاولة أسلوب اللعب العادى المميز له . ويوضح تتبع الطفل عن طريق الملاحظة أن هذا النمط من اللعب يظل ثابتًا حتى فى مراحل نمائية تالية خلال العام الأول من عمر الطفل . وباختصار يمكن القول أن أسلوب اللعب مع الرضيع إضافة إلى أساليب العناية به يمكن أن تتغير جميعًا تبعًا لحالته الصحية .

وهناك عامل آخر قد يؤدى إلى تغيير كم وكيف اللعب بين الأب والرضيع يتمثل فى طبيعة الترتيبات الخاصة بالعمل بالنسبة للأب والأم . فقد أصبح عدد الأسر التى تتقاضى مرتبين لعمل الأب والأم فى تزايد مستمر .

ويرى بيدرسين وآخرون (١٩٨٠) Pedersen, *et al.* فى دراستهم التى قاموا فيها بتقييم تأثير هذا النمط من التنظيم البديل للدور الأسرى على أنماط التفاعل بين الأب والرضيع . فتمت ملاحظة أسر تتقاضى مرتبًا واحدًا فقط وأسر أخرى تتقاضى مرتبين وذلك لمدة ساعة واحدة فى المساء أثناء التفاعل مع أطفالهم الرضع الذين يبلغون خمسة شهور من العمر ، أن الأب فى الأسر التى تتقاضى مرتبًا واحدًا يميل أكثر من الأم إلى اللعب مع طفله الرضيع . ومع ذلك فقد اتضح أن معدل اللعب الاجتماعى للأم مع الطفل الرضيع فى الأسر التى تتقاضى مرتبين كان أعلى من معدل لعب الأم معه إذ كان الأب فى واقع الأمر فى مثل هذه الأسر يلعب مع طفله الرضيع بمعدل يقل حتى عن الأم فى الأسر التى تتقاضى مرتبًا واحدًا . ونظرًا لأن مثل هذه الملاحظات قد تمت فى المساء أى بعد عودة كلا الوالدين من عملهما يرى هؤلاء الباحثون أن الأم تلجأ إلى هذا المعدل المرتفع من اللعب مع الأطفال كوسيلة لإعادة بناء التواصل مع طفلها الرضيع عقب بعدها عن البيت طول النهار . ومن المحتمل أن تؤثر حاجة الأم العاملة إلى التفاعل مع طفلها الرضيع على حاجة الأب المماثلة وتعوقها .

وسواء كانت هذه الأنماط من اللعب المتزايد من جانب الأم تستمر بعد أن تصبح العلاقة بين الأم والرضيع وثيقة بدرجة كبيرة قياسًا بما كانت عليه عندما كان عمر الطفل خمسة شهور أم أنها لا تستمر كذلك يعتبر أمرًا لا يزال غامضًا . إلا أن هناك سؤالاً لا تزال له أهميته فى هذا الصدد يتناول مدى ظهور هذا النمط من اللعب المتزايد من جانب الأم مع الطفل فى الأسر التى تتقاضى مرتبين والتى تبدأ الأم فيها العمل عندما يكون الطفل فى سن أكبر لا يمكننا توضيح الإجابة عنه إلا من خلال إجراء المقارنات بين الأسر التى يختلف فيها عمر الرضيع عندما تعود الأم إلى العمل .

ويتميز أسلوب التفاعل الذى أظهرته الامهات فى الأسر التى تضم أمهات عاملات بأنه يتشابه مع الأسلوب الشائع للعب الأم والذى يتميز بالسلوك اللفظى . ومع أن مقدار لعب الأم مع الطفل فى مثل هذه الأسر قد ازداد فإنه قد يظل فى إطاره المميز له ولم يتحول إلى الأسلوب المميز للعب الذكرى وهو أسلوب اللعب الجسمى .

وفى محاولة لاختبار إمكانية تغير أساليب اللعب كدالة لتنظيم الأسرة وفقًا للأدوار التى يؤديها كلا الوالدين قامت فيلد (١٩٧٨) Field بإجراء مقارنة بين الآباء الذين يعتبرونهم القائم الأساسى على العناية بالأطفال وبين الآباء الذين يأخذون دورًا ثانويًا فى هذا الصدد وذلك فى مقابل تلك الأسر التى تضمنتها عينة الدراسة التى أجراها بيدرسين وآخرون Pedersen, *et al.* والتى يقوم فيها كلا الوالدين بالعمل خارج المنزل . وبالنظر إلى نتائج هاتين الدراستين يتضح لنا أن الأمهات والآباء فى الأسر التى تضمنتها عينة دراسة فيلد Field قد قاموا بتبادل الأدوار . كما وجدت فيلد أيضًا أن الآباء الذين يعتبرون هم القائم الأساسى على العناية بالأطفال قد أبقوا على المكون الجسدى فى أساليب التفاعل الخاصة بهم تمامًا مثل ما فعل الآباء الذين كانوا يقومون بدور ثانوى فى العناية بالأطفال . ومع ذلك فقد كانت أساليب اللعب المميزة للآباء الذين يقومون بدور أساسى فى العناية بالأطفال تتشابه مع أساليب لعب الأمهات . ومن ناحية أخرى فقد أظهر الآباء والأمهات القائمون بدور أساسى فى العناية بالأطفال معدلاً أقل من الضحك ، ومعدلاً أعلى من الابتسام ومن التكشير ، ومن الأحاديث ذات النغمة العالية وذلك قياسًا بالآباء الذين يقومون بدور ثانوى فى العناية بالأطفال . ومع ذلك فقد كان الآباء سواء من كانوا يضطلعون بدور أساسى أو دور ثانوى فى العناية بالأطفال أقل فى مسكهم لأطراف أطفالهم الرضع ، كما كانوا أكثر لعبًا معهم ووخزًا لهم أثناء اللعب قياسًا بالأمهات .

وتؤكد هذه النتائج إضافة إلى تلك النتائج التى توصل إليها بيدرسين وآخرون أن كلاً من الآباء والأمهات يبدون أساليب متميزة للعب مع الأطفال حتى عندما تعمل الترتيبات المتعلقة بالدور الأسرى بتغيير كم أو مقدار تفاعلهم مع الأطفال . إلا أننا لا نزال نحتاج إلى المزيد من الدراسات لتقييم إمكانية تغير أساليب التفاعل تلك كنتيجة لاختلاف الترتيبات الأسرية . وسوف يؤدى إجراء دراسة مقارنة بين الأسر التى يتم فيها تبادل للأدوار الثانوية والأدوار الأساسية فى العناية بالأطفال وبين الأسر التقليدية التى يلعب فيها الأب دورًا ثانويًا فى العناية بالأطفال إلى توضيح مدى اعتماد السلوك التفاعلى على التوزيع المختلف لمهام العناية بالأطفال . وكما قام الباحثون بدراسة أثر المفاهيم المحددة ذاتيًا للذكورة والأنوثة والخنوثة السيكلوجية على أنماط العناية بالأطفال

يبدو من المهم القيام بتقييم العلاقة بين اتجاهات الدور الجنسى وأساليب اللعب . ومن المحتمل أن يظهر الأفراد المختثين سيكلوجيًّا رجالاً ونساء أساليب لعب ذكرية أو أنثوية أقل نمطية .

نظم التأييد الثقافية للآباء :

من المهم فى ضوء التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التى تدعم زيادة انغماس الأب فى العناية بالرضع أن نذكر ذلك التأييد والمساندات الثقافية لأنشطة الأب هذه ، والتى نذكر منها على سبيل المثال ما يلى :

أولاً : يجب أن يكون هناك زيادة فى فرص تعلم مهارات الأبوة ، وهو ما قد ينتج عنه مجموعة من الأشكال التى يمكن أن يتحقق ذلك من خلالها كتوفير برامج تدريب الآباء على تعلم وممارسة مهارات العناية بالأطفال ، وتعليمهم بعض الأساسيات حول النمو الطبيعى للطفل على أن يتم ذلك قبل وبعد الولادة كما يرى بيلر وميريديث (١٩٧٤) Biller & Meredith . ومع ذلك فلا يجب أن ننتظر بالتدريب على الأبوة إلى أن يتم الحمل أو الولادة . ويجب أن يتضمن هذا التدريب معلومات حول نمو الرضيع ، والعناية به ، كما يجب القيام بتدريس الواقع الاقتصادى لتربية الأطفال فى المدارس الثانوية أو فى وقت مبكر عن ذلك حيث يشهد المجتمع الأمريكى زيادة فى معدلات الحمل خلال العقد الثانى من العمر . وكما يرى باركى (١٩٨١ - أ) Parke وباركى وكولمر (١٩٧٥) Parke & Collmer فإن مثل هذا التدريب قد يساعد على تجنب إساءة معاملة الأطفال .

ثانيًا : يجب العمل على توفير مزيد من الفرص اللازمة لممارسة وتطبيق هذه المهارات . كما يجب أن نولى الأبوة مزيدًا من الاهتمام والمساندة حتى نوفر الفرصة لقيام الأب بالمشاركة فى العناية المبكرة بالرضيع . ومن الجدير بالذكر أن مثل هذا الاهتمام يجب أن يجعلنا نسمح للأب خلال فترة حمل زوجته بحضور برامج التدريب على الأبوة ، وأن يذهب مع زوجته خلال مراجعتها لطبيب النساء والتوليد . كما يجب أيضًا أن تحدث تغيرات أخرى فى الترتيبات المجتمعية كأن يكون هناك

أسابيع تقل فيها ساعات العمل ، وأن تتسم ساعات العمل العادية فيها بالمرونة ، وأن يتم تقسيم الوظائف كلما كانت هناك فرصة أمام كل من الذكور والإناث للقيام بها . وهو ما قد يزيد من احتمال مشاركة الذكور فى القيام بكل ما تتطلبه الأبوة (Parke, 1987 b) .

وهناك تغير إيجابى آخر يتضمن التغيير فى ترتيبات زيارة الأم لقسم الولادة بالمستشفى وهو ما يسمح للأب بأن يكون له مدى أكبر من الاتصال بمولوده الجديد والتفاعل معه . وقد أصبح تفاعل الأب مع المولود الجديد فى الوقت الحالى وخاصة فى مرحلة الوليد يخضع لمزيد من الملاحظة والرقابة ، وكنتيجة لذلك نجد أن سياسة المستشفى فى الغالب وليس اهتمام الأب هى التى تحدد درجة انغماس الأب مع الوليد الجديد . وعلى الرغم من أن بعض الأقطار مثل روسيا على سبيل المثال لا تزال تضع قيودًا كثيرة على زيارة الأب للوليد ، فهناك أقطار أخرى كالسويد والدانمرك مثلاً تشجع مثل هذه الانغماس من جانب الأب سواء كان ذلك فى المعمل أو عند الولادة ، كما تشجع على مثل هذه الزيارات المستمرة من جانب الأب خلال فترة ما بعد الولادة مباشرة (Klaus & Kennell, 1976) . أما فى الولايات المتحدة الأمريكية فهناك اتجاه متزايد نحو مزيد من المشاركة من جانب الأب إذ نجد على سبيل المثال أن ستين فى المائة من المستشفيات فى مدينة نيويورك تسمح بزيارة الأب لوليده الجديد .

وكما يرى كلاوس وكينيل (١٩٧٦) Klaus & Kennell فإن الفرص التى تتاح أمام الأب للقيام بالتواصل المبكر من الوليد خلال فترة ما بعد الولادة قد تغير من أنماط التفاعل بين الأم والوليد . وتؤكد نتائج الدراسة التى أجراها لند (١٩٧٤) Lind بالسويد أن هناك أثرًا موازيًا يحدث بالنسبة للآباء أيضًا إذ أن الآباء الذين أتيحت لهم الفرصة لتعلم وممارسة المهارات الأساسية للعناية بالطفل خلال فترة ما بعد الولادة التى تقضيها الأم بالمستشفى كانوا خلال تواجدهم فى المنزل أكثر انغماسًا مع أطفالهم الرضع فى الشهر الثالث من أعمارهم ، كما كانوا يقومون بأعمال المنزل أيضًا .

ومن ناحية أخرى فقد أجرى باركى وآخرون (١٩٨٠) Parke, et al., دراسة تناولوا فيها المساندة التى يقدمها الأب للأم وذلك خلال فترة وجود الأم بالمستشفى

فى الفترة التالية للولادة فعرضوا على مجموعة من الآباء قوامها ستة عشر أبًا فيلمًا قصيرًا مسجلاً على الفيديو تم تصميمه بغرض زيادة الاتصال بين الأب والوليد وقيامه بالعناية به . وكان هذا الفيلم يعرض لثلاثة آباء مختلفين يلعبون مع أطفالهم ويقومون بإرضاعهم ويغيرون لهم الحفائض . وبالإضافة إلى ذلك فقد كان شخص آخر يتحدث عن ذلك المدى الكبير من القدرات المعرفية والاجتماعية للوليد ، إضافة إلى الدور الفعال الذى يمكن أن يلعبه الأب فى العناية المبكرة بالرضع وإثارتهم . وقد صمم هذا الفيلم لتحقيق أربعة أغراض أساسية هى :

١ - تغيير اتجاهات الأب نحو الدور الجنسى وذلك فيما يتعلق بمدى ملاءمة قيام الذكور الراشدين بالعناية بالرضع .

٢ - تقديم الأدلة التى تؤكد على قيام الأب بإرضاع الطفل خلال هذه الفترة وتغيير الحفائض له .

٣ - تقديم المعلومات اللازمة للآباء حول كل ما يتعلق بقدرات الرضيع المعرفية والإدراكية .

٤ - عرض الأساليب التى يستطيع الأب بمقتضاها أن يتفاعل مع الرضيع مؤكدًا على الاستجابات التى يمكن أن يقوم بها الأب لتلك الإشارات التى تصدر عن الرضيع .

ولتقييم أثر هذا الفيلم على التفاعل بين الأب والوليد تمت المقارنة بين مجموعتين من الآباء ؛ ضمت الأولى الآباء الذين شاهدوا ذلك الفيلم وعددهم ستة عشر أبًا ، أما الثانية فضمت عددًا مماثلاً من الآباء لم يشاهدوا هذا الفيلم وذلك من خلال ملاحظة تفاعلهم مع أطفالهم الرضع فى المستشفى خلال الفترة التالية للولادة مباشرة وفى المنزل عندما كان هؤلاء المواليد قد بلغوا ثلاثة أسابيع من عمرهم ، ثم ملاحظتهم مرة أخرى فى الشهر الثالث من العمر . كما تم أيضًا تقييم مستوى مشاركة الأب فى الأنشطة الروتينية للعناية بالرضع داخل المنزل وذلك عندما كان هؤلاء الرضع فى الشهر الثالث من أعمارهم . وأوضحت النتائج أن الآباء الذين شاهدوا الفيلم فى المستشفى قد ازدادت معرفتهم بالقدرات الإدراكية للرضيع . واعتقدوا أكثر من أقرانهم الذين لم يشاهدوا الفيلم أن الرضع يحتاجون دومًا إلى الإثارة . وإضافة إلى ذلك فقد كان آباء الرضع البنين ممن

شاهدوا الفيلم قد قاموا بتغيير اتجاهات دورهم الجنسى فيما يتعلق بمدى ملاءمتهم للقيام بالمشاركة فى أنشطة العناية بالرضع . واستنادًا على التقارير اليومية حول أنشطة العناية بالرضع فى المنزل كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء الذين شاهدوا الفيلم أن يقوموا بتغيير الحفائض لأطفالهم البنين الرضع البالغين ثلاثة شهور من العمر وأن يقوموا بإرضاعهم وذلك قياسًا بأقرانهم فى المجموعة الأخرى الذين لم يشاهدوا الفيلم . كما توضح النتائج التى تستند على الملاحظة أن مشاهدة الآباء للفيلم قد غيرت من سلوكهم بطرق عديدة إذ كان للفيلم فعاليته فى زيادة مقدار سلوك العناية بالأطفال من جانب هؤلاء الآباء خلال مواقف إرضاع الأطفال سواء فى المستشفى أو فى المنزل عندما كان الأطفال فى الشهر الثالث من العمر . كما أدى الفيلم إلى زيادة سلوك الإثارة من جانب هؤلاء الآباء بشكل دال وذلك لأطفالهم البنين من ذوى الترتيب الميلادى الأول وذلك أثناء وجودهم بالمستشفى بعد ولادتهم مباشرة ، إلا أن هذا لم يحدث فى فترات تالية متأخرة عن ذلك . وتوضح دراسة تتابع سلوك الأب والرضيع أنه بينما يقلل الآباء من المقدار الكلى للإثارة التى يقومون بها وذلك على مدى الفترات الزمنية الثلاث موضوع الدراسة كانت هناك زيادة فى احتمال ارتباط هذه الأنماط السلوكية بالإشارات التى تصدر عن الرضيع . وبذلك يتضح أنه مع زيادة المخزون السلوكى للطفل على مدى الشهور الثلاثة الأولى من عمره قام الآباء الذين شاهدوا الفيلم بتغيير أسلوبهم من أسلوب التفاعل القائم على إثارة الرضيع بدرجة عالية إلى ذلك الأسلوب الذى يرتبط بسلوك الرضيع بدرجة كبيرة .

ومن ناحية أخرى فقد اتضح أيضًا وجود نمط سلوكى مشابه يضم تلك الأنماط السلوكية المرتبطة بالعاطفة . ولم يتضح وجود أى آثار لمشاهدة الفيلم على الآباء خلال فترة وجود أطفالهم بالمستشفى عقب الولادة أو عندما كان هؤلاء الأطفال فى الأسبوع الثالث من أعمارهم ، فى حين أبدى الآباء الذين لم يشاهدوا الفيلم مزيدًا من العاطفة لأطفالهم فى الشهر الثالث من العمر . إلا أن الآباء الذين شاهدوا الفيلم قد أظهروا مزيدًا من العاطفة قياسًا بأقرانهم الذين لم يشاهدوا الفيلم وذلك فى مواقف إرضاع الأطفال فى الشهر الثالث من أعمارهم وفى مواقف اللعب قياسًا بأقرانهم الذين شاهدوا الفيلم .

كما أوضحت دراسة تتابع سلوك الأب والرضيع أن هذا النقص فى التكرار الكلى للسلوك كانت تواكبه زيادة فى الاستجابية . فعلى الرغم من انخفاض مقدار العاطفة التى أبداها أولئك الآباء الذين شاهدوا الفيلم خلال مواقف اللعب مع أطفالهم الرضع كانت طريقة إظهارهم للعاطفة أكثر ارتباطًا بالإشارات التى تصدر عن الطفل قياسًا بأقرانهم الذين لم يشاهدوا الفيلم .

وباختصار فقد أدى هذا الفيلم بشكل دال إلى تغيير جوانب مختارة من سلوك الآباء واتجاهاتهم خلال وجود أطفالهم المستشفى بعد الولادة وخلال الشهور الثلاثة الأولى من عمر أطفالهم . وكان من النتائج الهامة التى كشفت عنها هذه الدراسة أن مستوى مشاركة الأب فى إرضاع الأطفال وتغيير الحفائض لهم يزداد نتيجة لهذا الإجراء المحدد (الفيلم) حتى بعد فترة الشهور الثلاثة التى تم تناولها فى هذه الدراسة وخصوصًا فى حالة الأطفال البنين . ومن الملاحظ أن هذا المعدل المرتفع من التأثير الذى أحدثه الفيلم وذلك على آباء الأطفال البنين يستحق التعليق .

ويعتبر التفسير السابق هو أكثر التفسيرات المقبولة لهذه النتيجة حيث اختلف الآباء بالفعل فى درجة تهيئتهم لأن يتفاعلوا مع أطفالهم الذكور الرضع بدرجة أكبر من البنات الرضع ، وقد أدى الفيلم إلى تقوية هذا الميل الموجود لديهم بالفعل . وهناك الكثير مما يحتويه التراث السيكلوجى يؤيد هذه النتيجة كما يرى لام (١٩٨١) Lamb وبيدرسين (١٩٨٠) Perersen وباركى (١٩٧٩) Parke . أما الدراسات السابقة التى تتعلق بالتأثير الاجتماعى والتى يزخر بها التراث السيكلوجى فتؤكد أنه من السهل أن نحدث تغييرًا إضافيًا فى الاتجاه المرغوب فيه بالفعل قياسًا بالاتجاه غير المرغوب فيه كما يرى ماك جوير (١٩٦٨) Mc Guire .

ومن ناحية أخرى قامت ديكاى وكارناهان (١٩٧٩) Dickie & Carnahan بتدريب أمهات وآباء الأطفال الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين أربعة أشهر وإثنى عشر شهرًا وذلك بغرض زيادة كفاءتهم كوالدين . وباستخدام مفهوم جولدبرج Goldberg عن الكفاءة على أنها القدرة الوالدية على تقييم وتوفير الخبرات المرتبطة بالاستجابات من جانب أطفالهم الرضع والتنبؤ بها وإثارتها ، قامت الباحثتان خلال ثمانى جلسات تدريب

مدة كل منها ساعتين أسبوعيًا بالتركيز على الاختلافات التى قد توجد بين الأطفال ، وعلى الفروق الفردية ، كما ركزتا أيضًا على التعرف على مزاج الطفل والإشارات التي تصدر عنه ، وتوفير الخبرات المرتبطة بذلك ، والتعرف على تأثير الطفل على الوالدين . وكنتيجة لجلسات التدريب هذه ازدادت تفاعلات الآباء المشاركين فيها مع أطفالهم الرضع قياسًا بأقرانهم الذين لم يشاركوا ، فكان أولئك الذين شاركوا فى جلسات التدريب يتحدثون إلى أطفالهم ، ويقومون بلمسهم ، ويحملونهم ، ويتواجدون معهم لفترات أطول، ويصدرون استجابات أكثر ارتباطًا بابتساماتهم وأحاديثهم .

وعلى الجانب الآخر كان أطفال الآباء الذين شاركوا فى التدريب أكثر بحثًا عن التفاعل من أطفال الآباء الذين لم يشاركوا فيه . ومع ذلك فقد نقص معدل تفاعل الأمهات اللائى حضر أزواجهن التدريب وذلك مع أطفالهن . وفى ضوء الحقيقة التى ترى أن التدريب يزيد من الكفاءة الوالدية من المحتمل أن تكون زوجات أولئك الذين شاركوا فى التدريب قد قمن بتشجيع أزواجهن على تحمل قسط أكبر من مسئوليات العناية بالرضيع والتفاعل معه . وتؤكد هذه النتيجة على الطبيعة التبادلية للعلاقة بين الأب والأم ، كما تعطى تأكيدًا إضافيًا للنظر إلى الأسرة على أنها نظام اجتماعى تقوم فيه الأنشطة التى تصدر عن أحد أعضائه بالتأثير على سلوك الأعضاء الآخرين . وأخيرًا فإن هذه النتائج تتفق مع النتائج التى تتعلق بالثدييات غير الإنسانية والتى توضح أن مدى انغماس الأب فى حياة الصغير يختلف بشكل عكسى مع قيام الأم بوضع القيود على هذا الانغماس (Redican, 1976; Parke & Suomi, 1981) .

وكما تؤكد دراسات عديدة فإن الجهود المبذولة لتغيير أسلوب التفاعل بين الأب والرضيع يجب ألا تقتصر على الرضع الأقل سنًا فقط إذ وجد زيلازو وآخرون (١٩٧٧) Zelazo, et al., فى دراستهم التى أجروها على عشرين أبًا ممن يقل تفاعلهم مع أطفالهم بدرجة كبيرة وأطفالهم البنين الرضع الذين يبلغون إثنى عشر شهرًا من العمر من ذوى الترتيب الميلادى الأول ، وكان هؤلاء الآباء يشاركون بقدر ضئيل فى العناية بأطفالهم أو اللعب معهم ، كما كانوا لا يتواجدون بالمنزل إلا فى بعض الأحيان التى يكون فيها أطفالهم مستيقظين . وقد حضر اثنا عشر أبًا من هؤلاء الآباء برنامجًا تدريبيًا

يتضمن اللعب مع الأطفال لمدة ثلاثين دقيقة كل يوم فى منازلهم وذلك على مدى أربعة أسابيع . ولتسهيل حدوث التفاعل بينهم عن طريق اللعب تم تزويد الأب بجدول بالألعاب وأدوات اللعب اللازمة . وباستخدام إحدى استراتيجيات التعلم الاجتماعى (Bandura, 1977) قام الباحثون بتحدد الألعاب ، وأدوات اللعب وأساليب التفاعل ، وقاموا بتدريب الآباء على هذه الأنشطة . أما المجموعة الثانية والتى تعتبر مجموعة ضابطة فقد ضمت ثمانية آباء ممن يقل تفاعلهم مع أطفالهم فلم يتلقوا أى تدريب .

ولتقييم أثر هذا البرنامج التدريبى على سلوك الرضيع تم عقد جلسة للتفاعل بين الوالد والرضيع على أساس معملى قبل البرنامج وأخرى بعده ، استمرت كل منهما لمدة عشرين دقيقة من اللعب الحر أثناء وجود كلا الوالدين فى نفس الغرفة وهما يقرآن . تلا ذلك خروج الأم من الغرفة ثم الأب بعدها وعند مقارنة الملاحظات التى تم تسجيلها عن هذه المجموعة التجريبية مقارنة بما تم تسجيله عن المجموعة الضابطة اتضح أن معدل تفاعل البنين فى المجموعة التجريبية مع آبائهم قد ازداد فى جلسة اللعب الحر حيث كان يقوم هؤلاء البنون بالنظر كثيرًا إلى آبائهم كما بادروا بالتفاعل معهم بدرجة أكبر . ولم يتأثر احتجاجهم على الانفصال بالبرنامج التدريبى . وكانت هذه النتيجة مدهشة فى ضوء التقارير المبكرة التى ترى أنه مع زيادة انغماس الأب مع الطفل يقل قلق الانفصال فى وجود شخص غريب (Kotelchuck, 1972; Spelke, et al., 1973) .

وعلى الرغم من أن هذه الدراسات كانت رائدة فقد كان فيها العديد من أوجه القصور إذ طلب الباحثون من الآباء أن يبادروا هم بالتفاعل مع الأطفال خلال الجلسات التى عقدت بالمعمل ، ولذلك لم يتضح ما إذا كان هناك زيادة فى أنماط سلوك الأب الموجهة نحو الرضيع أم لا . كما أن هؤلاء الباحثين لم يقوموا بمراقبة وضبط مقدار التفاعل بين الآباء وأطفالهم الرضع فى المنزل كمتابعة لبرنامجهم التدريبى .

وعلى الرغم من وجود أوجه القصور هذه فإن تلك الدراسة تؤكد على إمكانية تغيير العلاقة بين الأب والرضيع . كما أنها تعمل على تصحيح الافتراض الذى يرى أن تغيير أنماط التفاعل الاجتماعى المبكر ليس من الضرورى أن يرتبط بفترة حرجة مبكرة فى حياة الطفل . وكما يرى زلازو وآخرون Zelazo, et al., والباحثون الذين قاموا بالدراسات

البرامجية المبكرة أمثال رينجولد (١٩٥٦) Rheingold وسكيلز (١٩٦٦) Skeels أنه يمكن تغيير استجابية الطفل الرضيع فى مستويات عمرية مختلفة .

ومن الجدير بالذكر أن هناك حذرًا شديدًا مشابهًا يجب أن ينطبق على نمو الاستجابية الوالدية للأطفال الرضع . فعلى الرغم من أن الدراسات التى تناولت الاتصال المبكر بين الوالد والطفل كدراسة كلاوس وكينيل (١٩٧٦) Klaus & Kennell تؤكد على أهمية الفترة التالية للولادة مباشرة فى تسهيل الاستجابية الوالدية للأطفال الرضع فإنه من الضرورى أن نتذكر أن الدراسات التى تناولت موضوع التبنى تؤكد على أنه بإمكان الوالدين أن يتعلما تطوير علاقات مشبعة مع الرضع ومع الأطفال الذين يكونون فى أعمار زمنية أكبر . ومن المحتمل أن تتجاوز قدرات كل من الوالدين والأطفال الرضع على التكيف المستمر للظروف الاجتماعية المتغيرة أقصى أهمية لأى فترة زمنية فى سبيل تكوين العلاقات الاجتماعية (Cairns, 1977) .

خاتمة :

يلعب الآباء والأمهات خلال مرحلة المهد أدوارًا متميزة وإن كانت تتكامل مع بعضها البعض . ومن الواضح أن كلاً من الآباء والأمهات يقومون بالعناية بالأطفال الرضع بكفاءة على الرغم من أن الآباء فى الأسر التقليدية يقل دورهم المباشر فى العناية بأطفالهم الرضع . ومع ذلك فإن الأب يؤثر على الأنشطة التى تقوم بها الأم بغرض العناية بالأطفال وذلك عن طريق العديد من الأساليب غير المباشرة .

ومن الجدير بالذكر أنه قد لوحظ وجود فروق فى كم وكيف اللعب من جانب الأمهات والآباء مع أطفالهم الرضع وذلك عند دراسة أساليبهم فى اللعب مع أطفالهم إذ اتضح وجود أسلوب لعب متميز لكل من الأب والأم ، ففى حين يتسم أسلوب لعب الأب بالعنف وبغلبة الجانب الجسمى عليه ، فإن أسلوب لعب الأم يغلب عليه الجانب اللفظى بدرجة أكبر . إلا أن هناك من الأدلة ما يؤكد على أنه من الممكن تغيير مثل هذه الفروق التقليدية بين أنماط اللعب الخاصة بكل من الأب والأم مع الأطفال . وإلى جانب تلك التغيرات فى أيديولوجيات الدور الجنسى وأنماط العمل التى تفرز تنظيمات أسرية

بديلة كانت الممارسات الطبية المرتبطة بولادة الأطفال والحالة الولادية للطفل من بين العوامل التى تعمل على تقويض أسس المفاهيم النمطية للأم على أنها هى القائم على العناية بالأطفال ، وللأب على أنه رفيقهم فى اللعب .

ومن هنا يبدو أن التعرف على مدى أوسع من هذه العوامل وعلى إمكانية إحداث التغيير فى أدوار الأب والأم فى مرحلة المهد يعتبر أمرًا هامًا . ومن المهم أن تقوم باستمرار بتسجيل الاختلافات فى أنماط التفاعل بين الأب والطفل وبين الأم والطفل وذلك على المستوى العالمى والمحلى . وفى النهاية قد يكون بإمكاننا القيام بعزل تلك الأسس التى تحكم عملية التغير فى أنماط التفاعل الاجتماعى إلى جانب وصف طبيعة التغيرات العالمية التى تحدث .

وكذلك فقد تم تناول نظم التأييد الثقافية للآباء وكيفية تنفيذ الأنشطة الوالدية . وتم أخيرًا تقديم اتجاه تحليلى متعدد المستويات يساعد فى فهم دور الأب . ويرى هذا الاتجاه أن الأب والأسرة يعتبران ضمن شبكة من النسق الاجتماعية تتضمن الجيران والمحليات . وأخيرًا فإن تعقد النماذج التى نقدمها للأطفال قد يماثل التعقد فى العلاقات بين الأب والرضيع .

* * *

مراجع الفصل الحادى عشـر

Arbeit, S. A. (1975). A study of women during their first pregnancy. Unpublished doctoral dissertation, Yale University.

Ban, P., & Lewis, M. (1974). Mothers and fathers, girls and boys : Attachment behavior in the one-year old. Merrill-Palmer Quarterly, 20, 195-204.

Bandura, A. (1977). Social learning theory. Englewood Cliffs, N. J. : Prentice-Hall.

Belsky, J. (1979). Mother-father-infant interaction : A naturalistic observational study. Developmental Psychology, 15,601-607.

Biller, H. B., & Meredith, D. L. (1974). Father power. New York: McKay.

Brim, O. G. (1975). Macro-structural influences on child development and the need for child hood social indicators. American Journal of Orthopsychiatry, 45, 516-524.

Bronfenbrenner, U. (1979). The ecology of human development: Experiments by nature and design. Cambridge Mass. : Harvard University Press.

Brown, J. V., & Bakeman, R. (1980). Relationships of human mothers with their infants during the first year of life. : Effects of prematurely. In R. W. Bell & W. P. Smother man (Eds.), Maternal influence and early behavior. Hollis wood. N. Y. : Spectrum.

Cairns, R. B. (1977). Beyond social attachment :The dynamics of ineractional development. In T. A. Alloway, P. Pliner, & L. Krames (Eds.), Attachment behavior. New York : Plenum.

Clarke-Stewart, K. A. (1977). The father's impact on mother and child. Paper presented at the biennial meeting of the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.

Clarke-Stewart, K. A. (1978). And daddy makes three :The father's impact on mother and young child. Child Development, 49,466-478.

Clarke-Stewart, K. A. (1980). The father's contribution to children's cognitive and social development in early childhood . In F. A. Pedersen (Ed.), The father infant relationship: Observational studies in the family setting. New York: Praeger.

Cowan, C. P. Cowan, P. A., Coie, L., & Coie, J. D. (1978). Becoming a family : The impact of a first child's birth on the couple's relationship. In W. B. Miller & L. F. Newman (Eds.), The first child and family formation. Chapel Hill, N. C.: Carolina Population Center.

Dickie, J., & Carnahan, S. (1979). Training in social competence :The effect on mothers fathers and infants. Paper presented at the biennial meeting of the Society for Research in Child Development, San Francisco.

Entwisle, D. R., & Doering, S. G. (1980). The first birth. Baltimore: John Hopkins University Press.

Field, T. M. (1978). Interaction behaviors of primary versus secondary caretaker fathers. Developmental Psychology, 14, 183-185.

Field, T. M. (1979). Interaction patterns of preterm and full term infants. In T. M. Field (Ed.), Infants born at risk :Behavior and development. New York : S. P. Medical and Scientific Books.

Goldberg, S. (1979). Premature birth : Consequences for the parent infant relationship. American Scientist, 67,214-220.

Greenberg, M., & Morris. N. (1974). Engrossment :The newborn's impact upon the father. American Journal of Orthopsychiatry, 44, 520-531.

Gronseth, E. (1975). Work-sharing adaptations of pioneering families with husband and wife in part time employment. Acta Sociologia, 18, 202-221.

Grossman, F. K. , Eichler, L. S., Winickoff, S. A., et.al. (1980). Pregnancy, birth and parenthood. San Francisco : Jossey-Bass.

Hawkins, R. P. (1971). Universal parenthood training: A proposal for preventative mental health. Educational Technology, 11,28-35.

Hawthorne, I. T., Richards, M. P. M. , & Callon, M. (1978). A study of parental visiting of babies in a special care unit. In F. S. W. Brimblecombe, M. P. M. Richards, & N. R. C. .Robertson (Eds.), Early separation and special care nurseries : Clinics in developmental medicine. London : SIMP/Heinemann Medical Books.

Herzog, J. M. (1979). Disturbances in parenting high-risk infants : Clinical impressions and hypotheses. In T. M. Field (Ed.), Infants born at risk :Behavior and development. New York :S . P. Meical and Scientific Books.

Hoffman, L. (1978). W. Effects of the first child on the women's role. In W. B. Miller & L. F. Newman (Eds.), The first child and family formation. Chapel Hill, N. C. : Carolina Population Center.

Hoffman, L. W., & Nye, F. I. (1974). Working mothers. San Francisco : Jossey-Bass.

Klaus, M. H., & Kennel, J. H. (1976). Parent-infant bonding. St. Louis : Mosby.

Kotelchuck, M. (1976). The infant's relationship to the father : Experimental evidence. In M. E. Lamb (Ed.), The role of the father in child development. New York : Wiley.

Kotelchuck, M. (1972). The nature of the child's tie to his father. Unpublished doctoral dissertation, Harvard University.

Lamb, M. E. (1976). Twelve-month-olds and their parents :Interactions in alaboratory playroom. Developmental Psychology, 12,237-244.

Lamb, M. E. (1977). Father-infant and mother-infant interaction in the first year of life. Child Development, 48, 167-181 (a).

Lamb, M. E. (1977). The development of mother-infant and father-infant attachments in the second year of life. Developmental psychology, 13, 637-648 (b).

Lamb, M. E. (1978). Infant social cognition and "second-order" effects. Infant Behavior and Development, 1, 1-10.

Lamb, M. E. (1979). The effects of the social context on dyadic social interaction. In M. E. Lamb, S. J. Suomi, & G. R. Stephenson (Eds.), Social interaction analysis : Methodological issues. Madison: University of Wisconsin Press.

Lamb, M. E. Frodi, A. M. Hwang, C. P., & Frodi, M. (1982). Varying degress of paternal involvement in infant care : Attitudinal and behavioral correlates. In M. E. Lamb (Ed.), Nontraditional families : Parenting and child development. Hillsdale, N. J. : Lawrence Erlbaum Associates (a).

Lamb, M. E., Frodi, A. M., Hwang, C., P., Frodi, M. & Steinberg, J. (1982). Effects of gender and caretaking roles on parent-infant interaction. In R. N. Emde & R. J. Hannon (Eds.), Attachment and affiliative systems New York : Plenum (b).

Levine, J. A. (1976). Who will raise the children : New options for father (and mothers). New York : Lippincott.

Lewis, M., & Feiring, C. (1981). Direct and indirect interactions in social relationships. In L. Lipsitt (Ed.), Advances in infancy research, Vol. 1. Norwood, N. J. : Albex publishing Corp.

Lind, R., (1974). Observations after delivery of communications between mother-infant-father. Paper presented at the International Congress of Pediatrics, Buenos Aires, Cctober.

Lynn, D. B., & Cross, A. R. (1974). Parent preference of preschool children . Journal of Marriage and the Family, 36, 555-559.

Marton P. L., & Minde, K. (1980). Paternal and maternal behavior with premature infants. Paper presented to the Americai1 Orthopsychiatry Association, Toronto, April.

McGuire, W. J. (1968). The nature of attitudes change. In G. Lindzey & E. Aronson (Eels.), Handbook of social psychology. Vol. 3. Reading, Mass. : Addison-Wesley.

Parke, R. D. (1979). Perspectives on father-infant interaction. In J. Osofsky (Ed.), Handbook of infancy. New York :Wiley.

Parke, R. D. (1981). Theoretical models of child abuse: Their implications for prediction, prevention and modification. In R. Starr (Ed.), Prediction of Abuse. New York : Ballinger (a).

Parke, R. D. (1981). Father. Cambridge : Harvard University Press (b).

Parke, R. D., & Collmer, C. W. (1975). Child abuse :An interdisciplinary analysis. In E.M. Hetherington (Ed.), Review of child development research, Vol. 5. Chicago : University of Chicago Press.

Parke, R. D. Grossman, K., & Tinsley, B. R. (1981). Father -mother infant interaction in the newborn period : A German-American comparison. [n T. Field (Ed.), Culture and early interactions. Hillsdale, N. J. : Lawrence Erlbaum Associates.

Parke, R . D. , Hymel, S., Power; T. G., & Tinsley, B. R. (1980). Fathers and risk: A hospital based model of intervention. In D. B. Sawin, R. C. Hawkins, L. O. Walker , & J. H. Pent cuff (Eds.). Psychosocial risks in infant-environment transactions, New York : Bruner/ Masel.

Parke, R. D. , & O'Leary, S. E. (1976). Father-mother-infant interaction in the newborn period :Some findings, some observations and some unrsesolved issues. In K. Rieget & J. Meacham (Eds.), The developing individual in a changing world, (Vol.2) Social and environmental issues. The Hague :Mouton.

Parke, R. D., O'Leary, S. E., & West, S. (1972). Mother-father newborn interaction : effects of maternal medication. labor and sex of infant. Proceedings of the American Psychological Association, 85-86.

R.D., Power, T. G., & Gottman, J. (1979). Conceptualizing and quantifying influence patterns in the family triad. In M. Lamb, S. J. Suomi, & G. R. Stephenson (Eds.), Social interaction analysis Methodological issues. Madison: University of Wisconsin Press.

Parke, R. D., & Sawin.. D. B. (1975). Infant characteristics and behavior as elicitors of maternal and patenal responsibility in the newborn period. Paper presented at the biennial meeting of the Society for Research in Child Development, Denver, April.

Parke, R. D., & Sawin, D. B. (1980). The family in early infancy : Social interactional and attitudinal analysis. In F. A. Pedersen (Ed.), The father-infant relationship :Observational studies in the family setting. New York: Fraeger.

Parke, R. D. & Suomi, S. J. (1981). Adu1t male-infant relationship: Human and nonhuman primate evidence. In K. Immelman , G. Barlow, M. Main , & L. Petrinovitch (Eds.), Behavioral development :The Bielefeld Interdisciplinary prgject. New York: Cambridge University Press.

Parke, R. D., & Thomas, N. G. (1981). The family in context: A multilevel interactional analysis of child abuse. In R. W. Henderson (Ed.), Parent - child interaction : Theory, research and prospect. New York :Academic Press.

Parke, R. D., Thomas, N. G. , Neff, C., Szcyzypka, D., Tinsley , B. R., & Zarling, C. (n.d.) Parent-infant interaction with full term and premature infants : In the hospital and at home. unpublished manuscript.

Parke, R. D. & Tinsley, B. R. (1982). The early environment of the high-risk infant : expanding the social context. In D. Bricker (Ed.), Application of research findings to intervention with at-risk and handicapped infants. Baltimore: University Park Press.

Pedersen, F. A. (1975). Mother, father and infants as an interactive system. Paper presented to the American Psychological Association, Chicago, September.

Pedersen, F. A., Anderson, B. J, & Cain, R. L. (1977). An approach to understanding linkages between the parent infant an spouse relationships. Paper presented at the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.

Pedersen, F. A., Anderson, B. J. & Cain, R.L. (1980). Parent-infant and husband-wife interactions observed at age five months. In F. A. Pedersen (Ed.), The father - infant relationships : Observational studies in the family setting. New York: Praeger.

Pedersen, F. A., Cain, R. Zaslow, tv1., & Anderson, B. (1980). Variation in infant experience associated with alternative family role organization. Paper presented at the International Conference on Infant Studies. New Haven, April.

Pedersen, F. A., Zaslow, M. J., Cain, R. L., & Anderson, B. J. (1980). Cesarean birth : The importance of a family perspective. Paper presented at the International Conference on Infant Studies, New Haven, April.

Phillips, D., &. Parke, R. D. (1981). Father and mother speech to paralinguistic infants. Unpublished manuscript, University of Illinois.

Power, T. G., & Parke, R. D. (1982). Playas a context for early learning: Lab and home analyses. In L. M. Laosa & L E. Sigel (Eds.), The family as a learning environment, New York : Plenum.

Radin, N. (1980). Childbearing fathers in intact families :An exploration of some antecedents and consequences. Paper presented at a study group on "The Role of the Father in Child Development, Social Policy, and the Law, "University of Haifa, Haifa, Israel, July 15-17.

Redican, W. K. (1976). Adult male-infant interactions in nonhuman primates. In M. E. Lamb (Ed.), The role of the father in child development . New York : Wiley.

Rendina, I., & Dickerscheid, J. D. (1976). Father involvement with first -born infants. Family Coordinator, 25, 373-379.

Rheingold, H. (1956). The modification of social responsiveness in institutional babies. Monographs of the Society for Research in Child Development, 21, No. 63.

Richards, M. P. M., Dunn, 1. F. & Antonis, B., (1977). Caretaking in the . first year of life : The role of father's and mothers' social isolation. Child :Care, Health and Development, 3, 23-26.

Russell, G. (1978). The father role and its relation to masculinity, femininity and androgyny. Child Development, 49,1174-1181.

Russell, G. (1980). Father as caregivers : Possible antecedents and consequences. Papers presented to a study group on "The Role of the Father in Child Development, Social Policy and the Law, "University of Haifa, Haifa, Israel, July 15-17.

Sachs, J. (1977). The adaptivre significance of linguistic input to pre linguistic infants. In C. E. Snow & C. A. Ferguson (Eds.), Talking to children. Cambrdige, Mass. : Cambridge University Press.

Sawin, D. B., & Parke, R. D. (1976). Adolescent fathers : Some implications from recent research on parental roles. Educational Horizons, 55, 38-43.

Schaffer, H. R., & Emerson, P. E. (1964). The development of social attachments in infancy. Monographs of the Society for Research in Child Development, 29, Serial No. 94.

Schlossman, S., L. (1976). Before home starts: Notes toward a history of parent education in America, 18971929.Harvard Educational Review, 46, 436-467.

Shereshefsky, P. M., & Yarrow, L. J. (1973). Psychological aspects of a first pregnancy and early postnatal adaptation. New York: Raven Press.

Skeels, H. (1966). Adult studies of children with contrasting early life experiences. Monographs of the Society for Research in Child Development, 31 , No. 105.

Spelke, E. Zelazo, P., Kagan J., & Kotelchuck, M. (1973). Father interaction and separation protest. Developmental Psychology, 9, 83-90.

Stem, D. N. (1974). Mother and infant at play: The dyadic interaction involving facial, Vocal, and gaze behaviors. In M. Lewis & L. A. Rosenblum (Eds.), The effect of the infant on its caregiver. New York :Wiley.

Vietze, P. M., Mac Turk R. H., McCarthy, M. E. , Klein, R. P., & Yarrow, L. J. (1980). Impact of mode of delivery on father-and mother-infant interaction at 6 and 12 months. Paper presented at the Second International Conference on Infant Studies. New Haven.

Yogman, M. W. (1981). Development of the father - infant relationship. In H. Fitzgerald, B. Lester, & M. W. Yogman (Eds.), Theory and Research in Behavioral Pediatrics. Vol. 1. New York: Plenum.

Yogman, M. W. Dixon S., & tronick E. (1977). The goals and structure of face-to-face interaction between infants and fathers. Paper presented at the biennial meeting of the Society for Research in Child Development, New Orleans.

Zelazo , P. R., Kotelchuck M., Barber, L. , & David, J. (1977). Fathers and sons : An experimental facilitation of attachment behaviors. Paper presented at the biennial meeting of the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.

* * *

الفصل الثاني عشر

تطور العلاقة بين الأب والرضيع

ميخائيل لام

Michael E. Lamb

obeikandl.com

obeikandl.com

شهدت السنوات التى تلت عام ١٩٧٠ قدرًا لا بأس به من البحوث والدراسات التى تتناول تطور العلاقة بين الأب والرضيع ، وهو ما يمثل تغيرًا واضحًا فى الفكر السيكلوجى حيث كان يقوم الطلاب والباحثون الذين يدرسون النمو الاجتماعى للطفل بالتركيز فى السنوات السابقة لهذا التاريخ على مجرد وجود الأب فقط ، ولم يضعوا فى اعتبارهم أن الأب يمكنه أن يلعب دورًا بنائيًا له دلالته ومغزاه فى التنشئة الاجتماعية لأطفاله الرضع والأطفال الأكبر منهم سنًا . وعلى الرغم من أن العديد من المنظرين والباحثين لا يزالون على تغافلهم وتجاهلهم لتلك الإسهامات التى يمكن أن يقدمها الأب فى النمو الاجتماعى الانفعالى للطفل فقد أصبح معروفًا الآن على نطاق أوسع أن غالبية الأطفال الرضع تتم تنشئتهم فى سياق نسق اجتماعى معقد هو الأسرة . ولم يكن عدد الدراسات التى تم إجراؤها من قبل كافيًا كى يسمح لنا بالوصول إلى نتائج قاطعة فى هذا الصدد ، كما أننا لا نزال نفتقر إلى التصور المفاهيمى والإحصائى اللازم لفهم مسارات التأثير المعقدة ومتعددة الاتجاهات التى تعمل داخل الأسرة . وهذا بطبيعة الحال يقيد ويحد من تصورنا وفهمنا لتلك العلاقات التى تنشأ بين كل من الأب والرضيع .

وهناك جانب آخر من جوانب القصور تلك يتمثل - مع بعض الاستثناءات فى الدراسات الأكثر حداثة - فى أن تلك الدراسات التى تناولت سلوك الأب «التقليدى» تجاه الرضيع ومدى تأثيره عليه ، والأب التقليدى هو الذى يتمثل دوره الأساسى فى كسب العيش ، قامت بتحديد كم التواصل بينه وبين الأطفال الرضع . واتضح مع ذلك أن الأعداد المتزايدة من الأطفال الرضع لا يلقون العناية الكاملة من أمهاتهم ، وأنه مع زيادة عدد الأمهات العاملات يزداد احتمال وضرورة انغماس الأب فى حياة هؤلاء الرضع ومشاركته لهم . ولا يوجد هناك سبب واحد يدعونا إلى افتراض أن الأب غير التقليدى يؤثر فى أطفاله بنفس الطريقة التى يؤثر بها الأب التقليدى فى أطفاله ، وهذا بطبيعة الحال يحد من إمكانية تعميم نتائج تلك الدراسات التى تم إجراؤها فى هذا الجانب .

وليس من الصعب أن نقرر السبب الذى دفع بعلماء نفس النمو إلى تجاهل العلاقة بين الأب والطفل لهذه المدة الطويلة فهم يعكسون فى افتراضهم لبروز الأم فى هذا الميدان

تلك المسلمات الثقافية الشائعة التى عززها تقييم مدى إسهام وانغماس الأب فى حياة صغاره من الكائنات غير الإنسانية إذ أوضحت التحاليل التجريبية أن الهرمونات الأنثوية الإستروجين والبرولاكتين والبروجستيرون تعتبر حاسمة بالنسبة للقوارض (Lamb, 1975b; Rosenblatt, 1970) . وأنه يبدو لذلك فيما يتعلق بالثدييات غير الإنسانية أن الذكور يظهرون الحد الأدنى من الانغماس فى حياة الصغار الرضع (e.g. De Vore, 1963) وهو ما يعكس تلك التقارير التى قدمها علماء الأنثروبولوجيا من أن الإناث الآدميات فى كل مكان يضطلعن بمسئولية أساسية فى العناية بالأطفال . ولم يتضح سوى مؤخرًا أن نموذج القوارض هذا لم يعد ينطبق على بنى البشر (e.g. Lamb & Goldberg, 1982) نظرًا لوجود اختلاف كبير بين أنواع الثدييات . أما أعلى درجة من معدل انغماس الأب فى حياة الصغار فتحدث حينما لا تقوم الأم بتقييد صغارها بحمايتها لهم ويقوم البالغون بتكوين روابط دائمة تعتمد على أحادية التزاوج ، وكلها سمات تؤدى بطبيعة الحال إلى التنبؤ بمعدل مرتفع نسبيًا من انغماس الأب الآدمى فى حياة أطفاله (Parke & suomi, 1980; Redican, 1976) .

وعندما بدأ الباحثون فى دراسة العلاقة بين الأب والرضيع بالنسبة للإنسان حاولوا تحديد ما إذا كان يقوم غالبية الرضع بتكوين علاقات مع آبائهم ومتى يقومون بذلك . ونظرًا لأنه اتضح لهم أن معظم الرضع تربطهم فى الواقع علاقات بآبائهم فقد حاول هؤلاء الباحثون تحديد أوجه التشابه والاختلاف بين علاقات الأب مع الرضيع وعلاقات الأم مع الرضيع . وفى نفس الوقت تقريبًا برز موضوعان على درجة كبيرة من الأهمية يتناول أولهما تحليلاً لسلوك الأب فى الشهور الأولى من حياة طفله وهى ما تعرف بالفترة السابقة لتكوين العلاقات ، فى حين يتناول ثانيهما المغزى البنائى أو التكوينى لعلاقة الأب بالرضيع . وأصبح من الواضح أن اهتمام الباحثين بذلك قد غدا أشمل وأكبر من ذى قبل وأكثر تعمقًا وذلك على مدى السنوات التالية . وعلاوة على ذلك فإن اكتشاف العلاقات التى تنشأ بين الأب والرضيع قد جلب معه إدراك أنه يتم تربية الرضع وتنشئتهم فى أنساق اجتماعية معقدة يتضح من خلالها أنه من المحتمل لكل شخص أن يؤثر فى غيره من الأشخاص ، وأنه من المحتمل أيضًا لكل علاقة تنشأ خلال هذا النسق

أو ذاك أن تؤثر فى غيرها من العلاقات . ونتيجة لذلك ازداد الاهتمام بمدى تأثير علاقة الأب بالأم على الرضيع ، وبالعكس أى مدى تأثير الرضيع على علاقة الأب بالأم ، كما ازداد أيضًا الاهتمام بتلك الآثار المحتملة لذلك سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة على نمو الرضيع .

وسوف نتناول خلال الفصل الحالى كلاً من هذه الموضوعات . وسنبدأ بمراجعة مختصرة للدراسات التى تناولت استجابات الأب لأطفاله الرضع فى الشهور الأولى من حياتهم وهو الموضوع الذى قام باركى وتنسلى Parke & Tinsley بتناوله بإسهاب والذى عرضنا له فى الفصل السابق . وسوف نقوم بعد ذلك بتناول تطور العلاقة بين الأب والرضيع مع تقييم لذلك الافتراض الذى يرى أن هناك سلمًا هرميًا لتفضيل الأشخاص الذين تنشأ بينهم وبين الرضيع علاقات والذى يتضح من خلاله تفضيل الرضيع للأم على الأب . أما فى القسم الثالث من هذا الفصل فسوف نعرض لأوجه التشابه والاختلاف بين سلوك كل من الأب والأم تجاه الرضيع كما يتضح من خلال الدراسات التى تناولت هذا الجانب . فى حين ينصب محور اهتمامنا فى القسم الرابع على تلك السمات التى تميز سلوك الأب تجاه الرضيع ، كما نتناول فيه أيضًا أثر الأب على النمو الاجتماعى للرضيع وعلى نمو شخصيته . أما فى القسم الأخير من الفصل الحالى فسوف نعرض لأنماط الآثار غير المباشرة للأب فى هذا الصدد .

حساسية الأب تجاه الرضيع :

أولى علماء نفس النمو اهتمامًا خاصًا لموضوع الحساسية Sensitivity أو مدى الاستجابة لتلك الإشارات التى تصدر عن الرضيع وذلك لعدة عقود . إلا أن الدراسات التى تتناول هذا الموضوع تعتبر دراسات ذات نوعيات مختلفة ، كما أن هذا المفهوم فى حد ذاته قد تم تناوله بعدة أساليب مختلفة . وربما تكون أفضل الصياغات فى هذا الصدد هى تلك التى إرتآها العلماء الذين تناولوا العلاقات بين الجماعات أمثال بولبى (١٩٦٩) Bowlby وإينسورث (١٩٧٣) Ainsworth ولام (١٩٧٨ - ج ، ١٩٨١) Lamb ولام وإيستربروكس (١٩٨١) Lamb & Easterbrooks الذين افترضوا أن الرضيع الإنسانى لديه الاستعداد البيولوجى لإصدار مختلف الإشارات كالصياح والابتسام على سبيل

المثال ، وأن الراشدين لديهم الاستعداد البيولوجى للاستجابة لتلك الإشارات . وعندما يقوم الراشدون بالاستجابة لهذه الإشارات التى تصدر عن الرضيع بشكل ثابت وفورى وبطريقة مناسبة يقوم الرضيع بالتالى بإدراك هؤلاء الراشدين على أنه يمكن التنبؤ بسلوكهم ، وأن سلوكهم هذا يتسم بالثبات ، وهو الإدراك الذى يؤكد على تكوين علاقات آمنة وقوية بين الأب والرضيع كما يرى إينسورث وآخرون (١٩٧٤) Ainsworth, et al. ولام (١٩٨١) Lamb . وعلى النقيض من ذلك نجد أنه عندما لا يقوم الراشدون بالاستجابة للإشارات التى تصدر عن الرضيع بالحساسية المطلوبة تنشأ بينه وبينهم علاقات غير آمنة أو قوية ، أما عندما تندر استجابتهم لتلك الإشارات فإن الرضيع لا يطور أى علاقة معهم على الإطلاق . وبذلك يتضح لنا أن تحديد ما إذا كان الأب يستجيب لطفله الرضيع بالشكل الملائم أم لا يعتبر أمرًا حاسمًا فى هذا الصدد حيث أنه إذا لم يستجب الأب لطفله الرضيع بالشكل الملائم يقل احتمال تكوين أى علاقات بينهما إلى حده الأدنى .

وهناك سبب آخر يرتبط بذلك ويؤكد على أن إجراء البحوث عن حساسية الأب تجاه الرضيع يعتبر أمرًا له أهميته إذ يفترض العديد من المنظرين أمثال كلاوس وتروز وكينيل (١٩٧٥) Klaus, Trause & Kennell أن الاستعداد البيولوجى للاستجابة للإشارات التى تصدر عن الرضيع يكون أقوى لدى الإناث منه لدى الرجال . وهذا فى الواقع يدل على أن الجانب البيولوجى يحد من احتمال قيام الرجال بتأثيرات مباشرة لها مغزاها على نمو الرضيع . إلا أن هذا الافتراض مبنى بدرجة كبيرة على تلك الأدلة التى ترتبط بتأثير الهرمونات على السلوك الوالدى بالنسبة للقوارض ، وقد يكون هذا النموذج الحيوانى غير مناسب فى هذا المقام الحالى (Lamb & Goldberg, 1982) . ومع ذلك فإن الدلائل المختلفة تشير إلى أن مثل هذا الافتراض يستحق منا جل الاهتمام .

وفى واحدة من الدراسات المبكرة التى تقوم على المقابلة يرى جرينبرج وموريس (١٩٧٤) Greenberg & Morris أن غالبية الآباء قد أبهجهم وأسعدهم ميلاد أطفالهم الرضع وقد خبروا بالفعل انفعالات إيجابية قوية أسماها جرينبرج وموريس بالاستحواذ على الفكر أو الانتباه . engrossment وفى أول دراستين من تلك السلسلة من الدراسات

التى قام بإجرائها باركى Parke وزملائه (ParkeO'Leary & West, 1972; Parke & O'Leary, 1976) واللتين عرضنا لهما فى الفصل السابق تمت ملاحظة الآباء والأمهات فى قسم الولادة بالمستشفى وهم يتفاعلون مع مواليدهم الجدد ؛ وعلى النقيض من تلك المفاهيم الخاطئة الشائعة بين الناس لم يكن الآباء غير بارعين فى تفاعلهم مع مواليدهم الجدد ولا غير مهتمين بذلك . فقد أظهرت جميع المقاييس المستخدمة فى الواقع باستثناء اثنين منها أن الآباء والأمهات كانوا يتساوون فى انغماسهم فى التفاعل مع مواليدهم الجدد . وبملاحظة كل من الوالدين على حدة فى تفاعله مع الوليد الجديد ثم ملاحظته مرة أخرى وهو يتفاعل مع ذلك الوليد فى وجود الوالد الآخر وجد باركى وزملاؤه أن الآباء كانوا أكثر تفاعلاً بعض الشئ مع مواليدهم الجدد فى وجود زوجاتهم قياسًا بتفاعلهم مع هؤلاء المواليد حينما لم تكن زوجاتهم موجودات معهم . ومن الصعب أن نجد تفسيرًا لذلك خاصة وأن العديد من الدراسات الأخرى التى تناولت الوالدين وأطفال تتراوح أعمارهم بين أربعة أشهر حتى سن المدرسة قد أظهرت أن الوالدين يكونان أقل تفاعلاً مع الأطفال فى المواقف الثلاثية أى التى تضم الأب والأم والطفل قياسًا بالمواقف الثنائية أى التى تضم أحد الوالدين فقط والطفل (Lamb, 1979) .

ولم يول باركى Parke فى دراساته التالية اهتمامًا للأسلوب الودود الذى يسلك به الآباء تجاه أطفالهم الرضع فحسب ، بل أولى اهتمامه أيضًا إلى استجاباتهم السلوكية أو حساسيتهم ، أى بميلهم الطبيعى أو نزوعهم للإصغاء إلى تلك الإشارات التى تصدر عن أطفالهم الرضع والاهتمام بها وإصدار ما يناسبها من استجابات . وقد وجد فيليبس وباركى Phillips & Parke مثل ما وجد جليزون (١٩٧٥) Gleason وبالاونت وبادجوج (١٩٧٦) Blount & Padgug وكوفمان (١٩٧٧) Kauffman وجولينكوف وأميز (١٩٧٩) Golinkoff & Ames أن الآباء قد قاموا كالأمهات بعمل التوافقات اللازمة فى أنماط حديثهم للرضع عند تفاعلهم معهم فتحدثوا إليهم ببطء أكثر واستخدموا عبارات أقصر ، وقاموا بتكرار كلامهم معهم قياسًا بما يفعلونه عند تفاعلهم مع الراشدين . وعند ملاحظتهم فى مواقف إرضاع الأطفال كان كل من الآباء والأمهات يستجيبون للإشارات التى تصدر عن الرضيع إما عن طريق إظهار التفاعل الاجتماعى

معه أو بتغيير معدل سرعة إرضاعهم له (Parke, & Sawin, 1977) . وعلى الرغم من أنه كان بإمكان الآباء إظهار حساسيتهم للرضع فى سلوكهم وتصرفاتهم تجاههم فقد مالوا إلى ترك مسئولية القيام بأنشطة العناية بالأطفال لزوجاتهم حينما لم يطلب منهم القائمون بمقابلتهم إظهار مدى كفاءتهم فى القيام بذلك .

وقد قام كل من فيلدمان وناش Feldman & Nash من ناحية وفرودى ولام Frodi & Lamb من ناحية أخرى بإتباع أساليب وطرق بديلة لدراسة مدى الاستجابية الوالدية للإشارات التى تصدر عن الرضيع . فلاحظ فيلدمان وناش (١٩٧٧ ، ١٩٧٨ ، ١٩٨١) Feldman & Nash وفيلدمان وآخرون (١٩٧٧) ,.Feldman, et al الآباء بمفردهم وهم يجلسون فى غرفة انتظار يوجد بها طفل مع أمه ، وتمت بالتالى ملاحظة كلا الوالدين وهما يتفاعلان مع الطفل وذلك بواسطة باحثين غير ظاهرين لهما . وأوضحت تلك الدراسات أن الفروق بين الجنسين فى مدى استجابيتهم للرضع تزداد وتتقلص اعتمادًا على عمر الوالد ووضعه الاجتماعى ، وأن الإناث كن أكثر استجابية من الذكور فى مرحلة المراهقة المبكرة وفى الفترة الأولى التى يصبحن فيها أمهات ، فى حين لم توجد أى فروق دالة بين الجنسين وذلك بين الأطفال الذين تبلغ أعمارهم ثمانى سنوات، أو بين الأزواج الذين ليس لديهم أطفال ، أو بين طلاب الجامعة غير المتزوجين . وانتهى فيلدمان وناش Feldman & Nash إلى أن الخبرة وليس الجانب البيولوجى هى المسئولة عن تحديد الفروق بين الجنسين فى مدى استجابيتهم للأطفال الرضع ، ويصبح ذلك أكثر وضوحًا عندما يقع الأفراد تحت ضغط اجتماعى متزايد للاستجابة للرضع بطريقة تتسم بالتنميط الجنسى التقليدى . كما أوضحت النتائج أيضًا أنه عند الاستجابة لضغوط اجتماعية مفترضة تكون الأمهات أكثر استجابية لها من الآباء .

وعلى العكس من ذلك فلم توضح تلك الدراسات التى أجراها فرودى ولام Frodi & Lamb أى فروق بين الجنسين فى استجابيتهم للأطفال الرضع . ففى أول دراستين لهما أجرياهما مع غيرهما من الباحثين عام ١٩٧٨ ، اشترك فى الأولى معهما ليفيت ودونوفان Leavitt & Donovan واشترك إلى جانبهم الأربعة فى الثانية نيف وشيرى Neff & Sherry كانت الاستجابات النفسية الفسيولوجية كنبض القلب وضغط الدم

والتوصيل الكهربائى للجلد من جانب الأمهات والآباء قد تمت مراقبتها بواسطة جهاز مونيتور فى الوقت الذى كان يقوم فيه الآباء بملاحظة أطفالهم الرضع فى حالة سكونهم أو ابتسامهم أو صياحهم وذلك على جهاز مونيتور آخر للتليفزيون . وأوضح الآباء والأمهات صدور أنماط استجابات فسيولوجية معينة ومتميزة من جانبهم للأطفال الرضع دائمى الصياح والابتسام . ولم يتوصل فرودى ولام (١٩٧٨) Frodi & Lamb إلى وجود أى فروق بين الجنسين فى الاستجابات الفسيولوجية سواء بين الأطفال الذين يبلغون الثامنة من أعمارهم أو بين أولئك الذين يبلغون الرابعة عشرة ، فى حين كانت البنات اللائى تبلغن الرابعة عشرة يتفوقن على البنين فى استجاباتهن السلوكية فيما يتعلق بموقف غرفة الانتظار المشابه لذلك الموقف الذى استخدمه فيلدمان Feldman . واتفاقًا مع فيلدمان وناش Feldman & Nash يرى فرودى ولام Frodi & Lamb أنه لا يوجد أساس بيولوجى للفروق بين الجنسين فى مدى استجابتهم للأطفال الرضع ، وأن الازدواج السلوكى لا يظهر إلا كاستجابة للضغوط والتوقعات المجتمعية .

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج الدراسات المتاحة حاليًا والتى أمكن الحصول عليها . وعلى الرغم من تلك الحقيقة القائلة بأن الرجال يتساوون مع النساء فى استجاباتهم للرضع فإن هذا لا يعنى إطلاقًا أن استجابة كل منهما تساوى استجابة الآخر بشكل يكاد يكون صورة طبق الأصل ، فالآباء لا يتسمون دائمًا بارتفاع معدل استجابتهم للأطفال الرضع ، وقد تختلف استجابتهم اعتمادًا على درجة تحملهم لمسئولية العناية بهؤلاء الرضع إذ أن خبرة العناية بالأطفال هذه يبدو أنها تسهل من حدوث الاستجابة الوالدية وتساعد عليها (Zelazo, et al., 1977) . وعلى الرغم من ذلك فإن العديد من الآباء يتسمون بمعدل كاف من الاستجابة لأطفالهم الرضع وذلك بدرجة تكفى لتكوين العلاقات بينهم شريطة أن يحدث قدر كاف من التفاعل بين الأب والرضيع .

مدى التفاعل بين الأب والرضيع :

حاول العديد من الباحثين تحديد كم الوقت الذى يقضيه الأب العادى مع طفله الرضيع . وكما كنا نتوقع تختلف التقديرات التى تتم فى سبيل ذلك بدرجة كبيرة حتى عندما نتناول التراكيب الأسرية التقليدية التى تقوم فيها الأم طوال الوقت بمسئولية

أساسية فى العناية بالأطفال ، أما الأب فيكون شغله الشاغل هو كسب العيش . ففى واحدة من الدراسات المبكرة فى هذا الجانب هى تلك التى أجراها بيدرسين وروبسون (١٩٦٩) Pedersen & Robson اتضح من خلال التقارير التى أوردتها الأمهات أن آباء الأطفال الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانية أشهر وتسعة أشهر ونصف كانوا يتواجدون بالمنزل ما بين خمس ساعات إلى سبع وأربعين ساعة أسبوعيًا وذلك فى الأوقات التى كان فيها هؤلاء الرضع متيقظين . وكان متوسط المدة التى يقضيها الأب بالمنزل هو ست وعشرون ساعة . كذلك فإن الأب كما اتضح من خلال تلك التقارير كان يقضى ما بين خمس وأربعين دقيقة إلى ست وعشرين ساعة أسبوعيًا فى تفاعل حقيقى مع أطفاله الرضع . ومن خلال المقابلات التى أجريت مع والدى الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ستة أشهر وواحد وعشرين شهرًا يرى كوتيلشوك (١٩٧٥) Kotelchuck أن الأمهات كن يقضين ما متوسطه تسع ساعات يقظة يوميًا مع أطفالهن ، فى حين كان الآباء يقضون ٣,٢ ساعة يوميًا فقط . أما الآباء والأمهات الذين قام جولينكوف وأميز (١٩٧٩) Golinkoff & Ames بمقابلتهم فقد قرروا أن الأمهات تقضين ٨,٣٣ ساعة يوميًا مع الأطفال وأن الآباء يقضون ٣,١٦ ساعة فقط . وعلى العكس من ذلك فقد قرر الآباء الذين قام لويس ووينروب (١٩٧٤) Lewis & Weinraub بمقابلتهم أن الوقت الذى يقضونه مع أطفالهم يقل عن ذلك بكثير جدًا حيث كان متوسط الوقت الذى يقضونه معهم يوميًا يتراوح بين ربع إلى ثلث ساعة . ومن المحتمل أن يرجع الاختلاف بين هذه التقديرات إلى الفروق الاقتصادية والاجتماعية والفروق الثقافية بين أفراد العينات التى تمت ملاحظتها فى هذه الدراسات . كما أنها قد تختلف أيضًا اعتمادًا على كم التشجيع والتأييد الذى يتلقاه الآباء إذ وجد لينـد (١٩٧٤) Lind على سبيل المثال أن الآباء السويديين الذين تم تدريبهم على العناية بمواليدهم الجدد ، وتم تشجيعهم على القيام بذلك كانوا أكثر انغماسًا فى حياة أطفالهم الرضع بعد ميلادهم بثلاثة أشهر . وترى مارتون ومينـد (١٩٨٠) Marton & Minde أنه عندما كان المواليد لا يزالون محجوزين بالمستشفى بسبب ولادتهم المبتسرة كان معدل زيارة الأب لهم يتساوى مع معدل زيارة الأم لهم ، وهو ما يدل على وجود رغبة لدى كل منهما فى التفاعل مع هؤلاء المواليد الجدد . وأخيرًا نلاحظ أنه من المهم بالنسبة لنا أن نميز بين الوقت الذي يقضيه الأب فى المنزل

والوقت الذى يقضيه فى التفاعل الحقيقى مع طفله إذ كانت الأمهات والأطفال الذين قامت كلارك - ستيوارت (١٩٧٣) Clarck - Stewart بملاحظتهم يقضون تسعين فى المائة من الوقت المخصص لجلسات الملاحظة فى نفس الغرفة ، إلا أنهم كانوا يقضون ما بين ١٠٪ - ١٥٪ فقط من هذا الوقت فى تفاعل مع بعضهما البعض .

ويتفق غالبية الباحثين على أن الأب التقليدى يقضى وقتًا قليلاً نسبيًا كل يوم فى تفاعل مع طفله الرضيع وذلك بغض النظر عن الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها . إلا أنه وعلى الرغم من أن الكثير من المنظرين يعتقدون أنه يجب أن يكون هناك على الأقل حد أدنى للتفاعل العادى بين الأب والرضيع وأن هذا الحد الأدنى للتفاعل يعتبر ضروريًا لتكوين الارتباط بين الأب والرضيع فلم يقم أى منهم بتحديد الحد الأدنى من الوقت الذى يلزم لذلك . ومن غير المحتمل أن يكون مثل هذا التقدير ممكنًا على الدوام إذا ما وضعنا فى اعتبارنا تلك الحقيقة التى ترى أن نوعية أو كيف التفاعل بين الأب والرضيع يبدو أنه على درجة من الأهمية أكبر من كم هذا التفاعل (e.g. Schaffer & Emerson, 1964) .

وعلاوة على ذلك فإن الدراسة التى أجراها شافر (١٩٦٣) Schaffer على الأطفال الرضع المحجوزين بالمستشفى قد كشفت عن أن كم وكيف التفاعل الاجتماعى بوجه عام قد يسهل من تكوين الروابط مع الآخرين بدلاً من تأثيره على مصادر الإثارة اللازمة لذلك . ومع هذا فمن المتصور أن كيف التفاعل بين الأم والرضيع قد يسهل من تكوين الارتباط بين الأب والرضيع ، كما قد يؤثر أيضًا على كم التفاعل اللازم لتكوين مثل هذا الارتباط . ويمكننا أن نقرر على أساس من الأدلة التى سنعرض لها فى القسم التالى من هذا الفصل أنه يجب أن يتوفر لغالبية الأطفال الرضع قدر كاف من هذا «الكيف» الخاص بالتفاعل مع آبائهم نظرًا لأن غالبية هؤلاء الرضع يصبحون على ارتباط بآبائهم .

تطور التعلق والارتباط بين الأب والرضيع :

يمثل تشجيع الباحثين على دراسة التعلق والارتباط بين الأب والرضيع تحولاً أساسيًا فى التوجه النظرى السائد فى هذا المجال إذ كان مفترضًا قبل نهايات العقد السادس من القرن الماضى أن الرضع يقومون بتكوين الارتباط فقط مع أولئك الذين

ينغمسون فى العناية بهم بدنيًا ، إلا أن النتائج التى توصل إليها هارلو (١٩٥٨) Harlow والتحول العام عن نظريات الدوافع الثانوية (e.g. Hinde, 1960) يمثل تحولاً من التركيز على العناية بالرضع إلى التركيز على كم وكيف الإثارة الاجتماعية التى تتوفر لهم (Rheingold, 1956; Berlyne, 1969; Welker, 1971) . وقد بقى هذا التركيز من جانب الباحثين على تلك الإثارة سائدًا ، وكان العديد من المنظرين فى غضون المحاولات التى تمت فى سبيل تحديد ما يمثل تفاعلاً جيدًا يدورون حول فكرة الحساسية الوالدية تجاه الرضيع التى عرضنا لها من قبل ، كما كانوا يلتفون حول نفس الفكرة أيضًا (Lamb & Easterbrooks, 1981) . وفى الواقع لم يكن كل المنظرين يشاركوننا آراءنا حول طبيعة الحساسية الوالدية تجاه الرضيع ومغزاها ، إلا أن معظمهم كانوا يوافقون على أن مجرد كم التفاعل مع الرضيع يعتبر أقل فى مغزاه من كيف هذا التفاعل .

ومن الجدير بالذكر أن شافر وأميرسون Schaffer & Emerson قد قاما فى عام ١٩٦٤ بأول محاولة إمبيريقية لتحديد ما إذا كان الأطفال الرضع يقومون بتكوين ارتباطات مع آبائهم ومتى يتم ذلك على الرغم من أن هذين الباحثين قد اعتمدا فقط فى ذلك على التقارير الواردة من الأمهات . وقد قررت هؤلاء الأمهات أن أطفالهن الرضع قد بدأوا فى الاحتجاج على الانفصال عنهن عندما كانت أعمارهم تتراوح بين سبعة إلى تسعة شهور ، كما أن معظم هؤلاء الأمهات قد قررن أيضًا أن أطفالهن قد احتجوا على انفصالهم عن آبائهم وهم فى نفس هذه الأعمار تقريبًا . وفى حوالى الشهر الثامن عشر من أعمارهم كان ٧١٪ من الأطفال الرضع الممثلين لعينة الدارسة قد قاموا بتكوين ارتباطًا بكلا والديهم حيث أظهروا احتجاجًا على انفصالهم عن الوالدين . وطبقًا لما يراه كل من شافر وأميرسون (١٩٦٤) Schaffer & Emerson فقد قام الأطفال الرضع بتكوين ارتباطات مع أولئك الذين كانوا يتفاعلون معهم بانتظام فى حين بدا أن الانغماس فى أنشطة العناية بهم لم يكن ذا دلالة فى هذا الصدد .

ومن ناحية أخرى فقد اعتمد بيدرسين وروبسون (١٩٦٩) Pedersen & Robson أيضًا على تقارير الأمهات على الرغم من أنهما كانا يركزان فى دراستهما التى نحن بصدد الحديث عنها الآن على الاستجابات المتعلقة بإعادة الاتحاد مع الوالد من جديد بعد

الانفصال عنه بدلاً من الاحتجاج الذى يتعلق ببداية الانفصال عنه . وقد قررت غالبية الأمهات وبلغت نسبتهن ٧٥٪ من إجمالى عدد الأمهات الممثلين لعينة الدراسة أن أطفالهن كانوا يبدون استجابة إيجابية وحماسية عندما كان آباؤهم يعودون من عملهم . وقد أدى هذا بكلا الباحثين إلى تقرير أن هؤلاء الرضع كانوا مرتبطين بآبائهم . كما لاحظا أيضًا أن مقدار السلوك الدال على التحية والترحيب بالأب عند رؤيته من جانب البنين الرضع وقوته كان يرتبط بتكرار قيام الأب بالعناية بهم ، وبصبره على ما يسببونه له من ضوضاء وإزعاج ، وبمقدار لعبه معهم . أما بالنسبة للبنات الرضيعات فقد كان مقدار السلوك الدال على التحية والترحيب بالأب من جانبهن وقوته يرتبط فقط بالتقارير الواردة عن إدراك الأب لرفاهيتهن أو سعادتهن .

ومن الملاحظ أن الداراسات التى تقوم على ملاحظة الارتباط بين الأب وطفله الرضيع قد بدأت فى عقد السبعينات وهو العقد الذى تميز بالتحول الكبير فى الدراسات من إجراء المقابلات إلى القيام بالملاحظة الدقيقة كمصدر أساسى للبيانات . فقام كوتيلشوك (١٩٧٢) Kotelchuck فى دراسته للحصول على الدكتوراة بتطوير إجراء تجريبى يسمح له بملاحظة ردود الفعل من جانب الأطفال الرضع الذين يبلغون الشهر السادس من أعمارهم وأقرانهم الذين يبلغون الشهر التاسع ، والشهر الثانى عشر ، والشهر الخامس عشر ، والشهر الثامن عشر ، والشهر الحادى والعشرين من أعمارهم لانفصالهم لمدة قصيرة عن أمهاتهم ، فى مقابل انفصالهم عن آبائهم لنفس المدة ، وانفصالهم عن الغرباء لنفس المدة أيضًا .

وعلى الرغم من أنه لم يتمكن من الحصول على أى بيانات يمكن الاستفادة بها من الرضع الذين يبلغون الشهر السادس والشهر التاسع من أعمارهم ، وربما يرجع ذلك إلى أن استمرار فترات الملاحظة الثلاث عشرة والتى دامت كل منها ثلاث دقائق كان يسبب لهم الإرباك والإنهاك ، فقد اتضح مع ذلك أن الرضع الأكبر سنًا كانوا مرتبطين بكلا الوالدين . وقد أظهروا احتجاجًا كما كان متوقعًا عندما كان يتركهم أى من الوالدين بمفردهم ، وكانوا يقومون بالبحث بعض الشئ عن ذلك الوالد الذى تركهم ويقومون بإظهار التحية له والترحيب به بشكل إيجابى عندما يعود إليهم . فى حين أظهر عدد قليل

من هؤلاء الأطفال الرضع احتجاجًا على انفصالهم عن أى من الوالدين عندما كان الوالد الآخر لا يزال موجودًا معهم . وكان غالبية هؤلاء الرضع وبلغت نسبتهم ٥٥٪ من إجمالى عددهم الكلى يظهرون احتجاجًا على انفصالهم عن أمهاتهم ، وبالتالى كانوا يفضلونهن ، فى حين أبدى ٢٥٪ منهم تفضيلاً لآبائهم ، ولم يبد ٢٠٪ منهم تفضيلاً لأى من الوالدين .

وقد قام كوتيلشوك Kotelchuck وزملاؤه بإجراء سلسلة من الدراسات (١٩٧٣، ١٩٧٤، ١٩٧٥، ١٩٧٧) مستخدمين نفس الإجراء التجريبى الذى استخدمه فى دراسته للدكتوراه والذى أشرنا إليه سابقًا . وأكدت نتائج هذه الدراسة تلك النتائج التى توصل إليها من قبل . وإضافة إلى ذلك فقد توصل سبيلك وآخرون (١٩٧٣) Spelke, et al. إلى نفس النتيجة التى توصل إليها كوتيلشوك (١٩٧٢) Kotelchuck من أن هناك علاقة بين كم الاحتجاج على الانفصال الذى يصدر عن الرضيع نتيجة لانفصاله عن أبيه وبين درجة انغماس الأب فى أنشطة العناية بهذا الرضيع . ومع ذلك فقد أظهر بعض الأطفال الرضع أقل قدرًا من الاحتجاج على انفصالهم عن آبائهم الذين كانوا ينغمسون بدرجة كبيرة فى أنشطة العناية بهم وهو ما لم يكن متوقعًا . ومن ناحية أخرى فقد أدت أيضًا زيادة انغماس الأب فى أنشطة العناية بالرضيع إلى تأخير بداية الاحتجاج على الانفصال من جانب الرضيع . كما أوضحت النتائج أيضًا أن الأطفال الأمريكيين الرضع الذين يتصف آباؤهم بدرجة عالية من التفاعل معهم قد احتجوا بشدة على انفصالهم عن كلا الوالدين عندما كانوا فى الشهر الخامس عشر والشهر الثامن عشر من أعمارهم (Spelke, et al., 1973). أما أطفال جواتيمالا الرضع الذين كان يندر تفاعلهم مع آبائهم فقد أظهروا احتجاجًا على انفصالهم عن آبائهم فى الشهر التاسع من أعمارهم (Lester, et al., 1974) .

وبوجه عام فقط أظهرت البيانات التى قام كوتيلشوك Kotelchuck وزملاؤه بجمعها أن الأطفال الرضع الذين خبروا كمًا كبيرًا من التفاعل مع آبائهم قد بدأوا فى الاحتجاج على انفصالهم عنهم فى وقت متأخر عن أولئك الذين لم يكن آباؤهم ينغمسون فى أنشطة العناية بهم ، وأن الشكل الذى ظهر به احتجاجهم على الانفصال عن آبائهم كان يدوم لفترة أقصر عندما كان انغماس الأب فى أنشطة العناية بهم يزداد. ومع ذلك فلا يزال ما تعنيه هذه البيانات غير واضح حيث تكشف الطبيعة

المتماثلة للارتباط بين مقاييس احتجاج الرضع على الانفصال عن الوالد ومقاييس الانغماس فى أنشطة العناية بالرضع من جانب الوالد عن أن شدة الاحتجاج قد لا تكون مقياسًا جيدًا لشدة الارتباط بين الوالد والرضيع . ومما يقوى هذا التفسير أن هناك حقيقة تؤكد أن مقاييس الاحتجاج على الانفصال هذه قد تفشل فى الكشف عن أى فروق يمكن أن تكشف عنها العديد من المقاييس الخاصة بحساسية الوالد تجاه الرضيع (e.g. Stayton, et al. 1973; Cohen & Campos, 1974) .

ومن ناحية ثانية فقد كشفت المقاييس الأخرى التى استخدمها كوتيلشوك Kotelchuck عن نتائج أمكن تفسيرها بدرجة كبيرة ، فأوضحت أن انخفاض معدل انغماس الأب فى أنشطة العناية بالرضيع يرتبط بانخفاض معدل التفاعل بينه وبين الرضيع والبحث عن التقارب المكانى منه فى المعمل من جانب الرضيع . ويرى زيلازو وآخرون (١٩٧٧) Zelazo, et al. أنه عندما يزداد معدل انغماس الأب فى أنشطة العناية بالرضيع فى المنزل تحدث زيادة مماثلة فى كم التفاعل بينه وبين الرضيع فى المعمل . أما مقاييس الاحتجاج على الانفصال عن الوالد فلم تكشف عن وجود فروق دالة فى هذا الصدد .

وكما فعل كوتيلشوك Kotelchuck وزملاؤه قام كوهين وكامبوس (١٩٧٤) Cohen & Campos بملاحظة استجابات الأطفال الرضع للانفصال لفترات قصيرة عن كل من والديهم على حدة ، كما قاموا أيضًا بتسجيل ودراسة ميول الأطفال الرضع ونزعاتهم الطبيعية للبحث عن الراحة عند الشخص الذى يبقى معهم بالمعمل سواء كان هذا الشخص هو الأب أو الأم أو حتى أحد الغرباء . ولم يميز الحزن الذى يبديه الرضيع نتيجة الانفصال الذى يتعرض له بين الأب والأم ، فى حين أظهر هؤلاء الرضع الذين يبلغون الشهر العاشر والشهر الثالث عشر والشهر السادس عشر من أعمارهم على مقاييس كتكرار التقرب من الوالد ، وسرعته ، ووقت التقارب ، واستخدام الوالد كقاعدة الأمان التى ينطلق الرضيع منها فى تفاعله مع الشخص الغريب تفضيلاً للأم على الأب ، إضافة إلى إظهارهم لتفضيلات واضحة للأب على الشخص الغريب . وتتعارض مثل هذه النتيجة مع ما توصل إليه فيلدمان وإنجهام (١٩٧٥) Feldman & Ingham ومع ما توصل إليه ويلمسين وآخرون (١٩٧٤) Willemsen, et al. حيث لم تكشف

هاتان الدراستان الأخيرتان عن أى تفضيل من جانب الرضع لأى من الوالدين . ولم يجد لام (١٩٧٦ - ج) Lamb أيضًا فى دراسته للأطفال الذين يبلغون الثانية من أعمارهم أى تفضيل من جانبهم لأى من والديهم وذلك على مقاييس الاحتجاج على الانفصال عن الوالد والسلوك الترحيبى .

وبدلاً من استخدام نموذج الانفصال عن الوالد وإعادة الاتصال معه من جديد Separation - reunion قام لويس Lewis وزملاؤه (١٩٧١، ١٩٧٢، ١٩٧٤) بملاحظة مجموعة من الأطفال الرضع يبلغون عامًا من أعمارهم ومجموعة أخرى يبلغ عمر أفرادها عامين وذلك خلال جلسات اللعب الحر التى تستمر كل منها لمدة خمس عشرة دقيقة بحيث يقضى الأطفال كل جلسة مع أحد الوالدين . وكشفت هذه السلسلة من الدراسات عن أن الأطفال الذين يبلغون عامًا من أعمارهم يقومون بلمس أمهاتهم ، والبقاء بالقرب منهن ، والتحدث إليهن وذلك بشكل يفوق ما يفعلونه مع آبائهم ، فى حين لم تتضح أى تفضيلات يمكن المقارنة بينها بالنسبة للأطفال الذين يبلغون العام الثانى من أعمارهم .

وقد بدا فى منتصف السبعينات تقريبًا دليل ظاهرى على أن الأطفال يطورون من ارتباطهم بآبائهم خلال مرحلة المهد ، ومع ذلك فلا يزال السن الذى يقومون عنده بتكوين مثل هذه الارتباطات غير معروف على وجه التحديد حيث لا توجد أى بيانات متاحة تتعلق بالمرحلة العمرية التى تتراوح بين ستة إلى تسعة أشهر من العمر والتى يقوم الرضع خلالها بتكوين ارتباطات مع أمهاتهم (Bowlby, 1969) . كذلك فلا يزال هناك خلاف يتعلق بوجود تفضيلات من جانب الأطفال الرضع لأمهاتهم على آبائهم إذ كشفت بعض الدراسات عن وجود مثل هذه التفضيلات فى حين كشفت دراسات أخرى عن عدم وجودها . كما أنه لا توجد بيانات متاحة تتعلق بالتفاعل بين الأب والرضيع فى البيئة المنزلية غير المتماسكة بدلاً مما هو متاح حاليًا عن مثل هذا التفاعل بينهما فى المعمل .

وقد قمنا فى هذا السياق بإجراء دراسة طبيعية طولية فى عام ١٩٧٤ عن الارتباط بين الأم والرضيع ومثيله بين الأب والرضيع . وكشفت الملاحظات المنزلية التى استمرت لفترة طويلة أن الأطفال الرضع الذين يبلغون الشهر السابع من أعمارهم والذين يبلغون

الشهر الثامن ، والذين يبلغون الشهر الثانى عشر ، والذى يبلغون الشهر الثالث عشر من أعمارهم لم يظهروا تفضيلاً لأى من الوالدين على الآخر وذلك على مقاييس التعلق والسلوك الارتباطى ، وهى تلك المقاييس التى تتناول ميل الرضيع أو نزعته الطبيعية للبقاء بالقرب من أشخاص راشدين بعينهم ، وأن يلفت انتباههم ويتقرب إليهم ، ويقوم بلمسهم ، والصياح لهم ، ويطلب منهم أن يقوموا بحمله . فى حين كشفت هذه المقاييس عن وجود تفضيلات من جانب هؤلاء الرضع لوالديهم على شخص راشد غير مألوف نسبيًا لهم (Lamb, 1976b, 1977c) . ولم تكشف مقاييس الاحتجاج على الانفصال عن الوالد ومقاييس السلوك الترحيبى عن أى تفضيل من جانب هؤلاء الرضع لأى من والديهم (Lamb, 1976b) . ومع هذا فقد تغير الموقف خلال العام الثانى من حياة هؤلاء الرضع إذ بدأ البنون فى إظهار تفضيلات دالة لآبائهم على مقاييس التعلق والسلوك الارتباطى ، فى حين لم تظهر البنات كمجموعة أى تفضيل دال أو ثابت لأى من الوالدين (Lamb, 1977a) . وفى نهاية العام الثانى أظهر ثمانية أولاد من إجمالى عدد البنين الذى كان يبلغ تسعة أظهروا تفضيلات ثابتة لآبائهم وذلك على أربعة من مقاييس التعلق والسلوك الارتباطى الخمسة التى تم استخدامها (Lamb, 1977b) .

وتوضح نتائج هذه الدراسة الطولية أن غالبية الأطفال الرضع قد قاموا بتكوين ارتباطات مع كلا الوالدين فى نفس الوقت تقريبًا ، وأنه فى نهاية العام الثانى من العمر فضل البنون التفاعل مع آبائهم . وبتدقيق النظر فى هذه النتائج يتضح أنها تختلف مع ما يراه باولبى (١٩٦٩) Bowlby من وجود سلم متدرج للتفضيل بين الأشخاص الذين يقيم الرضيع معهم ارتباطات ، وأن الشخص الذى يعتبر هو القائم الأساسى على العناية بالرضيع يكون عادة هو الشخص المفضل من جانب هذا الرضيع ليقيم معه الارتباطات . ومع هذا فلم تكن البيانات التى قمنا بجمعها مناسبة فى الواقع لاختبار صحة هذا الفرض . إلا أنه وطبقًا لنظرية التعلق فإن التفضيل بين الأشخاص الذين يقيم معهم الرضيع ارتباطات قد لا يكون واضحًا فى مواقف التوتر أو تلك التى لا تفرض فيها أى قيود عليه حيث لا يكون الرضيع فى حاجة للحصول على العون والمساعدة من الأشخاص الذين يقيم معهم ارتباطات أو أنه لا يكون فى حاجة إلى حمايتهم . وفى ظل

التوتر الذى يتعرض له الرضيع فإنه يتجنب التواد إلى أى أشخاص غير أولئك الذين يقيمون معه ارتباطات ، كما يقوم بتركيز سلوكه الارتباطى وحصره أو تضييق نطاقه على أولئك الأشخاص الذين يقيمون معه ارتباطات أولية .

وفى الواقع فقد تمت أيضًا ملاحظة الأطفال الرضع الذين كانوا يمثلون عينة الدراسة الطولية التى قمنا بإجرائها وهم فى المعمل وذلك فى مواقف تتسم بدرجة كبيرة من التوتر عندما كانوا يبلغون ثمانية أشهر من العمر ، ثم اثنى عشر شهرًا ، ثم ثمانية عشر شهرًا (Lamb, 1976, a, d, f) فكانت نتائج ملاحظتهم فى الشهر الثانى عشر والشهر الثامن عشر نتائج قاطعة ، كما كانت تتفق مع ما يراه باولبى Bowlby أما فى مواقف التوتر وتلك التى لا تفرض فيها على الرضيع أى قيود فكان سلوك الرضع خلالها يتشابه بدرجة كبيرة مع سلوكهم فى المنزل ، ولم تظهر مقاييس التعلق والسلوك الارتباطى أى تفضيل دال من جانبهم لأى من والديهم على الرغم من وجود قدر كبير من التفاعل مع آبائهم يدل على التواد . وعندما كان هؤلاء الرضع يتعرضون لأى موقف من مواقف التوتر كان معدل تكرار سلوكهم الارتباطى يزداد ، كما كانوا يقومون بتنظيم سلوكهم حول الوالد الذى يكون موجودًا أمامهم فى ذلك الوقت وذلك بطريقة متشابهة سواء كان هذا الوالد هو الأب أو الأم . أما عندما يتواجد كلا الوالدين أمامهم فى نفس الوقت فإنهم كانوا يفضلون اللجوء إلى أمهاتهم (Lamb, 1976a, 1976f) . ولكنهم مع ذلك لم يظهروا تفضيلاً لأى من الوالدين فى سن ثمانية أشهر (Lamb, 1976d) وهو نفس ما فعلته عينة من الرضع يبلغ عمر أفرادها أربعة وعشرين شهرًا من العمر (Lamb, 1976c) . ولم يتضح وجود سلم للتفضيل بين الأشخاص الذين يرتبط الرضع بهم فى واقع الأمر إلا خلال فترة قصيرة نسبيًا . ومع هذا فقد أظهر البنون أيضًا تفضيلاً قويًا لآبائهم أثناء وجودهم بالمنزل خلال الفترة التى فضلوا فيها اللجوء إلى الأم عندما كانوا يتعرضون لموقف من مواقف التوتر . وهذا يدل على أن الأم لا تزال تمثل أهم وأكثر مصادر العون والراحة والأمان التى يعول عليها الرضيع حتى عندما يصبح الأب بمثابة الشريك الذى يرغب ذلك الرضيع كثيرًا فى التفاعل معه أثناء اللعب .

ومن الملاحظ أن تأثير مواقف التوتر التى يتعرض لها الأطفال الرضع على إظهارهم للتفضيلات المختلفة قد يساعدنا فى تفسير بعض الاختلافات فى نتائج كثير من الدراسات التى عرضنا لها من قبل ، فالأمهات اللائى تعتبرن هن القائمات أساسًا على العناية بالرضع يصبحن بمثابة الأشخاص الذين يقيم معهم معظم الرضع الارتباطات الأولية أو الأساسية ، إلا أن تفضيلهم لهن قد لا يكون ظاهرًا إذا لم يتعرض هؤلاء الرضع لموقف من مواقف التوتر . ومن الأقل احتمالاً بالنسبة لتلك الدراسات التى لا يتعرض فيها الرضع لموقف من مواقف التوتر أو لا يستطيعون فيها الاختيار بين أحد الوالدين حينما يتعرضون لأحد مواقف التوتر أن تكشف النقاب عن تلك التفضيلات التى يبديها هؤلاء الرضع لأحد الوالدين وذلك قياسًا بالدراسات التى يستطيعون فيها حال تعرضهم لموقف من مواقف التوتر أن يختاروا بين أحد المصدرين الأساسيين للعون والراحة والأمان أى بين الوالدين .

ومن ناحية أخرى فإن نتائج الدراسات التى تتناول تطور التعلق من جانب الأطفال الرضع بوالديهم وتفضيلاتهم الوالدية تؤكد على العديد من الأمور المنهجية الهامة التى تتعلق بتقييم العلاقات الاجتماعية . فعن طريق إتباع خطوات باولبى (١٩٦٩) Bowlby يمكننا أن نتبين وجود فروق بين أنماط السلوك الدالة على التواد affiliative كالابتسام والتحدث إلى شخص مثل آخر مثلاً وبين أنماط السلوك الارتباطى الدالة على التعلق كالصياح وطلب الطفل أن يحمله شخص ما . فتظهر الأولى فى مواقف التفاعل الودود مع الأفراد سواء كان الرضيع يرتبط بهم أم لا ، بينما نجد أن الثانية والتى تستخدم بشكل مباشر فى دعم التقارب المكانى بين الرضيع وغيره من الأشخاص الراشدين والاتصال بينه وبينهم فتركز بشكل ضئيل نسبيًا على الأشخاص الذين يقيم معهم الرضيع الارتباطات .

ولا يمكننا فى الواقع تحديد ما إذا كان الرضيع يرتبط بشخص ما أم لا ، وما إذا كان يوجد هناك سلم متدرج للتفضيل بين الأشخاص المتعددين الذين يقيم معهم الرضيع الارتباطات إلا بتفحص مدى تكرار أنماط السلوك الارتباطى الدالة على التعلق التى يأتى بها الرضيع . ومع ذلك يجب أن نتوخى الحذر حتى عندما نعتمد أساسًا فى ذلك على مقاييس السلوك الارتباطى الدالة على التعلق حيث من المعروف أن الأطفال الرضع

عندما يتعرضون لموقف من مواقف التوتر ولا يوجد أمامهم أى شخص ممن يقيمون معهم الارتباطات فإنهم سوف يبحثون عن العون والمساعدة من أشخاص لا يقيمون معهم فى الواقع أى ارتباطات (Bowlby, 1969) . وعلى ذلك يجب أن نقيم الدليل على وجود تفضيلات حقيقية يبديها الرضع لشخص يفترض أن يقيمون معه الارتباطات وذلك على شخص آخر يظهر لهم الود ولكنه غير مألوف بالنسبة لهم (Cohen, 1974) .

وتوضح مقاييس السلوك الارتباطى الدالة على التعلق أن الرضع يرتبطون بكلا الوالدين ويقيمون معهم العلاقات (e.g. Lamb, 1977c) وأنهم يفضلون أمهاتهم حينما يتعرضون لموقف من مواقف التوتر (Lamb, 1976a,f) بينما تميل مقاييس السلوك الدال على التواد إلى إظهار تفضيلات الرضع للآباء خلال العامين الأولين من حياتهم . ويبدو أن تلك التفضيلات التى تظهرها هذه المقاييس أى مقاييس السلوك الدال على التواد ترجع إلى الجدة Novelty النسبية للأب حيث لا يتواجد بالمنزل معظم اليوم ، كما قد ترجع أيضًا إلى حقيقة أن الأب نفسه يظهر فى تفاعله مع أطفاله الرضع مزيدًا من التفاعل الدال على التواد قياسًا بالأم (Clarke - Stewart, 1978; Lamb, 1977a,c) .

وأخيرًا نلاحظ أنه من الطريف أن بعض الأطفال الرضع يتعلمون استخدام كلمات مثل «بابا» أو «دادى» أو «بابى» وغيرها ويطلقونها على آبائهم وذلك فى وقت مبكر عن ذلك الوقت الذى يستخدمون فيه كلمات مشابهة يطلقونها على أمهاتهم (Brooks - Gun & Lewis, 1979) . إلا أن الأمر قد يختلف عن ذلك الشئ فيما يتعلق بتكوين الارتباطات من جانب الرضيع مع الوالدين وتفضيلاته الوالدية وذلك عندما تتبدل الأدوار الوالدية أو عندما يغيب الأب عن المنزل لأى سبب .

السمات المميزة لتفاعل كل من الأم والأب مع الرضيع :

من الجدير بالذكر أن الأدلة المتاحة حاليًا على قيام معظم الأطفال الرضع بتكوين الارتباطات مع آبائهم إضافة إلى قيامهم بتكوين ارتباطات مماثلة مع أمهاتهم ليست كافية بالدرجة التى تمكننا من إثبات أن الأب يلعب دورًا بنائيًا له دلالته ومغزاه فى النمو الاجتماعى للرضيع حيث يمكن القول أن الأب يلعب دورًا إضافيًا فى الأساس فى هذا

الصدد إذ عادة ما يعمل كبديل للأم ، ولكنه مع ذلك له قدر ضئيل من التأثير المستقل على نمو الرضيع . وقد أدى هذا الاحتمال فى الواقع إلى إثارة اهتمام الباحثين لإجراء العديد من البحوث التى تهدف فى الأساس إلى التحقق مما إذا كان كل من الآباء والأمهات يمثلون أنماطًا مختلفة من الخبرات بالنسبة لأطفالهم الرضع أم لا . وقد كشفت نتائج الدارسات عن أن هذا هو ما يحدث بالفعل إذ يمثل كلاهما نمطًا مختلفًا من الخبرات لهم .

وفى حقيقة الأمر يبدو أن الآباء والأمهات حتى فى الشهور الثلاثة الأولى من حياة أطفالهم يقومون بأنماط مختلفة من التفاعلات مع هؤلاء الأطفال الرضع حيث نجد على سبيل المثال أن الآباء يميلون إلى القيام بنوبات متقطعة من الإثارة الاجتماعية والجسمية للرضيع ، فى حين تميل الأمهات إلى الإثارة الأكثر إيقاعًا - أى التى تتكرر على نحو منتظم - والأكثر شمولاً وذلك عند تسجيل تفاعلات المواجهة التى جمعت كل من الآباء والأمهات على حدة مع الأطفال الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين أسبوعين فقط وخمسة وعشرين أسبوعًا وذلك على شريط فيديو (Yogman, et al., 1977) . وكانت الأمهات أيضًا تخاطبن أطفالهن الرضع بأصوات رقيقة تقوم على المحاكاة وتتسم بالتكرار ، بينما كان يقوم الآباء بالربت على هؤلاء الرضع بشكل منتظم (Yogman, et al., 1977) . كما كانت الأمهات تقمن خلال زيارتهن لأطفالهن المبتسرين الذين تم حجزهم بالمستشفى بالاستجابة لتلك الإشارات الاجتماعية التى تصدر عنهم ، فى حين كان يقوم الآباء بالاستجابة لإشارتهم الحركية الكلية . وهو ما يؤكد على اختلاف أنماط تفاعلات الوالدين معهم (Marton & Minde, 1980) .

وغالبًا ما يبدى الأطفال الرضع الأكبر سنًا عدم رغبة فى الجلوس فى مقاعد أو عربات الأطفال للمشاركة فى تفاعلات مع والديهم تقوم على المواجهة ، ولذلك فإن غالبية البيانات التى تتعلق بالسمات المميزة لتفاعل الوالد مع طفله الرضيع قد تم جمعها من خلال الملاحظات الطبيعية لمثل هذا التفاعل فى المنزل . هذا وقد وجدنا فى الدراسة الطولية التى قمنا بإجرائها والتى أشرنا إليها سابقًا أن الآباء يميلون إلى الاشتراك فى الألعاب التى تعتمد على الإثارة الجسمية والألعاب التى لا يمكن التنبؤ بها أو التى تعتمد على خصوصية بنية أو مزاج الطفل وذلك بشكل يفوق ما تفعله الأمهات

(Lamb, 1976b, 1977c) . ونظرًا لأن مثل هذه الأنماط من اللعب تثير استجابات أكثر إيجابية من جانب الرضيع فإن الاستجابة العادية للعرض الذى يقدمه الأب للرضيع للعب معه كانت أكثر إيجابية من مثيلتها التى تتعلق بمثل هذا العرض من جانب الأم . وفى حين يؤكد باور وباركى (١٩٧٩) Power & Parke وكلارك - ستيوارت (١٩٧٨) Clarke - Stewart أن الآباء والأمهات يقومون بأنماط مختلفة من اللعب مع الأطفال الرضع ، فإن بيلسكى (١٩٧٩) Belsky لم يجد أى فروق دالة بينهما فى هذا الصدد . ونظرًا لأنه قد استخدم مجموعة مختلفة من المبادئ والقواعد فى تلك الملاحظة التى قام بها ، وقام بدراسة مجموعة من الأطفال الرضع الأكبر سنًا يصبح من غير الممكن أن نقوم بإجراء مقارنة بين ما توصل إليه من نتائج وبين تلك النتائج التى تناولناها من قبل والتى كشفت عنها دراسات أخرى .

وعند قيامنا بدراسة الأسباب التى يقوم من أجلها كل من الآباء والأمهات بالتقاط أطفالهم الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين سبعة شهور وثلاثة عشر شهرًا وحملهم وجدنا أنه كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأمهات أن يحملن أطفالهن الرضع فى غضون قيامهن بالعناية بهم ، فى حين كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء أن يقوموا بحملهم للعب معهم أو كاستجابة لطلب هؤلاء الرضع منهم أن يقوموا بحملهم (Lamb, 1976c, 1977c) . وقد توصل بيلسكى (١٩٧٩) Belsky إلى نفس هذه النتائج . ولم يكن من المدهش بناء على ذلك أن نجد أن الأطفال الرضع يستجيبون بشكل أكثر إيجابية لحمل آبائهم لهم قياسًا باستجابتهم لحمل أمهاتهم لهم (Lamb, 1976a, 1977) .

وتؤكد البيانات التى تم جمعها عن طريق المقابلات أن الآباء يتميزون بالتفاعلات التى تحدث أثناء اللعب مع الرضع فى حين ترتبط الأمهات بعنايتهن بهم . وطبقًا لما يراه كوتيلشوك (١٩٧٥) Kotelchuck فإن الأم تقضى ١,٤٥ ساعة يوميًا فى المتوسط فى إرضاع طفلها الذى يتراوح عمره بين ستة أشهر وواحد وعشرين شهرًا ، فى حين يقضى الأب حوالى ربع ساعة فقط فى المتوسط فى إرضاعه . كما تقضى الأم خمسًا وخمسين دقيقة يوميًا فى تنظيفه ، إضافة إلى ٢,٣ ساعة فى اللعب معهم وذلك فى مقابل تسع دقائق من جانب الأب فى تنظيف هذا الرضيع ، إضافة إلى ١,٢ ساعة فى اللعب معه .

وبذلك فإن الأمهات تقضين نسبة أكبر من تفاعلهن مع أطفالهن الرضع فى العناية بهم ، بينما يقضى الآباء نسبة أكبر من تفاعلهم معهم فى تفاعل اجتماعى يقوم على اللعب .

وفيما يتعلق بالمقدار الكلى للتفاعل ترى كلارك - ستيوارت (١٩٧٨) Clarck-Stewart أن الآباء يتميزون بانغماسهم بشكل ثابت فى اللعب مع أطفالهم الرضع ، وأن انغماسهم النسبى فى القيام بأنشطة العناية بالأطفال يزداد مع الوقت . وعلى الرغم من أن رنديناRendina & Dickercheid (١٩٧٦) وديكرشيد لم يقوما بدراسة سلوك الأم مما جعل من غير الممكن بالنسبة لهما أن يقوما بإجراء المقارنة بين سلوك الأم وسلوك الأب فإنه يتضح أن الأب يقضى غالبية وقته فى تفاعل مع طفله يقوم على اللعب ، ولا يقضى فى المقابل سوى ٣,٨ ٪ فقط فى المتوسط فى القيام بأنشطة العناية بالطفل . وفى دراستهم للأسر الإنجليزية توصل ريتشاردز وآخرون (١٩٧٥) Richards, et al. من خلال مقابلاتهم التى أجروها مع الأمهات إلى نفس هذه النتائج فوجدوا أن التفاعل الشائع بين الأب والرضيع فى تسعين فى المائة من الأسر التى قاموا بدراستها عندما كان عمر الرضيع ثلاثين أسبوعًا وعندما كان عمره ستين أسبوعًا يتمثل فى اللعب ، ونادرًا ما كان يحدث الانغماس الروتينى للأب فى أنشطة العناية بالرضيع حيث وجد هؤلاء الباحثون أن ٣٥ ٪ فقط من الآباء الذين شملتهم عينة الدراسة كانوا يقوموا بإرضاع أطفالهم بانتظام عندما كان عمر هؤلاء الرضع ثلاثين أسبوعًا ، وأن ٤٦ ٪ منهم كانوا يقومون بذلك عندما كان عمر أطفالهم الرضع ستين أسبوعًا . ومن ناحية أخرى كان قيام الأب بتغيير الحفائض (البامبرز) للرضيع والقيام بتحميمه يمثل أقل أنشطته شيوعًا فى مجال العناية بالطفل . ومع ذلك فقد وجدت مارتون ومينـد (١٩٨٠) Marton & Minde أن آباء الرضع الذين تمت ولادتهم قبل مرور تسعة أشهر من بداية الحمل كانوا أكثر انغماسًا فى أنشطة العناية بهم قياسًا بآباء الرضع الذين تمت ولادتهم بعد مدة حمل كاملة .

وترى كلارك - ستيوارت Clarck-Stewart فى دراستها الطولية التى استمرت من ١٩٧٨ - ١٩٨٠ على عينة صغيرة من الأطفال الرضع قوامها أربعة عشر طفلاً تراوحت أعمارهم بين خمسة عشر شهرًا وثلاثين شهرًا أن الأب يعتبر أكثر انغماسًا فى اللعب مع الرضيع . وأظهرت هذه الدراسة أيضًا أنه يقوم بإعطاء التوجيهات اللفظية ويقوم

بالتعزيز الإيجابى للطفل بشكل يفوق ما تقوم به الأم ، كما أن لديه قدرة تفوق الأم على الانغماس فى اللعب مع الأطفال الرضع . ومن جانبهم فقد أظهر الأطفال الرضع البهجة وقاموا بالانغماس فى اللعب مع الأب بشكل يفوق ما فعلوه مع الأم . هذا ولم يتضح وجود أى فروق دالة بين الوالدين فى مدى استجابيتهم للأطفال الرضع . وعند اختيار أحد الأنشطة من جانب كلا الوالدين كجزء من مهمة معملية ليشاركوا أطفالهم الرضع فيه مالت الأمهات إلى اختيار الأنشطة العقلية بينما اختار الآباء أنشطة اللعب الجسمية الاجتماعية . وبالنظر إلى ذلك اللعب الذى يشغل كثيرًا من التفاعل بين الأب والرضيع يتضح أن الرضع الأقل عمرًا يفضلون القيام باللعب مع الأب عندما تتاح لهم فرصة الاختيار (Clarck-Stewart, 1978; Lamb, 1976c, 1977c; Lynn & Cross, 1974) .

وتدل المذكرات اليومية التى أدلت بها أمهات الأطفال الرضع الذين أجرت كلارك - ستيوارت (١٩٧٨) Clarck-Stewart عليهم دراستها وجود تغيرات هامة ترتبط بالعمر لم تتوصل إليها الدراسات الأخرى . ففى سن خمسة عشر شهرًا من عمر الطفل يزداد انغماس الأم فى اللعب معه بشكل يفوق ما يفعله الأب ، وفى سن عشرين شهرًا من عمره يتساوى الوقت الذى يقضيه كل من الأب والأم فى اللعب معه ، أما فى سن ثلاثين شهرًا من عمر الطفل يقضى الأب فى اللعب معه وقتًا أطول مما تقضيه الأم . كما أن هناك أيضًا تغيرًا فى المسئولية النسبية عن العناية بالطفل يرتبط بعمره الزمنى حيث تقضى الأم فى سن خمسة عشر شهرًا من عمر طفلها وقتًا أطول من الأب بكثير فى العناية به ، أما فى سن ثلاثين شهرًا فيتساوى مقدار الوقت الذى يكرسه كلا الوالدين للعناية به .

ومن ناحية أخرى يرى بيدرسين وآخرون (١٩٨٢) .Pedersen, et al أن أنماط انغماس كلا الوالدين مع الطفل قد تختلف إذا ما كان كلاهما يعمل طوال الوقت على مدى اليوم إذ وجدوا أن الأمهات العاملات تقمن بإثارة أطفالهن الرضع بشكل يفوق ما تفعله قريناتهن غير العاملات ، كما كن أكثر فاعلية فى تفاعلهن مع أطفالهن قياسًا بأزواجهن . وطبقًا لنتائج هذه الدراسة كان الآباء المتزوجون من نساء غير عاملات يلعبون مع أطفالهم الرضع أكثر مما تلعب أمهاتهم معهم ، ويختلف هذا النمط تمامًا فى الأسر التى تعتبر الأم فيها من النساء العاملات حيث يظهر نمط عكسى لذلك . أما مسئولية الأم

عن العناية بالطفل فلم تختلف بالنسبة للأمهات العاملات والأمهات غير العاملات . وهذا بطبيعة الحال يناقض ما يراه هوفمان (١٩٧٧) Hoffman من أن معدل انغماس الأب فى أنشطة العناية بالطفل يزداد إذا كانت الأم من النساء العاملات .

ولا يوجد للآن دليل مادى متاح يتعلق بوجود أصول لأنماط أو أساليب لعب كل من الأب والأم مع الطفل . إلا أن برازيلتون Brazelton وزملاءه (١٩٧٩) يرون أن هذه الأساليب تعكس فروقًا محددة بيولوجيًا ، ونظرًا لأن الأطفال الرضع الأقل سنًا يتوقعون بشكل فطرى أن يتصرف كل من آبائهم وأمهاتهم بطريقة مختلفة فإن هؤلاء الرضع يسلكون بالتالى أساليب تنتزع السلوك الأبوى الملائم من آبائهم الذين يقومون بدور أساسى فى أنشطة العناية بهم . وقد يكون هذا هو الثابت أيضًا فيما يتعلق بحقيقة أن مدى اللعب يعتبر أيضًا سمة مميزة للعلاقة بين الأب والصغير بالنسبة للقرود (Zucker, et al. 1978) . ويبدو أن ذلك يعتبر غير محتمل نظرًا لأنه ينسب إلى الطفل الرضيع الأصغر سنًا قدرات معرفة وإدراكية أكبر مما يوجد لديه فى الواقع (Lamb & Sherrod, 1981) إلا أنه يبدو من الأكثر احتمالاً أن الأساليب التى تميز كلاً من الأب والأم تعتبر نتاجًا لأدوار محددة اجتماعيًا يضطلع بها الآباء والأمهات فى الأسر التقليدية . ومع ذلك فلا يوجد سوى دراسة واحدة فقط هى التى قامت بإجراء المقارنة بين سلوك الآباء الذين يقومون بدور أساسى فى العناية بالطفل والآباء الذين يقومون بدور ثانوى فى هذا الصدد هى تلك الدراسة التى أجراها فيلد (١٩٧٨) Field . وطبقًا لما يراه فيلد فإن الآباء الذين يقومون بدور أساسى فى العناية بالطفل يسلكون بطريقة أكثر شبهًا بالأمهات عند مقارنتهم بالآباء الذين يقومون بدور أساسى فى العناية بالأطفال . وكان من الملاحظ أيضًا أن التفاعلات غير الكابحة للعواطف وتلك التى تقوم على اللعب كانت أكثر شيوعًا بين الآباء بغض النظر عن مقدار المسئولية التى يضطلعون بها فى العناية بالأطفال .

وقد قمنا بالاشتراك مع فرودى وهوانج وفرودى Frodi, Hwang & Frodi بإجراء دراسة طولية عن الآباء الذين يقومون بدور أساسى فى العناية بالأطفال وأقرانهم الذين يقومون بدور ثانوى وذلك بغرض تحديد دور الجنس البيولوجى والدور الاجتماعى فى التمييز بين أساليب الآباء والأمهات فى تفاعلهم مع الأطفال الرضع .

وأوضحت الملاحظات الطبيعية للأطفال الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاثة شهور وثمانية شهور إضافة إلى والديهم أن جنس الوالد يعتبر محددًا للسلوك الوالدى بدرجة تفوق نمط الأسرة .

ومهما كانت النتائج التى كشفت عنها هذه الدراسة فإنه يتضح أن الأمهات والآباء يمثلون بوجه عام أنماطًا مختلفة من الخبرات بالنسبة لأطفالهم الرضع . وتزيد هذه الحقيقة من احتمال أن يكون لكلا الوالدين آثار مستقلة وذات مغزى على نمو الرضيع إضافة إلى آثارهما المتداخلة فى هذا الصدد .

أثر الأب على النمو الاجتماعى للرضيع ونمو شخصيته :

من الجدير بالذكر أن الباحثين قد قاموا فى هذا المجال بالتركيز على السؤالين التاليين :

١ - هل يقوم الأطفال الرضع بتكوين ارتباطات مع آبائهم ؟

٢ - هل تختلف علاقة كل من الأب والأم مع الرضيع بأى شكل ؟

ونظرًا لذلك فلم تتم سوى محاولات قليلة نسبيًا فقط بغرض تحديد الكيفية التى يستطيع الأب بمقتضاها أن يسهم فى النمو الاجتماعى للرضيع . ومع هذا فهناك قدر كبير مما كتب حول إسهام الأب فى نمو الدور الجنسى للأطفال وهويتهم الجنسية وخاصة بالنسبة للبنين (Lamb & Lamb, 1976; Lamb & Stevenson, 1978; Parke, 1979) وربما ينبع ذلك فى الأساس من الافتراض العام الذى يرى أن الأب يؤثر فى هذا الجانب من جوانب النمو لدى الأطفال الأكبر سنًا .

وعلى الرغم من أننا نجد أن كلاً من الآباء والأمهات يفضلون أن يكون أبناؤهم من البنين فإن هذا التفضيل يزداد بين الآباء (e.g. Arnold, et al. 1975; Hoffman, 1977) . وقد لا يكون من المدهش مع ذلك أن نجد أن الآباء يفضلون القيام بالتفاعل مع البنين حتى بعد ميلادهم بفترة قصيرة إذ وجد باركى وأوليرى (١٩٧٥) Parke & Q'Leary أن الآباء يقومون بالتحدث إلى أطفالهم البنين ذوى الترتيب الميلادى الأول ، كما يقومون بلمسهم والاستجابة لهم بشكل أكثر تكرارًا مما يفعلونه مع بناتهم من ذوات الترتيب الميلادى الأول . وفى دراسة تالية أجريت على الرضع فى سن ثلاثة أسابيع وفى سن ثلاثة

أشهر وجد باركى وساوين (١٩٧٥) Parke & Sawin أن الآباء ينظرون إلى البنين أكثر مما ينظرون إلى البنات ، كما يقومون بإثارتهم عن طريق اللمس وبصريًا أكثر مما يفعلون مع البنات أيضًا . أما الأمهات فقد كن على النقيض من ذلك يقمن بإثارة البنات أكثر من البنين . ووجد وينروب وفرانكيل (١٩٧٧) Weinraub & Frankel تفضيلات مشابهة من جانب الوالدين للأطفال الرضع الأكبر سنًا من الجنسين ، ووجد باركى وساوين (١٩٨٠) Parke & Sawin أنه كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء أن يقوموا بتغيير الحفائض (البامبرز) لأطفالهم الرضع من البنين الذين يبلغون ثلاثة أشهر من العمر وإطعامهم أكثر مما يفعلون مع البنات فى نفس العمر . ويرى كل من رندينا وديكرشيد (١٩٧٦) Rendina & Dickercheid أن الآباء يقومون بملاحظة البنين أكثر من البنات وذلك بين الأطفال الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين ستة أشهر وثلاثة عشر شهرًا وهو نفس ما لاحظه جيويرتز وجيويرتز (١٩٦٨) Gewritz & Gewritz بالنسبة للآباء الإسرائيليين وأطفالهم الرضع من الجنسين الذين يبلغون أربعة أشهر من العمر .

ومن الملاحظ أن اختلاف معاملة الوالدين للأطفال باختلاف جنس هؤلاء الأطفال تبدأ فى الزيادة خلال العام الثانى من عمرهم إذ أن بعض الدراسات التى كشفت عن عدم وجود اختلاف فى معاملة الوالدين والأطفال باختلاف الجنس خلال العام الأول من حياتهم قد كشفت عن وجود فروق جوهرية فى هذه المعاملة بعد ذلك (e.g. Lamb, 1977b) فأوضحت أن الآباء يقومون بالتحدث إلى أطفالهم البنين أكثر مما يفعلون مع البنات خلال العام الثانى من حياتهم (Lamb, 1977a,b) . كما اتضح من التقارير التى أوردها الآباء أنهم يقضون وقتًا فى اللعب مع أطفالهم البنين من ذوى الترتيب الميلادى الأول يزيد عن الوقت الذى يقضونه فى اللعب مع بناتهم من ذوات نفس الترتيب الميلادى بحوالى نصف ساعة يوميًا (Kotelchuck, 1976) . وحتى بين البدو الرحل فإن الآباء يقضون مع أطفالهم البنين وقتًا أطول مما يقضونه مع البنات (West & Konner, 1976) . كما يقوم الآباء بالتمييز فى معاملتهم لكل من البنين والبنات من أطفالهم الرضع والأطفال الأكبر سنًا أكثر مما تفعل الأمهات (Lamb, 1976e, 1977b) ، وهو ما يؤكده فاجوت (١٩٧٤) Fagot أثر مقابلاته التى أجراها مع الآباء والأمهات حيث يرى أن والدى البنين يتعقدان أن هناك دورًا خاصًا للأب يجب أن يلعبه مع أطفاله البنين كأن

يكون شريكًا لهم فى اللعب أو أن يمثل نموذجًا للدور بالنسبة لهم ، فى حين لا يرى والدى البنات أن هناك أدوارًا مختلفة لكل من الآباء والأمهات .

ويقوم الآباء فى واقع الأمر منذ وقت مبكر فى حياة أطفالهم البنين بجعل أنفسهم ذات أهمية كبيرة بالنسبة لهؤلاء البنين . وعلى الرغم من أننا قد وجدنا أن كلاً من الآباء والأمهات يتعاملون مع أطفالهم الرضع من الجنسين بطريقة مشابهة فى المرحلة الأولى من دراستنا الطولية التى قمنا بإجرائها (Lamb, 1977c) فقد وجدنا تغيرًا واضحًا فى معاملتهما لهم منذ وقت مبكر فى العام الثانى من أعمارهم (Lamb, 1977a,b) فبدأ الآباء يقومون بتوجيه السلوك الاجتماعى لأطفالهم البنين بدرجة تفوق ما يفعلونه مع البنات مما كان له أثره فى ظهور الفروق بين الجنسين فى سلوك هؤلاء الرضع . وكما لاحظنا من قبل بدأ البنون فى تركيز أنماط سلوكهم الارتباطى الدالة على التعلق على آبائهم خلال العام الثانى من أعمارهم ، بينما استمرت البنات فى عدم إظهارهن تفضيل ثابت لأى من الوالدين . وبذلك فإن الآباء يسلكون بطريقة تعمل على تشجيع أطفالهم البنين على إقامة علاقات معهم ، وقد يساهم هذا السلوك فى نمو هويتهم الجنسية وتوجه الدور الجنسى (Lamb, 1977b) .

وعلاوة على ذلك فإن ميل الآباء والأمهات إلى السلوك بطريقة تميز بين الجنسين من الأطفال قد يسهل من تأثير الأب على نمو هويتهم الجنسية . إلا أنه لا يوجد فى الواقع تأييد حقيقى لهذا الافتراض . بيد أن التأييد الدقيق لذلك يأتى من مصدرين ، يتمثل أولهما فيما يراه مونى Money من أنه يجب أن يتم إرساء دعائم الهوية الجنسية للطفل خلال أول عامين أو ثلاثة من حياته إذا ما أردنا لها أن تتكون بشكل ثابت (Money & Ehrhardt, 1972) . أما ثانيهما فيتمثل فى ذلك الدليل الذى يؤكد على أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة لغياب الأب أن يؤثر سلبًا على نمو ذكورة البنين إذا ما بدأ هذا الغياب فى وقت مبكر من حياة الولد (Lamb, 1976e; Biller, 1971, 1974; Hetherington & Deur, 1971) . ومع ذلك فإن عدم كفاية هذه البيانات يؤكد على حاجتنا لإجراء مزيد من الدراسات فى هذا الجانب . وإضافة إلى ذلك فنحن لا نعلم على وجه التحديد ما إذا كان الأب يؤثر على نمو الأنوثة بالنسبة لابنته الأصغر سنًا أم لا ، وإذا كان له تأثيره فى هذا الصدد فنحن لا نعلم بالتحديد أيضًا كيف يتم ذلك (Lamb, et al. 1979) .

ومن ناحية أخرى فإن العديد من الدراسات الحديثة نسبيًا قد قامت بتناول أثر الأب على النمو المعرفى لأطفاله ونمو دافعيتهم وذلك بدلاً من تناول أثره على نمو دورهم الجنسى . وقد يرجع ذلك جزئيًا إلى أثر تفاعل الأم مع طفلها الرضيع على نموه المعرفى (Stevenson & Lamb, 1981) . كما قد يرجع جزئيًا أيضًا إلى أن البنين الرضع الذين يغيب عنهم آباؤهم يقلون فى كفاءتهم المعرفية عن أقرانهم الذين تتم تنشئتهم بين آبائهم وأمهاتهم أى فى تلك الأسر التى لا يغيب عنها الأب (Pedersen, et al. 1979) . ونظرًا لأن بيدرسين وآخرين Pedersen, et al. لم يجدوا أى فروق دالة بين الأمهات المتزوجات وغير المتزوجات فى سلوكهن تجاه أطفالهن فإنهم يرون أن التفاعل المباشر للأب مع طفله الذكر هو الذى يؤثر بشكل دال على نمو ذلك الطفل فى العديد من المجالات كالاستجابة الاجتماعية ، ونمو السلوك الدائرى الثانوى أى ردود الفعل الدائرية الثانوية(*) ، وتفضيل المصادر الغريبة للإثارة .

ولا يمكن أن يرجع السبب فى ذلك إلى أن الأطفال الرضع الذين يغيب عنهم آباؤهم تنقصهم مصادر الإثارة حيث نجد أن متوسط عدد أفراد الأسرة فى تلك الأسر التى يغيب عنها الأب لا يختلف عن مثيله فى الأسر التى لا يغيب عنها ، ولكن عند إجراء المقارنة بين الأفراد الذين يفترض أنهم يمثلون مصادر إثارة بالنسبة للطفل يتضح أن للأب تأثيره الذين يختلف نوعيًا عن تأثير غيره من الراشدين . وهو ما يتفق مع مايراه واكس وآخرون (١٩٧١) ,.Wachs, et al من أن زيادة انغماس الأب فى حياة الطفل يرتبط بتحسن أداء ذلك الطفل على مقاييس أو زجريز وهانت Uzgiris - Hunt Scales إلا أنه مع ذلك لا يبدو أن غياب الأب يؤثر على نمو البنات .

وفى دراستها التى تقوم على ملاحظة الأطفال الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين خمسة عشر شهرًا وثلاثين شهرًا وجدت كلارك - ستيوارت (١٩٧٨) Clarke - Stewart أن الكفاءة العقلية للطفل ترتبط أيضًا بمقاييس الإثارة التى تقدمها له الأم سواء كانت هذه

(*) لمزيد من المعلومات حول ردود الفعل الدائرية الثانوية عند الطفل راجع كتابنا «النمو العقلى للطفل» (المترجم) .

الإثارة مادية أو لفظية ، كما ترتبط أيضًا بمقاييس مدى الإسراع بالنمو العقلى ، والتعبيرية إضافة إلى ارتباطها بمقاييس مدى انغماس الأب فى اللعب معه ، وتقديراته الإيجابية للأطفال ، وكم الوقت الذى يقضيه فى التفاعل معه ، ومدى تطلعات الأب لاستقلالية الرضيع . ومع ذلك فإن فحص أنماط الارتباطات التى يتم الحصول عليها مع مرور الوقت توضح أن الأمهات يؤثرن على نمو أطفالهن وهو ما يؤثر بدوره على سلوك الآباء ، بمعنى أن سلوك الأب يعتبر نتيجة للفروق الفردية فى سلوك الأطفال وليس عاملاً على هذه الفروق . وتوضح هذه النتائج تلك الفكرة التى سنعرض لها فى القسم التالى من هذا الفصل والتى ترى أن الطفل ينمو فى إطار نسق أسرى يقوم كل طرف فيه بالتأثير فى غيره والتأثر به ، وأن نمط التأثيرات لا يسير دائمًا وبشكل مباشر من الوالدين إلى الطفل . إلا أن العينة التى أجرت عليها كلارك - ستيوارت Clarke - Stewart دراستها هذه كانت صغيرة جدًا خاصة للقيام بأنماط التحليلات التى تم إجراؤها ، وهو ما يستوجب التعامل بحذر مع تلك النتائج التى توصلت إليها حتى يتم التحقق منها عن طريق إجراء دراسات أخرى تالية .

وتقوم بعض الافتراضات التى تتعلق بتأثير الأب بالتركيز على الفروق الخاصة أو النوعية بين أساليب كل من الأب والأم وذلك بدرجة أقل من تركيزها على حقيقة أنهما يختلفان عن بعضهما البعض فى العديد من الأمور . فقد يكون من السهل بالنسبة للأطفال الرضع فى الشهور الأولى من حياتهم على سبيل المثال أن يتعلموا القيام بالتعرف على السمات المميزة لأحد الوالدين وإدراكها عندما يتعرضون بشكل مستمر نسبيًا لشخص آخر - الوالد الآخر - يختلف عن هذا الوالد أو ذاك بصورة جلية . وعلاوة على ذلك فإنه من المحتمل أن يطور الأطفال الرضع توقعات مختلفة من كلا الوالدين نظرًا لأن كلاً منهما يمثل أنماطًا مختلفة من التفاعل معهم (Lamb, 1981) مما يعمل بالتالى على زيادة وعيهم بأساليب اجتماعية مختلفة ، وربما يسهل حساسيتهم الإدراكية لمثل هذه الفروق الدقيقة ، وهو ما قد يسهم فى نمو كفاءتهم الاجتماعية إذ وجد بيدرسين وآخرون Pedersen, et al. (١٩٧٩) أن مدى انغماس الأب فى حياة طفله الرضيع كما تراه الأم يرتبط إيجابًا بالاستجابية الاجتماعية للأطفال الرضع الذين يبلغون الشهر الخامس من العمر . وسوف نجد إذا ما نظرنا لذلك بمنظور مختلف تمامًا أن علماء التحليل النفسى

الـذين تبعـوا خطـوات مرجريـت مـاهلر (١٩٦٨) M. Mahler ومـاهلر وجـوزلاينر (١٩٥٥) Mahler & Gosliner يـرون أن الأب يعمـل عـلى انتـزاع الطفـل الرضـيع وتخليصه من براثن تلك العلاقة التكافلية التى يقيمها مع الأم (Abelin, 1975, 1980) .

وأخيرًا يجب أن نضع فى اعتبارنا من جديد الدلالة البنائية للحساسية الوالديـة تجـاه الرضيع حيث هناك أدلة تؤكد على أن حساسية الأم تجاه الرضـيع تحـدد ثبـات ورسـوخ العلاقة بينهـا وبينـه (Ainsworth, et al., 1978) . ويحـدد مـدى رسـوخ هـذه العلاقـة كيفية تصـرف الطفل فيما بعد فى مواقف حل المشـكلات ، وكيفيـة تصـرفه مـع جماعـة الأقـران (e.g. Matas, et al., 1978, Waters, et al., 1979) . كـما يعمـل أيضًـا عـلى تحديد جوانب أخرى من تلك التى تشكل فى مجملها شخصية الطفل المستقبلية (Arend, et al., 1979) . ومع ذلك فليست هناك للآن دراسات تناولت مـدى حساسـية الأب تجـاه الرضيع وأثرها على ثبات ورسوخ العلاقة بينهما . إلا أن هناك دراسـتين قـد أوضـحتا أن العديد من الأطفال الرضع يقيمون علاقات ثابتة وراسخة مع أحد الوالدين وأخرى غير ثابتة أو راسخة مع الوالد الآخر ، وهذا يعنى أن ثبات العلاقة التى يقيمها الطفل مع أحد الوالدين ورسوخها يتحدد بشكل مستقل عن تلك التى يقيمها مع الوالد الآخر استنادًا على حساسية هذا الوالـد أو ذاك تجاهه (Lamb, 1978b; Main & Weston, 1982) . ومن ناحية أخرى فقد وجد ماين ووستون (١٩٨٢) Main & Weston أن ثبات علاقـة الطفل الرضيع مع كلا الوالدين ورسوخها يؤثر على استجاباته تجاه شخص غريـب غـير مألوف بالنسبة له . ولكن لم يكن من الممكن تحديد أى مـن هـاتين العلاقتـين لهـا التـأثير الأكبر فى هذا الصدد حيث كانت الجلسة التى جمعت بـين الرضـيع والشـخص الغريـب تحدث فى نفس الوقت الذى يتم فيه تقييم علاقة الرضيع بأمه وذلك قبل ستة أشـهر مـن تقييم علاقته بأبيه . ومع ذلك يبدو أنه من المعتقد أن علاقة الرضيع بالشخص الذى يعتبر هو القائم الأساسـى على العناية به هى الأكثر تـأثيرًا فى ذلـك ، وأن الطفـل الـذى يقـيم علاقة واحدة على الأقل تتسم بالثبات والرسوخ يكون فى وضع أفضل من ذلـك الطفـل الذى لا يقيم أى علاقة ثابتة أو راسخة . إلا أننا إذا ما أردنا أن نفهم الكيفية التـى يمكـن بها لتلك العلاقات التى يقيمها الطفل مع والديه أن تؤثر على مستوى نموه فإنه لا يكفينـا

أن نقوم بتقييم سلوك أحد الوالدين فقط أو تقييم طبيعة العلاقة التى يقيمها الطفل معه حيث لا تنشأ علاقة الطفل بوالديه فى فراغ ، وبالتالى لا يمكننا أن نفهم آثارها المختلفة دون أن نضع فى اعتبارنا تلك المصادر الهامة الأخرى التى تعمل على حدوث مثل هذا التأثير .

الآثار المباشرة وغير المباشرة :

هناك تأثيرات متعددة تعمل على نمو الرضيع تعود مصادرها إلى الأب أو الأم أو الأخوة أو إلى الجانب البيولوجى على سبيل المثال . كما أن هناك العديد من التأثيرات غير المباشرة التى تعمل مصادرها من خلال وجودها فى بعض الأساليب المعقدة التى يتعرض لها الرضيع ، أو تلك الشبكات الاجتماعية المعقدة التى يوجد فيها (Belsky, 1981) . ووفقًا لما يراه لويس وويندروب (١٩٧٦) Lewis & Weinraub فإن غالبية آثار الأب على نمو الرضيع تحدث بشكل غير مباشر وذلك من خلال أثر الأب على الأم . وعلى الرغم من أنه لم يتم التحقق من هذا الافتراض بعد فإن هناك دراسات عديدة قد كشفت عن أن مثل هذه التأثيرات غير المباشرة لها فى واقع الأمر مغزاها وأهميتها ، فيرى بيدرسين وآخرون (١٩٧٧) .Pedersen, et al على سبيل المثال أنه يمكن التنبؤ بالتأثير الكيفى لتفاعل الوالد مع الطفل الرضيع من خلال تلك المقاييس التى تقوم على ملاحظة وتسجيل النقد المتبادل الذى يسود علاقة الوالدين ببعضهما . ومع ذلك فلا توجد هناك علاقات دالة بين المقاييس التى تتناول المشاعر الإيجابية فى علاقة الوالدين ببعضهما وبين تلك العلاقات التى يقيمها الوالد مع الطفل . وعلى النقيض من ذلك يرى برايس (١٩٧٧) Price أن قدرة الأم على إسعاد أطفالها الرضع وعلى الإغداق عليهم بالحنان ترتبط بنوعية العلاقات الزواجية التى تخبرها ، وترى ميند وآخرون (١٩٧٩) .Minde, et al أنه يمكن التنبؤ بتكرار زيارات الأم لطفلها الرضيع المبتسر الذى تم حجزه بالمستشفى من خلال نوعية العلاقات الزواجية السائدة . كما يرى بيدرسين وآخرون .Pedersen, et al أن الصراعات الزواجية تؤدى إلى تكوين علاقات غير مشبعة بين الوالد والطفل ، وهو ما يتفق بطبيعة الحال مع ما يراه روتر (١٩٧٢، ١٩٧٩) Rutter من أن الصراعات الزواجية لها آثارها الضارة والسلبية على النمو الاجتماعى الانفعالى للطفل وذلك بشكل يفوق آثار الانفصال الذى قد يحدث بين الوالد والطفل أو آثار غياب الأب عنه . ويرى برونسون (١٩٦٦) Bronson أن انخفاض

درجة التوافق الزواجى وزيادة العدائية أو اللامبالاة بين الزوجين يؤدى إلى حدوث أنماط انفجارية للتعبيرات الانفعالية بين الأطفال بالمرحلة الابتدائية .

وقد قام الباحثون من خلال دراساتهم التجريبية فقط بتناول أثر وجود أحد الوالدين فى نفس الموقف على التفاعل بين الوالد الآخر وبين الطفل الرضيع ، واتضح أن وجود أحد الوالدين فى ذات الموقف يؤدى بوجه عام إلى الإقلال من حدوث التفاعل بين الوالد الآخر وبين الطفل سواء كان هذا التفاعل يحدث فى المنزل (Blesky, 1979; Clarke - Stewart, 1978; Pedersen, et al. 1980) أو من خلال مواقف مخطط لها فى المعمل (Lamb, 1976a.f, 1977a, 1978a, 1979) . كما اتضح أيضًا وجود أثر مشابه لذلك فى الدراسات التى تناولت السلوك الأسرى بشكله الطبيعى فى الأماكن العامة (Rosenblatt, 1974; Cleaves & Rosenblatt, 1977) وفى الدراسات التى تناولت أحاديث الآباء والأمهات لأطفالهم الرضع (Golinkoff & Ames, 1979) . ويرى لويس وكريتزبرج (١٩٧٩) Lewis & Kreitzberg أن آباء وأمهات الأطفال ذوى الترتيب الميلادى الأول يتحدثون إليهم أكثر مما يفعل أقرانهم مع أطفالهم ذوى الترتيب الميلادى الأخير ، وربما يرجع ذلك من وجهة نظرهما إلى أن الأخوة الآخرين كانوا يتواجدون فى الغالب أثناء الملاحظات . وكما يرى باركى وتنسلى Parke & Tinsley فإن الآثار التى يمكن ملاحظتها فى الثلاثية الأسرية التى تضم الأب والأم والوليد الجديد تبدو مختلفة عن ذلك إلى حد ما ، وهو ما عرضنا له بالتفصيل فى الفصل السابق .

وعلى الرغم من أن هذه الدراسات قد قدمت أداة يمكن بواسطتها دراسة بعض جوانب المعرفة الاجتماعية للرضع (Lamb, 1979) وقدمت أساليبًا منهجية يمكن استخدامها فى الدراسات التى تتناول العلاقات التى تنشأ بين الوالد والطفل فإنها مع هذا لا تكشف سوى عن القليل فيما يتعلق بالآثار غير المباشرة للوالد على نمو الرضيع . ويستثنى من ذلك تلك الدراسة التى أجراها لايتون (١٩٧٩) Lytton والتى كشف من خلالها عن أن وجود الأب يزيد من احتمال قيام الأم بالاستجابة الإيجابية لما يظهره طفلها المتحرك من مطاوعة وإذعان ، ويقلل من عدد المحاولات التى تبذلها كى تتمكن من فرض سيطرتها على الموقف والطفل . كما أنه يزيد أيضًا من فاعليتها كقائم أساسى على تهذيب الطفل .

ويرى باركى وآخرون (١٩٧٩) Parke, et al. أن هناك عددًا من الأساليب والصور تتخذها تلك الآثار غير المباشرة ، وهذا بطبيعة الحال يجعل من الصعب علينا اكتشاف أنماط التأثير داخل الأسرة . ولا يكفى أن نقوم بحساب الارتباطات بين سمات أعضاء أسرة الفرد وطبيعة العلاقات التى تنشأ فيها بينهم فى سبيل ذلك . وبدلاً من هذا يجب على الباحثين القيام بتطوير أطر نظرية يشتقون منها فروضًا دقيقة محكمة يمكن إخضاعها للفحص الإمبيريقى ، وهو الطريق الذى بدأه باركى وآخرون (١٩٧٩) Parke, et al. وبلسكى (١٩٨١) Belsky .

ويرى باولبى (١٩٥١) Bowlby عند تناوله للعلاقة بين الأم والرضيع أن أحد الأساليب التى يقوم الآباء بمقتضاها بالتأثير على نمو أطفالهم بشكل غير مباشر على الرغم من محدودية فرص التفاعل التى يتيحها هذا الأسلوب يتمثل فى قيام الأب بمساعدة الأم على تكريس جهدها للعناية بطفلها الرضيع أو المتحرك وذلك عن طريق إحاطتها بالحب والصحبة إذ أنه بإحاطتها بهذا الحب وتلك الصحبة يساندها انفعاليًا ويساعدها فى الإبقاء على مزاج منسجم يدل على الرضا وسط ذلك الجو الذى يزدهر فيه الرضيع . وإلى جانب قيام الأب بتقديم المساندة الانفعالية للأم فإنه يقوم أيضًا بتقديم المساندة الاقتصادية لها حيث يعتبر هو الممول الأساسى والرئيسى للأسرة .

وقد تناول العديد من الباحثين أهمية المساندة التى يقدمها الأب للأم ، وعلى الرغم من ذلك فإن النتائج المتاحة أمامنا والتى تدور حول هذا المحور هى نتائج ارتباطية فى طبيعتها . فيرى هيننبورن ولوجان (١٩٧٥) Hennenborn & Logan وأندرسون وستاندلى (١٩٧٦) Anderson & Standley أن الأمهات اللائى كان يقوم أزواجهن بتقديم المساندة لهن أثناء العمل كن أقل توترًا . ووجد فيرنج (١٩٧٦) Feiring أن السيدات اللائى كانت تقدم لهن المساندة من آباء ثانويين كالقرناء أو الأصدقاء أو الأجداد كن يستجبن بشكل أكثر حساسية لأطفالهن الرضع . ويرى لام Lamb وزملاؤه (١٩٧٩، ١٩٨٠) أن المساندة الأبوية والأسرية التى تقدم للأم تعتبر محددًا هامًا لحساسيتها تجاه الرضيع فى وقتنا الراهن وخصوصًا عندما تشعر الأم الشابة بالصراع بين طموحاتها كأم وبين تطلعاتها المهنية .

وفقًا لما يراه بيدرسين (١٩٧٥) Pedersen كانت الأمهات اللائى يقوم أزواجهن بتقييم مهاراتهن كأمهات بشكل إيجابى أكثر فاعلية فى إطعام أطفالهن الرضع الذين يبلغون أربعة أشهر من العمر وذلك على الرغم من صعوبة تحديد اتجاه التأثير فى تلك الحالة . كما وجد بلسكى (١٩٨٠) Belsky ارتباطًا دالاً بين تكرار تعليقات الوالدين بخصوص الطفل الرضيع ومقدار تفاعل الأب معه ، إلى جانب وجوده لارتباط دال بين تكرار التعليقات التى لا ترتبط بالرضيع وبين تكرار التجاهل لذلك الرضيع . أما كلارك - ستيوارت Clarke - Stewart فقد وجدت مجموعة من العلاقات تعتبر هى الأكثر تعقيدًا والأكثر إثارة للاهتمام فى الوقت ذاته حيث وجدت أن سلوك الأم يسهل من حدوث النمو المعرفى للطفل ، وهذا بالتالى يثير الأب لكى يصبح أكثر انغماسًا فى حياة ذلك الطفل .

ويصاحب زيادة الوعى بالسطح البينى لعلاقات الزوجين وعلاقات الوالد بالطفل إدراك للحقيقة التى ترى أن كلاً من الوالدين والطفل الرضيع والعلاقات الزواجية ينمو ويتغير مع مرور الوقت . وقد تؤثر التغيرات التى تطرأ على أى فرد أو علاقة على كل الأشخاص الآخرين أو العلاقات الأخرى . وبالتالى توجد شبكة معقدة من التأثيرات والعلاقات البينية أى المتبادلة داخل الأسرة وليس مجرد تأثيرات تأخذ نمطًا أحادى الاتجاه يأخذ فيه التأثير مسارًا من الوالد إلى الطفل .

وقد حاول عدد قليل من الباحثين القيام بتقييم الوالدية ونمو الرضيع وكيف الحياة الزوجية فى آن واحد ، ومنهم من يعمل فى هذا المجال حاليًا أمثال باركى Parke وبيدرسين Pedersen وبلسكى Belsky ولام Lamb . ومن الجدير بالذكر أن العمل فى هذا المجال يتطلب إتباع إجراءات منهجية ومفاهيمية معينة إضافة إلى مستويات متعددة للتحليل . فإذا ما أردنا على سبيل المثال أن نفسر السبب الذى يتصرف الوالدان من أجله بطريقة ما فإن علينا أن نتعرف على اتجاهاتهم وإدراكاتهم ، وهذا لا يحدث إلا عن طريق إجراء المقابلات معهم . ويجب إتباع أسلوبى الملاحظة وإجراء المقابلات على أن تكمل نتائج كل منهما الآخر وتدعمها . كما لا يجب أن ننظر إليهما على أنهما بديلان لبعضهما البعض . وتعتبر تلك الدراسات التى أجراها باركى وتنسلى Parke & Tinsley والتى أجراها بيدرسين Pedersen بمثابة دراسات نموذجية يجب الاقتداء بها فى دراستنا لهذا المجال .

خاتمة :

يرى لام (١٩٧٥ - أ) Lamb أن الأب لم يعد هو ذلك المساهم المجهول فى نمو الطفل ، ويرجع ذلك إلى أن العلاقات التى تنشأ بين الأب والرضيع قد خضعت للدراسة الآن على نطاق واسع وبشكل دقيق . ومع ذلك فلا يزال هناك عدد من الأسئلة بلا إجابة محددة ، إلا أنه قد تم على الأقل إزالة الغموض الذى كان يكتنف بعض الأمور التى تتعلق بهذا المجال ، ومنها على سبيل المثال ما يلى :

١ - أن الأطفال الرضع يقومون بتكوين الارتباطات مع كلا الوالدين فى نفس الوقت تقريبًا خلال العام الأول من حياتهم .

٢ - أن هناك سلمًا هرميًا للتفضيلات بين الأشخاص الذين يقيم الأطفال الرضع معهم الارتباطات حيث يفضل معظم الرضع أمهاتهم على آبائهم . ومن المحتمل أن تخضع هذه التفضيلات هى الأخرى للنمو لأن الأم كانت هى القائم الأساسى على العناية بهم فى تلك الدراسات التى تم إجراؤها . وعندما يشارك الأب فى مسئوليات العناية بالطفل أو يصبح هو القائم الأساسى على العناية به فإن أنماط التفضيلات هذه قد تختفى تمامًا أو قد تنعكس . إلا أن هذا المجال لا يزال فى حاجة إلى إجراء مزيد من الدراسات .

٣ - أن الأدوار الوالدية التقليدية تؤثر على أنماط التفاعل مع الرضيع ، إضافة إلى تفضيلات ذلك الرضيع لأحد الوالدين . وتوضح العديد من الدراسات التى تقوم على الملاحظة أن الأب يرتبط مع الطفل الرضيع بالتفاعل الاجتماعى والتفاعل الذى يقوم على اللعب معه والذى غالبًا ما يثيره بشدة ، بينما ترتبط الأم بالعناية به . وتعكس هذه الأساليب الاجتماعية أدوارًا جنسية تقليدية منمطة ، كما أنها من المفترض أن تلعب دورًا هامًا فى النمو المبكر للدور الجنسى للطفل وهويته الجنسية. إلا أننا لا نعلم للآن على وجه التحديد ما إذا كانت تلك الأساليب المميزة للأب ومثيلاتها التى تميز الأم تعتبر نتاجًا لتأثيرات اجتماعية معينة أم أنها تعتبر بمثابة أساليب محددة بيولوجيًا .

وإذا كنا نعلم أن كلاً من الآباء والأمهات قادرين على السلوك بحساسية وسرعة استجابة فى تفاعلهما مع أطفالهما الرضع ، وأنه لا يوجد هناك دليل على أن الأم لديها الاستعداد البيولوجى الذى يمكنها من أن تصبح هى الوالد الأفضل قياسًا بالأب ، ويستثنى من ذلك إفرازها للبن ، فإن القواعد الاجتماعية وليس الميراث البيولوجى هى المسئولة عن ذلك التقسيم التقليدى للمسئوليات الوالدية .

وفى هذا الإطار يجب أن تقوم الدراسات المستقبلية بالتركيز على تحديد الكيفية التى تؤثر بها أنماط التفاعل داخل النسق الأسرى على مضمار نمو الرضيع . ومن الواضح أن أسلوب تفاعل أى من الوالدين مع الرضيع يتحدد عن طريق شخصية هذا الوالد أو ذاك ، وعلاقته بالوالد الآخر ، والسمات المميزة للرضيع . ولكننا مع ذلك لا نعلم بالتحديد كيف يمكن لهذه المؤثرات المختلفة أن تكمل وتدعم بعضها البعض . وعلى ذلك سيكون من الصعب أن نكشف عن شبكة التأثيرات المباشرة وغير المباشرة داخل الأسرة على الرغم من أنه سيكون من الأكثر فائدة أن نحاول القيام بذلك عن أن نحاول تحديد الإسهامات المستقلة لكل من الأم والأب على نمو الرضيع .

* * *

مراجع الفصل الثانى عشر

Abelin, E. L. (1971). The role of the father in the separation-individuation process. In J. B. McDevitt & C. F. Settlage (Eds.), Separation-Individuation. New York: International University Press.

Abelin, E. L (1975). Some further observations and comments on the earliest role of the father. International Journal of Psychoanalysis, 56, 293-302.

Abelin, E. L. (1980). Triangulation, the role of the father, and the origins of core gender identity during the rapprochement sub phase. In R. Lax A. Bur land, & S. Bach (Eds.), Rapprochement. New York :Jason Aronson.

Abelin, E- L. (Manuscript in preparation).Self image, gender identity and early triangulations.

Ainsworth, M. D.S. (1973). The development of infant-mother attachment. In B. M. Caldwell & H. N. Ricciuti (Eds.), Review of child development research, Vol. 3. Chicago: University of Chicago Press.

Ainsworth, M. D. S., Bell, S. M., & Stayton, D. J. (1974). Infant mother attachment and social development : Socialization as a product of reciprocal responsiveness to signals. In M. P. M. Richards (Ed.), The integration of a child into a social world. Cambridge, England : Cambridge University Press.

Ainworth, M. D. S., Blehar, M. C., Waters, E., & Wall, S. (1978). Patterns of attachment. Hillsdale, N. J. : Lawrence Erlbaum Associates.

Ainsworth, M. D. S., & Witting, B. A. (1969). Attachment and exploratory behavior of one-year-olds in a strange situation . In B. M. Foss (Ed.), Detemminats of infant behavior, Vol. 4. London : Methuen.

Anderson, R. J., & Standley, K. (1976). A methodology for observation of the childbirth environment. Paper presented to the American Psychological Association, Washington. D. C., September.

Arnold, R. Bulates, R., Buripakdi, C., Ching, B. J., Fawcett, J. T., Iritani. T., Lee, S. J, & Wv, T. S. (1975). The Value of Children Introduction and Comparative analysis . Honolulu : East West Population Institute.

Ban, P., & Lewis, M. (1974). Mothers and fathers, girls and boys : Attachment behavior in the one-year-old. Merrill-Palmer Quarterly, 20, 195-205.

Belsky , J. (1979). Mother-father - infant interaction :A naturalistic obs1ervational study Development: al Psychology, 15,601-607.

Belsky, J. (1980). A family analysis of parental influence on infant exploratory competence. In F. A. Pedersen (Ed.), The father-infant relationship Observational studies in a family setting. New York: Praeger.

Belsky, J. (1981). Early human experience :A family perspective Developmental Psychology, 17, 3-19.

Berlyne, D. E. (1969). Laughter, humor, and play. In G. L. Lindsey, & E. Aronson (Eds.), Handbook of social psychology. Reading, mass Addison-Wesley.

Biller, H. B. (1971). Father, child, and sex role. Lexington, Mass: Heath.

Biller, H. R. (1974). Paternal deprivation : Family, school, sexuality and society. Lexington, Mass. :Heath.

Blount, G. B., & Padgug, E. J. (1976). Mother and father speech : Distribution of parental speech features in English .. and Spanish. Paper and Reports on Child Language Development, 12, 47-59.

Bowlby, J (1951). Maternal care and menial health. Geneva : WHO.

Bowlby, J. (1969). Attachment and loss, Vol. 1. Attachment. New York : Basic Books.

Brazelton, T. B., Yogman, M. W., Als, H., & Tronick, E. (1979). The infant as a focus for family reciprocity. In M. Lewis. & L. A Rosenblum (Eds.), The child and its family. New York: Plenum.

Bronson, W. C. (1966). Early antecedents of emotional experessiveness and reactivity control. Child Development, 37, 793-810.

Brooks-Gun, J., & Lewis, M. (1979). Why Mama and Papa? "The development of social labels Child Development, 50, 1203-1206.

Chamove, A., Harlow, H. F., & Mtichel, G. D. (1967). Sex differences in the infant-directed behavior of preadolescent rhesus monkeys. Child Development, 38, 329-335.

Clarke - Stewart, K. A. (1973). Interactions between mothers and their young children : Characteristics and consequences. Monographs of the Society for Research in Child Development, 38, Serial No. 153.

Clarke - Stewart, K. A. (1978). And daddy makes three : The father's impact on mother and young child. Child Development, 49, 466-478.

Clarke-Stewart, K. A. (1980). The father's contribution to children's cognitive and social development in early childhood . In F. A. Pedersen (Ed.), The father-infant relationship: Observational studies in family setting. New York: Praeger.

Cleaves, W., & Rosenblatt, P. (1977). Intimacy between adults and children in public places. Paper presented to the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.

Cohen, L. J. (1974). The operational definition of human attachment. Psychological Bulletin, 81, 207-217.

Cohen, L. J. & Campos, J. J. (1977). Father, mother, and stranger as elicitors of attachment behaviors in infancy. Developmental Psychology, 10, 146-154.

De Vore, I. (1963). Mother-infant relations in free-ranging baboons. In H. L. Rheingold (Ed.), Maternal behavior ill mammals. New York : Wiley.

Easter books, M. A., & Lamb, M. E. (1979). The relationship between quality of infant-mother attachment and infant competence in initial encounters with peers. Child Development, 50,380-387.

Fagot, B. I (1974). Sex differences in toddler's behavior and parental reaction. Developmental Psychology, 10, 554-558.

Feiring, C. (1976). The preliminary development of a social systems model of early infant-mother attachment. Paper presented to the Eastern Psychological Association, New York, March.

Feldman, S. S., & Ingham, M. E. (1975). Attachment behavior :A validation study in two age groups. Child I Development, 46, 319-330.

Feldman, S.S., & Nash S.C. (1977). The effect of family formation on sex stereotypic behavior : A study of responsiveness to babies. In W. Miller, & L. Newman (Eds.), The first child and family formation. Chapel Hill : University of North Carolina Press.

Feldman, S. S., & Nash, S. C. (1978). Interest in babies during young adulthood. Child Development, 49, 617-622.

Feldman, S.S., Nash S. C., & Cutrona, C. (1977). The influence of age and sex on responsiveness to babies. Developmental Psychology,, 13,675-676.

Field, T. (1978). Interaction behaviors of primary versus secondary caretaker fathers. Developmental Psychology, 14,183-184.

Frodi, A. M., & Lamb, M. E. (1978). Sex differences in responsiveness to infants A developmental study of psycho physiological and behavioral responses. Child Development, 49, 1182-1188.

Frodi, A. M., Lamb, M. E., Leavitt, L. A., & Donovan, W. L. (1978). Father's and mothers, responses to infant smile: ; and cries. Infant Behavior and development, 1,187-198.

Frodi, A. M., Lamb, M. E., Leavitt, L. A. , Donovan, W.L., Neff, C., & Sherry, D. (1978). Fathers' and mothers' responses to the faces and cries of normal and premature infants. Developmental Psychology,, 14,490-498.

Gewirtz, H. B. , & Gewirtz, J. L. (1968). Visiting and caretaking patterns for Kibbutz infants : Age and sex trends. American Journal of Orthopsychiatry, 38,427-443.

Gleason, J. B. (1975). Fathers and other strangers: Men's speech to young children. In D. P. Dato (Ed.), Language and linguistics. Washington D. C. :Georgetown University Press.

Golinkoff, R. M., & Ames, G. J. (1979). A comparison of father's and mothers' speech with their young children. Child Development, 50, 28-32.

Gove, F.., Arend, R., & Sroufe, L. A. (1979). Continuity of individual adaptation from infancy to kindergarten. Paper presented to the Society for Research in Child Development, San Francisco, March.

Greenberg, M., & Morris, N. (1974). Engrossment: The newborn's impact upon the father. American Journal of Orthopsychiatry,- 44, 520-531.

Harlow H. F. (1958). The nautre of love. American psychologist, 13, 673-685.

Henneborg, W. J., & Cogan, R. (1975). The effect of husband participation in reported pain and the probability of medication during labor and birth. Journal of Psychosomatic Research, 19,215-222.

Hetherington, E.M., & Deur, J. L. (1971). The effect of father absence on child development. Young Children, 26, 233-248.

Hinde, R. A. (1960). Energy models of motivation. Symposium for the Society of Experimental Biology, 14, 11 9-213.

Hoffman, L. W. (1977). Changes in family roles, socialization and sex differences. American Psychologist, 32, 644-658.

Kauffman, A.L. (1977). Mother's and father's verbal interactions with children learning language. Paper presented to the Eastern psychological Association, Boston, April.

Klaus, M. H., Trause, M. A., & Kennel, J. H. (1975). Human maternal behavior following delivery : Is it species specific? Unpublished manuscript, Case Western Reserve University.

Kotelchuck, M. (1972). The nature of the child's tie to his father. Unpublished doctoral dissertation, Harvard University,.

Kotelchuck, M. (1975). Father caretaking characteristics and their influence on infant father' interaction. Paper presented to the American Psychological Association, Chicago, September.

Kotelchuck, M. (1976). The infant's relationship to the father : Experimental evidence. In M. E. Lamb (Ed.), The role of the father in child development. New York: Wiley.

Kotelchuck, M., Zelazo, P. R., Kagan, J. , & Spelke, E. (1975). Infant reactions to parental separations when left with familiar and unfamiliar adults. Journal of Genetic Psychology, 126, 255-262.

Lamb, M. E. (1975). Father : Forgotten contributors to child development. Human Development, 18, 245-266(a).

Lamb, M. E. (1975). Physiological mechanisms in the control of maternal behavior in rats : A review. Psychological Bulletin, 82, 104-119(b).

Lamb, M.E. (1976). Effects of stress and cohort on mother-and father-infant interaction . Developmental Psychology, 12, 435-443(a).

Lamb, M. E. (1976). Interaction between eight-month-old children and their fathers and mothers. In M. E. Lamb (Ed.), The role of the father in child development. New York : Wiley (b).

Lamb, M. E. (1976). Interactions between two-year-olds and their mothers and father's. psychological Reports, 38, 447-450(c)

Lamb, M. E. (1976). Parent-infant interaction in eight-month-olds . Child Psychiatry and Human Development, 7, 56-63(d).

Lamb, M E. (1976). The role of the father: An overview. In M. E. Lamb (Ed.), The role of the father in child development. New York :Wiley, (e).

Lamb, M. E. (1976). Twelve-month-olds and their parents : Interaction in a laboratory playroom. Developmental Psychology, 12, 237-244(f).

Lamb, . M. E. . (1977). The development of mother - infant and, father-infant attachments in the second year of life. Developmental Psychology, 13, 637-648 (a).

Lamb, M. E. (1977). The development of parental preferences in the first two years of life. Sex Roles, 3, 495-497(b).

Lamb, M. E. (1977). Father-infant and mother-infant interaction in the first year of life. Child Development, 48, 167-181(c).

Lamb, M. E. (1978). Infant social cognition and "second - order" effects. Infant Behavior and Development, 1, 1-10(a).

Lamb, M. E. (1978). Qualitative aspects of mother-and father-infant attachments. Infant Behavior and Development, 1, 265-275(b).

Lamb, M. E. (1978). Social interaction in infancy and the development of personality. In M. E.Lamb (Ed.), Social and personality development. New York :Holt. Rinehart, & Winston. (c).

Lamb. M. E. (1979). The effects of the social context on dyadic social interaction. In M. E. Lamb, S. J. Suomi, & G. R. Stephenson (Eds.). Social interaction analysis : Methodological issues. Madison: University of Wisconsin Press.

Lamb, M. E. (1979). Separation and reunion behaviors as criteria of attachment to mothers and fathers. Early Human Development, 3/4, 329-339.

Lamb, M. E. (1981). The development of social expectations in the first year of life. in M. E. Lamb & L. R . Sherrod (Eds.), Infant social cognition : Empirical and theoretical considerations. Hillsdale N. J.: Lawrence Erlbaum Associates.

Lamb, M. E., Chase-Lansdale, L., & Owen, M. T. (1979). The chaning American family and its impications for infant social development :The sample case of matepral employment. In M. Lewis, & L. A. Rosenblum (Eds.), The child and its family. New York: Plenum.

Lamb, M. E., & Easter brooks, M. A. (1981). Individual differences in parental sensitivity Origins, Components and consequences. In M. E. Lamb, & L. R. Sherrod (Eds.), Infant social cognition : Empirical and theoretical considerations. Hillsdale N.J.: Lawrence Erlbaum Associates.

Lamb, M. E., Frodi, A. M., Hwang, C.P, & Frodi , M. (1982). Varying degrees of patrenal involvement infant care : Attitudinal and behavior correlates . In M. E. Lamb (Ed.), Nontradional families :Parenting and child development. Hillsdale N. J. : Lawrence Erlbaum Associates.

Lamb, M. E., & Goldberg, W . A. (1982). The father-child relationship : A synthesis of biological, evolutionary and social perspectives. In L. W. Hoffman & R. Gandelman (Eds.), Perspectives on parental behavior. Hillsdale N. J. : Lawrence Erlbaum Associates.

Lamb, M. E., & Lamb, 1. E. (1976). The nature and importance of the father-infant relationship. Family Coordinator, 25, 379-385.

Lamb, M. E., & Sherrod, L. R. (Eds.) (1981). Infant social cognition : Empirical and theoretical considerations. Hillsdale N. J.: Lawrence Erlbaum Associates.

Lamb, M. E., & Stevenson, M. B. (1978). Father-infant relationships :Their nature and import ante. Youth and Society, 9, 277-298.

Lamb, M. E., Owen, M. T., & Chase-Lansdale, L. (1979). The father-daughter relationship: Past, present and future . In C. B. Kopp & M. Kirkpatrick (Eds.), Be coining female Perspectives on development. New York: Plenum.

Lamb, M. E. Owen, M. T., & Chase - Lansdale, L. (1980). The working mother in the intact family : A process fiodle. In R. R. Abidin (Ed.), Handbook of parent education. Springfield, III. : Thomas.

Lester, B. M. , Kotelchuck, M., Spelke, E., Sellers, M. .T., & Klein, R. E. (1974). Separation protest in Guatemalan infants : Cross-cultural and cognitive findings. Developmental Psychology, 10,79-85.

Lewis, M., & Ban, P. (1971). Stability of attachment behavior : A transformational analysis. Paper presented to the Society for Research in Child Deve1opment. Minneapolis, April.

Levvis, M., & Kretizberg, V. S. (1979). Effects of birth order and spacing on mother-infant interactions. Developmental Psychology, 15,617-625.

Lewis, M, & Weinraub, M. (1974). Sex of parentx sex of child : Socioemotional development. In R. Richart, R. Friedman, & R. Yandle Wiele (Eds.), Sex differences in behavior. New York: Wiley.

Lewis, M., & Weinraub, M. (1976). The father's role in the infant's social network. In M. E. Lamb (Ed.), The role I of the father in child development. New York : Wiley.

Lewis, M., Weinraub, M., & Ban, P. (1972). Mothers and fathers, girls and boys : Attachment behavior in the first two years of life. Educational. Testing Service Research Bulletin, Princeton, N. J.

Lieberman A. F. (1977). Preschoolers' competence with a peer : Relations with attachment and peer experiences. Child Development, 48, 1277-1287.

Lind, R. (1974). Observations after delivery of communications between mother-infant-father. paper presented to the International Congress of Pediatrics , Buenos Aires, October.

Lynn, D. B., & Cross, A. R. (1974). Parent preference of preschool children. Journal of Marriage and the Family, 3b, 555-559.

Lytton, H. (1979). Disciplinary encounters between young boys and their mothers and fathers : Is there a contingency system ? Developmental psychology, 15, 256-268.

Mahler,M. (1968). On human symbiosis and the vicissitudes of individuation. New York International University Press.

Mahler, M., & Gosliner, B. J. (1955). On symbiotic child psychosis :Genetic dynamic, and restitute aspects. The psychoanalytic Study of the Child, 10, 195-212.

Main, M., & Weston M. (1981). The independence of infant-mother and infant-father attachment relationships : Security of attachment characterizes relationships, not infants. Child Development, 52, .

Marto~ P. L., & Minde, K. (1980). Paternal and maternal behavior with premature infants. Paper presented to the American Orthopsychiatry Association, Toronto, April.

Matas, L., Arend, R., & Sroufe, L. A. (1978). Continuity of adaptation in the second year of life. Child Development, 49, 547-556.

Minde, K., Marton, P., Manning, D. & Hines, B. (1979). Some determinates of mother-infant interaction in the premature nursery. Journal of the Academy of Child Psychiatry.

Money, J., & Ehrhardt, H. A. (1972). Man and woman, boy and girl. Baltimore : Johns Hopkins University Press.

Nash~. S. C., & Feldman, S. S. (1981). Sex role and sex-related attributions : Constancy and change across the family life cycle. In M. E. Lamb & A . L. Brown (Eds.), Advances in developrl1el1t psychology, Vol. 1. Hillsdale, N. J. Lawrence Erlbaum Associates.

Parke, R. D. (1978). Parent-infant interaction : Progress , paradingms and problems . In G. P. Sackett (Ed.), Observing behavior. Baltimore: University Park I Press.

Parke, R. D. (1979). Perspectives on father-infant interaction. .in J. D. Osofsky (Ed.), Handbook of infant development. New York : Wiley.

Parke, R. D., & O'Leary, S. E. (1976). Father-mother -infant interaction in the newborn period : Some findings, some observations and some unsolved issues. In K. Riegel, & J. Meacham (Eds.), The developing individual in a chhning world, Vol. 2. Social and environmental issues. The Hague : Mouton.

Parke, R. D., O'Leary, S. E., & West, S. (1972). Mother-father- newborn interaction : Effects of maternal medication., labor and sex of infant. Proceedings of the American Psychological Association., 85-86.

Parke, R. D., Power, T. G., & Gottman, J. (1979). Conceptualizing and quantifying influence patterns in the family triad. In M. E. Lamb, S. J. Suomi, & G. R. Stephenson (Eds.), Social interaction analysis: Methodological issues. Madison: University of Wisconsin Press.

Parke. R. D., & Sawin, D. B. (1975). Infant characteristics and behavior as elicitors of maternal and paternal responsivity in the newborn period. Paper presented to the Society for Research in Child \ Development, Denver, April.

Parke, R . D., & Sawin, D. B. (1980). The family in early infancy : Social interact ional and attitudinal analyses. In F. A. Pedersen (Ed.), The father-infant relationship : Observational studies in a family setting. New York: Praeger.

Parke, R. D., & Suomi, S. J. (1980). Adult male-infant relationships: Human and nonhuman primate evidence. In K. Immelman., G. Barlow, M. Main, & L. Petrinovich (Eds.), Early development in animals and man. Cambridge, England :Cambridge University Press.

Pedersen, F. A. (1975). Mother , father, and infant as an interactive system . Paper presented to the American Psychological Association, Chicago, September.

Pedersen, F. A., Anderson, B., & Cain, R. (1977). An approach to understanding linkages between the parent-infant and spouse relationships Paper presented to the Society for Research in Child Development, New Or lean, March.

Pedersen, F. A., Anderson, B., & Cain, R. (1980). Parent-infant and husband-wife interactions observed at age 5 months. In F. A. Pedersen (Ed.), The father-infant relationship : Observational studies in family setting. New York: Praeger.

Pedcrsen, F. A. Cain, R., & Zaslow, M. (1982). Variation in infant experience associated with alternative family roles. In L. Laos a & I. Sigel (Eds.), The family as a learning environment. New York: Plenum.

Pedersen, F. A., & Robson, K. (1969). Father participation in infancy. American Journal of Orthopsychiatry, 39, 466-472.

Pedersen, F. A., Rubinstein, J. L., & Yarrow, L. J. (1979). Infant development in father-absent families. Journal of Genetic Psychology, 135,51-61.

Phillips, P., & Parke, R. D. (1979). Father and mother speech to prelinguistic infant. Unpublished manuscript, University of Illinois.

Power, T. G. , & Parke, R. D. (1979). Toward a taxonomy of father-infant and mother-infant play patterns . Paper presented to the Society for Research in Child Development, San Francisco, March.

Price, G. (1977). Factors influencing reciprocity in early mother-infant interaction. Paper presented to the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.

Redican, W. K. (1976). Adult male-infant interactions in nonhuman primates. In M. E. Lamb (Ed.), The role of the father in child development . New York : Wiley.

Rendina, I., & Dickerscheid, J. D. (1976). Father involvement with first -born infants. Family Coordinator, 25, 373-379.

Rheingold, H. L. (1956). The modification of social responsiveness in institutional babies Monographs of the Society for Research in Child Development, 21, Whole No. 63.

Richards, M. P. M., Dunn, J. F., & Antonis, B. (1975). Caretaking in the first year of life : The role of fathers' and mothers' social isolation. Unpublished manuscript, Cambridge University.

Rosenblatt, J. S. (1970). The development of maternal responsiveness in the rat. American Journal of Orthopsychiatry, 39, 36-56.

Rosenblatt, P. C. (1974). Behavior in public places: Comparison of couples accompanied and unaccompanied by children. Journal of Marriage and the Family, 36, 750-755.

Ross, G., Kagan, J., Zelazo, P., & Kotelchuck., M. (1975). Separation protest in infant in home and laboratory . Developmental Psychology. 11. 256-257.

Rutter, M. (1972). Maternal deprivation reassessed. Harmondsworth, England: Penguin.

Rutter, M. (1979). Maternal deprivation 1972-1978: New findings, new concepts, new approaches. Child Development, 50,283-305.

Schaffer, H. R. (1963). Some issues for research in the study of attachment behaviour. In B. M. Foss (Ed.), Determinates of infant behavior , Vol. 2. London : Methuen.

Sheaffer, H. R., & Emerson, P. E. (1964). The development of social attachments in infancy . Monographs of the Society for Research in Child Development, 29, Whole No. 94.

Spelke, E., Zelazo, P., Kagan, J., & Kotelchuck, M. (1973). Father interaction and separation protest. Developmental Psychology, 9, 83-90.

Stayton, D. J., Ainsworth, M. D.S., & Main, M. B. (1973). Development of separation behavior in the first year of life : Protest, following, and greeting. Developmental Psychology, 9, 213-225.

Wachs, T., Uzgiris, I., & Hunt, J. (1971). Cognitive development in infant of different age levels and from different environmental backgrounds. Merrill-Palmer Quarterly, 17, 283-317.

Waters, E., Wippman., J., & Sroufe, L. A. (1979). Attachment, positive affect and competence in the peer group :Two studies m construct validation. Child Development, 50, 821-317.

Weinraub, M., & Frankel, J. (1977). Sex difference in parent-infant interaction during free play, departure, and separation. Child Development, 48, 1240-1249.

Welker, W. I. (1971). Ontogeny of play and exploratory behaviors: A definition of problems and a search for new conceptual relations. In H. Moltz (Ed.), The ontogeny of vertebrate behavior. New York : Academic.

West, M. M., & Konner, M. J. (1976). The role of the father: An anthropological perspective. In M. E. Lamb (Ed.), The role of the father in child development. New York: Wiley.

White, R. W. (1959). Motivation reconsidered : The concept of competence. Psychological Review, 66, 297-333.

Willemsen, E., Flaherty, D., Heaton, C., & Ritchey, G. (1974). Attachment behavior' of' one-year-olds as a function of mother vs father, sex of child, session, and toys. Genetic Psychology Monographs, 90, 305-324.

Yogman, M. J., Dixon S., Tronick E., Als, H., & Braselton, T. B. (1977). The goals and structure of face - to - face interaction between infants and their fathers. Paper presented to the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.

Zelazo, P. R., Kotelchuck M., Barber, L., & David, J. (1977). Father and sons : An experimental facilitation of attachment behaviors Paper presented to' the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.

Zucker, E. L., Mitchell, G. D., & Maple, T. (1978). Adult male-offspring play interactions within a captive group of orangutans (Pongo pygmaeus). Primates, 19, 379-384.

❋ ❋ ❋